

الكتاب وجملات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 6 - Issue 62 - March 2004

مجلة شهرية - العدد الثاني والستون - المجلد السادسة - مارس ٢٠٠٤ - الثمن عشرة جنيهات

لا تصبرقوا الإشاعات...
فلا توجد أى علاقة بين انهيار الجنيه
وانهيار العمارة.. والهزيمة في كرة القدم!!



التضليل بالأرقام .. وتقارير التنمية الإنسانية العربية

جلال أمين

غذاء أكثر.. وجوع أكثر: من يملك ثمن الخبز؟

أحمد مستجير

الأمير الصغير.. والكاتب الذي اختفى

محمد المهدي

التفاته إلى الهند

سلامة أحمد سلامة

حسين
الشرقي
٢٠٠٤



تصدر عن:
الشركة المصرية
للنشر
العربي والدولي

رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم العليم

رئيس التحرير

سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير الفني

حسني التوتوني

مدير التحرير

أيمن الصياد



كتاب العدد :

١. أحمد دويش... أسئلة الأدب القارئ بجامعة الإسكندرية.
٢. أحمد مستجير... أسئلة بكتية الزراعة بجامعة القاهرة.
٣. أيمن الصياد... صحتي.
٤. باقر جاسسي... مصرورة علمية في مجلة ديسكفر.
٥. جمال أمين... أسئلة الاقتصاد بالجامعة الأمريكية في القاهرة.
٦. حازم الجبلاوي... الأمن التنهذي للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا.
٧. حمدي هزاع... دبلوماسي مصري سابق.
٨. داليا داسكالي... أسئلة مساعد في العلوم السياسية بجامعة جورج واشنطن.
٩. سلامة أحمد سلامة... صحتي.
١٠. سمير حنا صادق... أسئلة الطب المسلي بجامعة عين شمس.
١١. هادي العزيز موسى... صحتي.
١٢. علاء الدين وعيد... كاتب.
١٣. غازي صلاح الدين العتاشي... وزير سوداني سابق.
١٤. فهمي هويدي... صحتي.
١٥. فويس ميناند... أسئلة الأدب الإنجليز في جامعة سينت. وكاتب مجلة نيويورك.
١٦. ليلى حافظ... صحتي.
١٧. محمد الهادي... مستشار دار الآثار الإسلامية بالكويت.

رسوم العدد للفنانين :

محمد حجي - سعد الدين شحاتة - أحمد اللياد



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات وافية
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض الحالات المنشورة أو أجزاء
منها، بغض النظر إن كتابي مسبق من المناقش.



المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٢ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت : ١٩٠ - ١٩١ / ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩
البريد الإلكتروني (التصريح) : info@alkotob.com
الموقع على الإنترنت : www.weghatnazr.com

الاشتراكات :

السنة الواحدة (ثلاثة عشر عدداً) أسئلة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري -
الاتحاد بريد عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا
وتكندا : ٨٠ دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم : ١٠٠ دولاراً أمريكياً.
إدارة الاشتراكات : شارع سيدهو المصري، ص. ب. ٢٤ أليزانيا - مدينة نصر
هاتف : ٤٠٣٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٤٤٤٤٤ - e-mail : wegat@alkotob.com

من النسخة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية - السعودية : ٢٠ ريالاً - الكويت : ١٠٠ دينار - الإمارات
٢٠ درهماً - البحرين : ٢٠ ديناراً - قطر : ١٥ ريالاً - عمان : ١٠٠ ريالاً - لبنان : ٥٠٠٠ ليرة - سوريا
١٥٠٠ ليرة - الأردن : ٢٠ ديناراً - نصف : ليبيا : ٢٠ ديناراً - الجزائر : ٢٠ ديناراً - المغرب : ٢٠ درهماً
- تونس : ٤ ديناراً - اليمن : ٢٠ ريالاً - فلسطين : ٢٠ دولاراً.
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$5.

محتويات العدد :

١. سلامة أحمد سلامة...
٢. نون... والثقافة إلى الهند...
٣. غازي صلاح الدين العتاشي...
٤. السودان... الطريق الصعب إلى الوحدة...
٥. هادي العزيز موسى...
٦. جنوب السودان... عبء الماضي وضغوط المستقبل...
٧. فهمي هويدي...
٨. انتخابات تكسير العظام في إيران...
٩. جلال أمين...
١٠. التضليل بالأرقام ويومئذ أخرى...
١١. تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣...
١٢. لويس ميناند...
١٣. The Image... صورة السيد الرئيس...
١٤. داليا داسكالي...
١٥. أمريكا وأوروبا في الشرق الأوسط...
١٦. حمدي هزاع...
١٧. مستقبل الشراكة الأطلسية...
١٨. حازم الجبلاوي...
١٩. لا يوجد من يدفع الثمن... لماذا لا يتكامل العرب اقتصادياً؟...
٢٠. محمد المهدي...
٢١. المليار والموت... والكاتب الذي اختفى...
٢٢. Le Petit Prince... تأليف : أنطوان دو سان إكزيري...
٢٣. ليلى حافظ...
٢٤. «باريس العربية... قرنان من العلاقات...
٢٥. Le Paris Arabe... تأليف : مجموعة من المؤلفين
٢٦. باقر جاسسي...
٢٧. من وراء ١٩١٨ إلى أنطونزا الطيور... ومن الدجاج ما قتل...
٢٨. أحمد مستجير...
٢٩. «غذاء أكثر... وجوع أكثر... من يملك ثمن الخبز؟...
٣٠. سمير حنا صادق...
٣١. «الحديث عن الأصول غير الغربية للملم...
٣٢. Lost Discoveries... تأليف : ديك تهريسى
٣٣. علاء الدين وعيد...
٣٤. «رسائل صاحب قنديل أم هاشم...
٣٥. رسائل يحيى حقي إلى ابنته...
٣٦. أحمد دويش...
٣٧. «رباعيات الخيام... روح شرقية، تسرى في الآداب العالمية...
٣٨. إصدارات جديدة...
٣٩. رسائل...
٤٠. أيمن الصياد...
٤١. «قراءة : «حاضر لا يرى... مستقبل يرتجف».

“ نفوذ ”

التفاته إلى الهند

سلامة أحمد سلامة

المينى، كمصدر للخطر الذي يهدد الدول العربية ويهدد المصالح الأمريكية والفريقية.. ويرجع لها العرب باعتبارها التحول الجديد الذي يجب أن يتكاتف العالم للوقوف ضده ومواجهته. ومن ثم تتصاعد الدعوة الموجهة إلى العالمين العرب والإسلامي.. إن لم يكن للانضمام إلى حلف الأطلنطي، فللدخل في شركات مهمة مع الولايات المتحدة أو مع أوروبا لتحرير الشرق الأوسط من خطر الإرهاب ومصادره الكامنة في نظم حكم سياسية متخلفة وعاجزة عن الشجاعة نظم ديمقراطية حرة.

وإذا كانت فكرة الحيد الإيجابي أو عدم الانحياز هي الهجوم الذي تسلك به نهج وعيد الناصر وتبني في ذلك الوقت، على أساس أنه الوسيلة الوحيدة لكي تلتقي أفريقيا وآسيا بنفسها في الصراع الثنائي المتشعب بين المعسكرين، فإن التشرذم الذي طرأ على تجمع الدول الأفريقية والآسيوية، والفساد أحد المعاملين وهو الانحياز السوفيتي، وسيطرة قطب واحد اعتقه يملك مقادير القوة العسكرية والتفوق العلمي والتكنولوجيا في الولايات المتحدة، والتغيرات الجذرية التي طرأت على موازين القوى وعلى المشهد العالمي بأسره، قد أهدت دول العالم الثالث زمام المبادرة والمآورة وبعدت ما كان يجب عدم الانحياز من مفصول سحري، وشأت فوات واسعة بينها جعلها تتناثر في جزر متعزلة متباعدة كل منها بحيث من مصلحتها ويسعى إلى إنشاء الشور والخطر المعقدة من كل اتجاه. وذلك في وقت يعاني فيه النظام العالمي من زلزاله من حالة هز شديد، وضيق كامل لسيطرة القوة العظمى الوحيدة في العالم.



لم تصمد كتلة الدول غير المحايدة طويلاً أمام العواصف الدولية الجارية، التي هيبت بسقوط الاتحاد السوفيتي وكتلة دول حلف وارسو، وما تبعها من سقوط حائط برلين، وفتح الجبهة التي بدأت بعد ذلك لإقامة كتلتها محلها مثل مجموعة الـ ٧٧ أو دول الجنوب في مواجهة دول الشمال. وربما كان للتدابير التي أعقبت حرب



ع. ت.

والزعيم اليوغوسلافي جوزيب بروز تيتو حركة عدم الانحياز. وخضر دجال لمره الآن أن الظروف التي أحاطت بالعالم العربي في تلك الحقبة الخمسينيات من القرن العشرين، والظروف الدولية التي تحيط به الآن في بدايات القرن الواحد والعشرين، لتكاد تتشابه في كثير من مظاهرها وتبديلاتها. فهنا كانت الأحلاف العسكرية تحاصر مصر والعالم العربي حينذاك، وتعمل جهداً لا يطاق بالقوى الوطنية الطامسة إلى الاستقلال، لتلاحق في الوقت الحاضر كيف وطد النفوذ العسكري الأمريكي نفوذ وقواعده في الدول العربية دون حاجة إلى أحلاف عسكرية.. في المرحلة السالفة كان التهديد الشيوعي والخطر السوفيتي هو «البيع»، الذي يخيف به الغرب الأقطار والحكومات العربية، ويضبط عليها بكل الوسائل للانضمام إلى أحلاف عسكرية عربية تتعاون مع حلف الأطلنطي، وفي هذه الأيام يبرز «الإرهاب» والتطرف

علاقة العرب بالهند. إذن علاقة ذات حضور قوي هائل في الحاضر وذات جاذبية تاريخية ضاربة في الماضي يحس علماء العرب إلى دراسة علوم الهند وحكمتها وفلسفتها. واتجه الرحالة العرب لاكتشافها والتعرف على جوانب الحياة فيها، من أمثال المسعودي وابن حوقل واليعقوبي والمقدسي والبيروني وابن بطوطة. وكان البيروني ذلك العالم الضليع في الرياضيات والفلك من أكثر العلماء العرب الذين اهتموا بالثقافة الهندية وعكفوا على دراسة تاريخها وعادات أهلها. وفي العصر الحديث عرف العرب نضال الزعيم الهندي المهاتما غاندي الذي قاد بلاده إلى الاستقلال، وانتهج أسلوب «العصيان المدني» كأسلوب سلم لا يلجأ إلى العنف في مقاومة الاستعمار البريطاني، وحصلت الهند على استقلالها التام على يد جواهر لال نهروو قلميذ غاندي وزجل الثورة، الذي شكل بعد ذلك مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

■ ■ ■ كما تكاد تهبط بك الطائرة في أي من الموانئ أو المدن الخليجية، حتى يطالعك الوجود الأسوي الكثيف في كل مكان.. في الطارات، في المحال التجارية في الفنادق، في المطاعم، في المكاتب الحكومية والإدارات العامة.. في الحافلات وسيارات التاكسي.. يخيل إليك أن أهل البلد الأصليين قد هجروها في أجهزة وتركوها بين أيدي مئات الألوف من الأيدي العاملة الآسيوية، من الهند وباكستان والفلبين وتايلاند وفيتنام والأجانب الذين يستلمون قوة العمل الحاقية في كثير من الأعمال الصغيرة والكبيرة على حد سواء. ولكن الطابع الهندي هو أكثر ما يثير الاهتمام ويلفت النظر، الوجوه الهندية، واللسان الهندي، والعصاة الهندية، والطعام الهندي، والرائحة الهندية الممزجة.

ولا يقتصر الأمر على هذا الوجود البشري الذي يملأ المكان.. بل هو وجود اقتصادي وثقافي واجتماعي يتحول إلى وجود سياسي غير ظاهر وإن كان بالغ التأثير، نشأ وترعرع على مر العقود الثلاثة الماضية بدرجة ملحوظة، حين تدفق مئات الألوف من الأيدي العاملة الحرة وغير الحرة إلى بلاد الخليج بعد ظهور الثورة النفطية، وتحول المجتمعات الخليجية إلى مجتمعات لمرافقية والشاء.. تحتاج إلى من يخدمها ويدير شؤونها من الأيدي العاملة. أكثر من ٦ ملايين يعملون في مختلف المستويات الوظيفية والإدارية والخدمية، يتدفقون في شبه الغارة الهندية إلى دول الخليج، ويمتلئ أجبر جالية أجنبية في أي منطقة في العالم، يصل حجم هجراتها إلى البلد الأم في الهند نحو ١٤ مليون دولار سنوياً.

يظل الوجود الأسوي في الخليج، والهندي يومه صاهاً، وجوداً مهيماً بطبيعتها التي لا تعبر عن نفسها بطريقة زائفة لافتة، وإن تغلغل في صميم الحياة الخليجية وتسرير في دماغها وعروقها.. وذلك على عكس الوجود العسكري الأمريكي الشاغر الذي يفرض نفسه بقوة السلاح، وعلى العكس أسلوب الوجود الثقافي والاسترازي في أحياء عربية، والذي يكون مستتراً أحياناً ومثيراً للغيرة والشقاق أحياناً أخرى يحكم الحامية إلى الانتماء إلى هوية سياسية وحضارية عربية يصعب التخلص منها.

التحولات إلى الهند



تستعير الهند التي استغلتهما باكستان في الحصول على تأييد الدول العربية لأسباب دينية، وهو ما أدى إلى توسيع الفتوة في العلاقات الهندية العربية، وزاد من مشاعر العداء الهندوس للمسلمين في الهند، والذين يزيد عددهم (١٠ مليونا) عن تعداد باكستان نفسها، ولم يتوقف العرب طويلاً أمام اختلاف الوضع في القضية الهندية عنه في القضية الفلسطينية، بل التحازوا إلى باكستان بدافع من التعاطف الديني، وصور الكشيريون مقاصد الكشوريين ضد الوجود العسكري الهندي في الهند على أنها تجاوزات لمصلحة الهندية، مع أن شعب الهند المسلمية الهندية لم تكن تضال شعب الهندية الهندية، عند إسرائيل، مع أن تكون تاريخياً وسياسياً الهندية المسلمية، من المشكلة الفلسطينية التي حول كشمير هذه القضية الأولى إلى اختلاف باكستان كدولة مسلمة عن الهند، عندما قرر المفاوض الذي يحكم كشمير الهند، الاستقلال أن ينضم إلى الهند، واستولت الهند على نصف أراضي كشمير تقريباً، وباكستان على النصف الآخر، وشملت بعد ذلك كل الجهود في وساطات الأمم المتحدة في حل القضية، فقامت على الوحدة تحولت إلى قضية كبرى، فقامت على الوحدة باكستان، وإلى قضية حاصلة على الوحدة والسيادة التي الهند، التي خبثت من أن يؤدي التفرقة في النضال المشترك إلى تفكيك الدولة الهندية المتحدة الأولى، والأمور والأوراق، وتشجيع النزعات الانفصالية لن طوائف أخرى مثل السبع



على أن الفوج إلى النزاع الهندي الباكستاني حول كشمير قد يؤمنها من مستعق من الصبح والحجج المصادرة لقراره، ويصرها في مناقشة القضية الجهورية التي لدونها إلى لغت الهندية العامر التي التطور الهائل الذي شهده الهند، والذي وشك أن يضعها في مصاف الدول العظمى خلال النصف الأول من القرن الحادي والعشرين، شأنها شأن الصين، فالعالم يشهد بمزيج من الإعجاب والنشوة والتوجس قيام شعبين عرقيين من ردة الهند، يشهد كيف نهض الشعبين الصينيين من سيالة ليحقق معدلات نمو غير مسبوقة (ما بين ٩-١٢٪)، وينتاش دولاً كبرى في مجالات تجارية واقتصادية كانت حكراً عليها، ويظهر ترسالة مخيفة من الأسلحة النووية، ويحقق عظمة كبيرة من مستويات المعيشة للفرد الصيني، ثم هو يشهد بدرجة لا تقل انهماكاً ودولة كشمير، ينظر الفيلق الهندية بوجهة المصم (أكثر من مليار نسمة) وإقامة التقضية، وكذلك المعجون بقدر كبير من البهاء وسعة الحيلة، مع التسامح والتقاليد والكبرياء القومى، ليشق طريقه وليدماً والحقاً إلى صدارة العالم على قدمين واثنين.. في

التي أحاطت بها، سواء ببروز الصين كقوة نووية صاعدة اقتصادياً وعسكرياً تمثل منافساً قوياً في آسيا، فضلاً عن ازدهارها في الوثنية بباكستان التي ظل زاعها الداعم من الهند بسبب قضية كشمير، مصداً لصادرات وحروب عديدة، والتي أخذت تطور بدورها برامجها النووية حين أجرت تفجيرها الأول عام ١٩٧٤ أي بعد عامين من الهند، وقد ضاعفت من أسباب التعاون بين الهند وروسيا حين كانت دولة عظمى، فألها أيضاً لم تتردد في قبول المقاربات التي عرضتها إسرائيل على الصينيين الاستخباراتى والعسكري، حين تعرضت الهند لعقوبات اقتصادية بسبب برامجها النووية، وقد تطور هذا التعاون مع إسرائيل ليس فقط في مجال العنصرات حول تشايات «الإرهابيين» وكيفية مواجهتهم وصد انتشارهم، ولكن أيضاً في تزويد الهند بجهيزات ومد كثرية متقدمة لضبط التسليح التي أراضها ضد العدو مع كشمير، وفكرات استكشاف بوزن طيار، وأجهزة إنداز ميكرو ومواد غير آرض، جو كانت ضمن المعداد التي ضاعفت صادرات إسرائيل إلى الهند من السلاح بما يتجاوز صادراتها إلى تركيا، وكانت الصفقة الأخيرة التي شت بعد زيارة شاولون لدلهي في أواخر العام الماضي تجاوز المليار دولار لشراء نظام رادار من طراز فاكولن من إسرائيل، غير أن العلاقات التجارية لا تقتصر على السلاح، إذ تحقق تجارة الحش والأحجار الكريمة وعدداً ١.٢ مليار دولار، تستوردها إسرائيل من جنوب أفريقيا ليتم مصلها وتقطيعها في مراكز متخصصة لتقطيع الحاش والأحجار الكريمة في جايبور وغيرها من المدن الهندية ويعد تصديرها إلى إسرائيل، وأوروبا.

وفي هذا السياق يصعب تجاهل الموقفين العرب والإسلاميين من قضية

شهدت الهند اغتيال أدبير غاندى على يد اثنين من حراسها السبع الهندسيين عام ٨٤، وشهدت ظهور نزعة الانفصالية بين السبع، وحركات دينية قومية بين الطائفة الهندوسية، وتعرضت الهند لتفشيرة خطيرة لقي فيها راجيف غاندى مصرعه خلال حملته الانتخابية، ولم يكن راجيف قد تأهل سياسياً لتحمل المسؤولية السياسية، ومن هنا لم يدم حكم حزب المؤتمر طويلاً ولكنه حطاً أول خطوة في إعادة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل عام ٩٢ ومحاولة إصلاح العلاقات مع أمريكا، وأدى ضعف الحزب وتفكيك أجنحته إلى صعود حزب بهارات جانا التيمينى إلى الحكم بعد استمال نزعات تطرف هندوسية التي أدبر معسكر ياديرى التارطشى في أيودها، وهي قطعة يدعى الهندوس أنها كانت صراعهم، ولادة رأياً، رأياً المعبود المقدس، وهو ما أدى إلى وقوع مذابح طائفية دامية بين الهندوس والمسلمين، مما زالت تفعل فعلها في التوتّر بين الطائفتين حتى الآن.



مجمال القول إن الهند شهدت أوقاتاً صعبة لا تقل صعوبة وعسراً عن الأوقات التي شهدتها مصر وأجزاء عديدة من الوطن العربي، ولكن من الثابت أن الهند بقيت على مدى العقود الأربعة الماضية منذ قيام الكيان الصهيونى، من أقرب المرافعين في الحقوق الوطنية والقضية الفلسطينية، في مختلف المحافل الدولية، كما أنها لم تجعل من مبدأ الحياد وعدم الانحياز مبرراً لتخلّف عن تصميها على الحصول على القوة النووية، ولذا كانت الطرف الداعية لهذه الدولة للبارية الكبرى والتشديدات

أكتوبر ١٣ والزراعة التي قام بها الرئيس السادات إلى إسرائيل عام ٧٧، دور هام في تفكيك عرى فكرة عدم الانحياز، بعد أن أعلن الرئيس السادات أن ٩٩ مائة من أرواق الغمية في يد أمريكا وأنها وحدها القادرة على تحقيق السلام العادل في الشرق الأوسط.

وكانت هذه الفترة الحاسمة في بداية التغيير التي وضعت دول عدم الانحياز أمام مشرق طرق، وضي الخسرة التي بدأت الطريق تتباعد فيها بين مصر والهند، وبين العالم العرب والهند، وقد أدركت الهند، على عكس مصر، أن عدم الانحياز ليس إلا شويًا شفاهاً رقيقاً لا يحمي أصحابه من برد الشتاء أو قبط الصيف، ومن ثم قادت من بناء قوة ذاتية قادرة على الدفاع عن نفسها ضد الأخطار الخارجية والمخفية، ولم تكن أمريكا تخطى استعصامها من دول عدم الانحياز واستعصامها بها، وعلى رأى دالاس وزير الخارجية الأمريكى حينذاك، ومهندس الخارجية البارزة، أن عدم الانحياز فكرة لا الخلافة، فألت في الصراعات الدولية إما مع جانب أو ضد، لا مجال للتوفيق في الوسط، ومما زالت هذه هي الفكرة التي يؤمن بها الرئيس بوش، وجماعة المحافظين الجدد، التي تركزت على لبنان بوش وإيران، ويصعب تخلفها في الحرب ضد الإرهاب، وفي وسط الحرب ضد العراق، وهكذا فما أن سقط الاتحاد السوفيتى حتى أصبح الحديث عن عدم الانحياز مجرد كلام في الهواء أو ملء للفرع.

يقول مصدر هندي كبير مسئول، يعتبر العقل السياسي الذي يلف وراء السياسات الخارجية التي تتبناها أقاليم بيلاريا فارجيا رئيس وزراء الهند المنحرف من فضاء العزلة التي وجدت نفسها فيه في السنوات التي تبعت سقوط النظام الاشتراكية والتبعية في موسكو وأوروبا الشرقية، إن هذه الفترة التي تلي عقب انتهاء التحول في العلاقات بين الهند وعدد كبير من دول عدم الانحياز لا يمكن وصفها، فينبغي التوجه مصر إلى تصميها على العلاقات مع الولايات المتحدة، انجبت الهند إلى تدعيم علاقاتها مع موسكو، وخاصة بعد أن فرض الغرب عليها حظراً اقتصادياً بسبب قيامها بأول تفجير نووي عام ١٩٧٤، وعلى ذلك إلى نشوب أزمة اقتصادية اقترنت بارتفاع الأسعار نتيجة لارتفاع أسعار النفط، وسقطت حكومة أدبير غاندى نتيجة لانحيازها حالة الطوارئ بسبب حملة التدمير الجارية لمرحاض، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها الشعب الهندى حزب المؤتمر الذي حكم منذ الاستقلال، وينتج الطريق أن أحزاب المعارضة بزعامة حزب بهارات جانا، الهندوسى ذى النزعات الدينية المتصبة.

وإن كانت مصر قد شهدت اغتيال الرئيس السادات على يد الجماعات الإسلامية المتطرفة في أكتوبر ١٩٨١، فقد

أكثر من ٦ ملايين يعملون في مختلف المستويات الوظيفية والإدارية والخدمية. يتدفقون من شبه القارة الهندية إلى دول الخليج، ويمثلون أكبر جالية أجنبية في أي منطقة في العالم، يصل حجم تحويلاتها إلى البلد الأم في الهند نحو ١٤ بليون دولار سنوياً





محالات جديدة حققت هدفها القومى الأساسى وهو الاكتفاء الذاتى من الحبوب والمحاصيل الزراعية بعد سنوات من الظافة والمجاعة. ثم امتلاك قوة نووية مدعومة برسانا حملها من الصواريخ بعيدة المدى، ومصحوبة بنهضة لتكنولوجيا في مجال الاتصالات والمعلومات بمعدلات نمو اقتصادى قد لا تقصّل إلى مسدلات النمو في الصين وأقترنت منها (ما بين ١٩٧٠ - ٩٠).

وعلى الرغم من الوضع الاجتماعى المهدد، والمركب الذى يسود الهند، حيث يتعاضد فيها الفقراء ولعلماء، المبدعون والمثقفون، المتهورون والصفوة، المعاصرة البسيطة ورجال الأعمال الكبار، أصحاب الصناعات الصغيرة وأصحاب الشركات المتعددة الجنسيات، الكبر الكاتب والأيام في اللغة الإنجليزية من ذببة من الأمية لتصل إلى ٤١٪، إلا أنها تقرر طبقة متوسطة قوية تسلمة أكثر من ٣٠٠ مليون ١٠٠ مليون نسمة. إلى أكبر عدد من الشعب الأمريكى الذى تحمل على عاتقه عبء التقدم وتحافظ على التقاليد، الدينى، الثقافية السياسية العريقة، وتضرب آلاف الحكومات والمهندسين وبيرويس الكمبيوتر والخبراء والعلماء، في جو من الاستقرار والتمسك المثير للإعجاب، والذى لم يعرف حالة الشكس واحدة في الميكانيكية والفضح والكم الطوائف الذى عرشته عشتار من الدول التى نالت استقلالها في وقت متزامن مع الهند، وذلك برغم الحروب التى خاضتها (أربع حروب مع باكستان والصين) والذائع الطائفية التى لا تتوقف على المسلمين والهندوس، وأجواء القلق والتمزق الأسبوعية المتصاعدة من ناحية، وتصعير الهند بين الصين من ناحية، والتمرد الأسبوعية المتصاعدة من ناحية أخرى، واليابان وكوريا الجنوبية من ناحية ثالثة، وكلها تجرى في سباق مع الزمن ومع التحديلات الاقتصادية ومخاطر المعولة وحصى المنافسة.



لا جدال في أن أحداث سبتمبر ٢٠٠١ كانت فرصة ذهبية غير متوقّعة لإزالة كثير من العقبات في طريق صعود الهند إلى مصاف الدول العظمى. ونحن أذعن أخبار الهجوم الذى وقع على واشنطن ونيويورك، فقد انزل ببيار فاجيها رئيس الوزراء اجتماعاً عاجلاً مع مستشاريه، وقرر دون تردد، مساندة الهند الكاملة لتلاويات الحرب، وكان المانع وراء هذا القرار هو الاستنزاف الذى سببته الحرب بالوكالة التى جرت بين باكستان والهند في منطقة كشمير المتنازع عليها منذ عقود، حيث ظلت أجرة الفاعرات الباكستانية تساعد الجهاديين، الإسلاميين الذين يهودون حركة الانفصالية في كشمير ضد السيطرة

الهندية، فإنما تحت الهند في تحويل هذا النزاع الدامى إلى فصل من فصول الحرب التى تقودها أمريكا ضد الإرهاب العالمى، واستغلال العلاقات الوثيقة بين باكستان وتنظيم القاعدة لتصوير الهند كخصية للإرهاب الأستراليين الإسلامى، فإنها تكون قد تقلبت على أهم العقبات التى تعترض طريقها إلى عصر المعافاة وكسبت تأييد الولايات المتحدة.

كانت العلاقات الهندية الأمريكية قد شهدت بعض التحصن أثناء رئاسة كلينتون بعد مرحلة من الشكور عصابة التجارب النووية التى أجرتها الهند عام ٩٨، عندما تدخل كلينتون بقوة لدى باكستان لتسحب قواتها التى دفعت بها إلى كشمير وأوشكت أن تلتصق حرب بين الجانبين، وأعطيها بوزارة رسمية للهند، ثم لم يلبث بوثن أن استمر في سياسات التقارب مع الهند، التى اعتبرها على استراتيجيته الجديدة

فقط تزان مهمة في آسيا لمسات العلاقات مع الصين فى مهب من الأسياب.

غير أن نقطة التحول الحقيقية في العلاقات جاءت مع إعلان الهند ضد الإرهاب، ودخل هذا المرحلة تعاون أمنى وثيق بين واشنطن ونيودلهى،

الذى وقع الغزوات من الهند وإلغاء الحظر النووى، فى عهد، على ما يعرف بالاشتراك لوجيا المتزوجة التى يمكن أن تستخدم في أغراض مدنية وعسكرية في وقت واحد، وصممت واشتطن إسرائيل بتزويد، بالذخيرة جوية وأنظمة إنذار مبكر، وبمركبات طائرات مقاتلة، وأنظمة رادار لتصلح الطائرات الروسية، ولم تعلق واشتطن كثيراً حين أخرج الهند ثاجرها على قاذف صاروخية من طراز داجني، فى نهاية عام ٢٠٠٠، وأرتفع حجم الصادرات الهندية إلى أمريكا ليصل إلى ١٠ مليارات دولار مقابل ٤ مليارات وارتد من أمريكا

والذى اجتمع القمة الذى عقدهه مجموعة من التجار جنوب شرقي آسيا وهي منظمة للتدافع عن المصالح الاقتصادية وتعزيز التعاون الاقتصادي بينها، التقى فاجيها وعشر وفائق الطرفان على بدء مرحلة جديدة من الحوار على طريق السلام، اللزم، النزاع حول كشمير، تلخت باكستان عن دعمها للميليشيات الإسلامية المسلحة في كشمير، وافقت على عدم التمسك بحق تقرير الصير لشعب كشمير، وفى المقابل وافقت الهند على تسوية القضية بالطرق السلمية وإعادة العلاقات الدبلوماسية وطرق الولايات بين البلدين لبناء جو من الثقة.

خلال المقربين الجاهرين على جمع الصين كدولة صديقة لشكك الدول الناجم من مصالحها بل وفرضها إلى لمر الأمر، وأعطيتها الهند، التى أحدثت شكك طرفها بسرعة كبيرة لتنبؤ مكانها كقوة عالمية صاعدة، ويتنبأ كثير من الخبراء بأنه إذا كان القرن الواحد والعشرون قد بدأ أمريكا، فقد لا يتسلسل قبل أن يكون أسبانيا، وتترك الولايات الأمريكيات في آسيا، والصين والهند، أن مستقبلها رهق بقتام تعاون وثيق، لتتدو حول سائر الدول الأسبوعية لتشكل في الشرق مركز قسوة عالمية تتوازن أمريكا وأوروبا في الغرب.

من هنا تبدو الحاجة ملحة لكى يعيد العرب النظر في توجهاتهم لإعادة بناء شق مستقر ومستقبل لعلاقات وثيقة مع العملاقين الصاعدين في آسيا، وروبا

كانت الهند أقرب تاريخياً وجغرافياً وثقافياً إلى العالم العربى، بل ربما كانت الجسر الذى يربط العرب بآسيا.

ويكفى أن ننظر إلى أجمل جواهره فى التراث الحضارى لشكك في الشرق مركز الحائلة على بعد مائتى كيلو متر من دلهى تلك التى شيدها سلطان مسلم

لجنيته وريقة حياته فى القرن السادس عشر، لتدرك عمق التأثير الذى لركة الحكام المسلمين من المائى على العقل الهندى والحضارة الهندية، ذلك

البرج الغريب المتماثل الذى ذك بين الهندوسية والإسلام في أمة واحدة ١١

الحرب التى تظهر في توجهاتهم لإعادة بناء شق مستقر ومستقبل لعلاقات وثيقة مع العملاقين الصاعدين في آسيا، وروبا

كانت الهند أقرب تاريخياً وجغرافياً وثقافياً إلى العالم العربى، بل ربما كانت الجسر الذى يربط العرب بآسيا.

ويكفى أن ننظر إلى أجمل جواهره فى التراث الحضارى لشكك في الشرق مركز الحائلة على بعد مائتى كيلو متر من دلهى تلك التى شيدها سلطان مسلم

لجنيته وريقة حياته فى القرن السادس عشر، لتدرك عمق التأثير الذى لركة الحكام المسلمين من المائى على العقل الهندى والحضارة الهندية، ذلك

البرج الغريب المتماثل الذى ذك بين الهندوسية والإسلام في أمة واحدة ١١

الحرب التى تظهر في توجهاتهم لإعادة بناء شق مستقر ومستقبل لعلاقات وثيقة مع العملاقين الصاعدين في آسيا، وروبا

كانت الهند أقرب تاريخياً وجغرافياً وثقافياً إلى العالم العربى، بل ربما كانت الجسر الذى يربط العرب بآسيا.

ويكفى أن ننظر إلى أجمل جواهره فى التراث الحضارى لشكك في الشرق مركز الحائلة على بعد مائتى كيلو متر من دلهى تلك التى شيدها سلطان مسلم

لجنيته وريقة حياته فى القرن السادس عشر، لتدرك عمق التأثير الذى لركة الحكام المسلمين من المائى على العقل الهندى والحضارة الهندية، ذلك

البرج الغريب المتماثل الذى ذك بين الهندوسية والإسلام في أمة واحدة ١١

الحرب التى تظهر في توجهاتهم لإعادة بناء شق مستقر ومستقبل لعلاقات وثيقة مع العملاقين الصاعدين في آسيا، وروبا

كانت الهند أقرب تاريخياً وجغرافياً وثقافياً إلى العالم العربى، بل ربما كانت الجسر الذى يربط العرب بآسيا.

ويكفى أن ننظر إلى أجمل جواهره فى التراث الحضارى لشكك في الشرق مركز الحائلة على بعد مائتى كيلو متر من دلهى تلك التى شيدها سلطان مسلم

لجنيته وريقة حياته فى القرن السادس عشر، لتدرك عمق التأثير الذى لركة الحكام المسلمين من المائى على العقل الهندى والحضارة الهندية، ذلك

البرج الغريب المتماثل الذى ذك بين الهندوسية والإسلام في أمة واحدة ١١

أدركت الهند - على عكس

مصر - أن عدم الانحياز ليس

إلا شوقاً شفافاً رقيقاً لا يحمى أصحابه

من برد الشتاء أوقظ الصيف، ومن ثم فلا بد

من بناء قوة ذاتية قادرة على الدفاع

عن نفسها ضد الأخطار

القائمة والمستقبلية



وتحت مظلة التعاون الاستراتيجى مع أمريكا تتحرك الهند على محاور ثلاثة، وتوسيع شقها الحدودية مع الصين، وتوسيع نطاق التعاون الاقتصادى (٢٠ مليار دولار حجم التجارة بينهما)، والتوصل إلى تسوية سلمية لكشمير، وخلق منظمة قوية للتعاون الاقتصادى لدول جنوب شرق آسيا.



منذ انتهت الحرب الباردة، وتفككت كتلة دول عدم الانحياز، والمهاتر الوحدة العربية في غمرة خلافات طاحنة بسبب

الفشل الغربى في إدارة الصراع العربى الإسرائيلى من ناحية، وظهور جماعات عربية خارج إطار الجامعة العربية من

ناحية أخرى، الشدت المنافسة على الهند أذيت أمة رعان حاسر، هو الولايات المتحدة الأمريكية حيناً، والاتحاد الأوروبى حيناً

آخر، أو الاثنين معاً في معظم الأحيان، وفى المقابل شهدت العلاقات العربية، على مستوى

الأسبوعية فثراً شديداً، على مستوى التعاون السياسى والاقتصادى والثقافى

وإن بقيت الصلات الإنسانية من خلال المعاملة الأسبوعية الكشكية في منطقة الخليج، بمثابة جسر من التواضع لا ينقطع.

خلال المقربين الجاهرين على جمع الصين كدولة صديقة لشكك الدول الناجم من مصالحها بل وفرضها إلى لمر الأمر، وأعطيتها الهند، التى أحدثت شكك طرفها

بسرعة كبيرة لتنبؤ مكانها كقوة عالمية صاعدة، ويتنبأ كثير من الخبراء بأنه إذا كان القرن الواحد والعشرون قد بدأ أمريكا، فقد لا يتسلسل قبل أن يكون أسبانيا، وتترك الولايات الأمريكيات في آسيا، والصين والهند، أن مستقبلها رهق

بقتام تعاون وثيق، لتتدو حول سائر الدول الأسبوعية لتشكل في الشرق مركز قسوة عالمية تتوازن أمريكا وأوروبا في الغرب.

من هنا تبدو الحاجة ملحة لكى يعيد العرب النظر في توجهاتهم لإعادة بناء شق مستقر ومستقبل لعلاقات وثيقة مع العملاقين الصاعدين في آسيا، وروبا

كانت الهند أقرب تاريخياً وجغرافياً وثقافياً إلى العالم العربى، بل ربما كانت الجسر الذى يربط العرب بآسيا.

ويكفى أن ننظر إلى أجمل جواهره فى التراث الحضارى لشكك في الشرق مركز الحائلة على بعد مائتى كيلو متر من دلهى تلك التى شيدها سلطان مسلم

لجنيته وريقة حياته فى القرن السادس عشر، لتدرك عمق التأثير الذى لركة الحكام المسلمين من المائى على العقل الهندى والحضارة الهندية، ذلك

البرج الغريب المتماثل الذى ذك بين الهندوسية والإسلام في أمة واحدة ١١

الحرب التى تظهر في توجهاتهم لإعادة بناء شق مستقر ومستقبل لعلاقات وثيقة مع العملاقين الصاعدين في آسيا، وروبا

كانت الهند أقرب تاريخياً وجغرافياً وثقافياً إلى العالم العربى، بل ربما كانت الجسر الذى يربط العرب بآسيا.

ويكفى أن ننظر إلى أجمل جواهره فى التراث الحضارى لشكك في الشرق مركز الحائلة على بعد مائتى كيلو متر من دلهى تلك التى شيدها سلطان مسلم

لجنيته وريقة حياته فى القرن السادس عشر، لتدرك عمق التأثير الذى لركة الحكام المسلمين من المائى على العقل الهندى والحضارة الهندية، ذلك

البرج الغريب المتماثل الذى ذك بين الهندوسية والإسلام في أمة واحدة ١١

الحرب التى تظهر في توجهاتهم لإعادة بناء شق مستقر ومستقبل لعلاقات وثيقة مع العملاقين الصاعدين في آسيا، وروبا

كانت الهند أقرب تاريخياً وجغرافياً وثقافياً إلى العالم العربى، بل ربما كانت الجسر الذى يربط العرب بآسيا.

ويكفى أن ننظر إلى أجمل جواهره فى التراث الحضارى لشكك في الشرق مركز الحائلة على بعد مائتى كيلو متر من دلهى تلك التى شيدها سلطان مسلم

لجنيته وريقة حياته فى القرن السادس عشر، لتدرك عمق التأثير الذى لركة الحكام المسلمين من المائى على العقل الهندى والحضارة الهندية، ذلك

البرج الغريب المتماثل الذى ذك بين الهندوسية والإسلام في أمة واحدة ١١

الحرب التى تظهر في توجهاتهم لإعادة بناء شق مستقر ومستقبل لعلاقات وثيقة مع العملاقين الصاعدين في آسيا، وروبا

كانت الهند أقرب تاريخياً وجغرافياً وثقافياً إلى العالم العربى، بل ربما كانت الجسر الذى يربط العرب بآسيا.

بواطن هذه الأصعدة الثلاثة واستطلاع تفاعلاتها وتداخلاتها.

لقد سيطر الشمال على مجريات السياسة المركزية منذ الاستقلال، أي أن الرؤى التي تبنتها الأحزاب الشمالية هي التي شكلت الخيارات الوطنية العتمة، ومن بين تلك الرؤى التي ترسخت عبر ممارسة متطاولى فى المركزية فى الإدارة والحكم، مرد ذلك بصورة عامة هو تأثر الطبقة السياسية التي تحقق على يدها الاستقلال بالنموذج البريطاني. وقد كان اختياراً طبيعياً ومتوقفاً خاصة أن القوى الاستعمارية عادت على شيء من العجلة، إثر قنمى الحركة التحررية فى المستعمرات بعد الحرب العالمية الثانية. فى ذات الوقت الذى تصاعدت فيه الدعوة داخل المؤسسات السياسية للسودان الاستعمارية نفسها لإنهاء الاستعمار اعتباراً بحقائق ما بعد الحرب، تلك التحولات السريعة لم تعد الحركة الوطنية وفقاً كافياً لايتلاءم خياراتها الأخرى فى الحكم والإدارة والمفاضلة بين كل النظم الجارية فى العالم. وقد أعد الدستور الانتقالي بسرعة تناسبت مع السرعة التى عادت بها المقلب العسكرية الاستعمارية، فكان حتماً أن يتسبب واضع الدستور من أقرب النماذج المتاحة لهم.

بخلاف خيار المركزية، عرطت الحركة السياسية الجنوبية خيار اللامركزية الفيدرالية ضمن سودان موحد، وقد كان طرحة متقدماً والنسبة للفكر السائد، لكن ذلك المطلب رفض لسبب رآته الأحزاب الشمالية بديها وهو غرض مقصبات الفيدرالية ونتائجها على وحدة السودان. ومن هنا نشأ الصراع السياسى وتطور إلى حرب فى دورات متتحدة.

ثم إن الحركة السياسية الشمالية بدأت تلمن تجاه فكرة اللامركزية بسبب نمو وعيها السياسى، وأيضاً لإدراكها صمودية حكم السودان بصيغة مركزية قابضة، بل استحالته، فظهر ذلك أولاً فى مرحلة متقدمة فى الفترة الحزبية الثانية (١٩٩٦-١٩٩٧) على أطوارات جبهة الميثاق الإسلامى، لكن اللامركزية متمثلة فى صيغة الحكم الذاتى وجدت طريقاً لتطبيقات عملى، متجاوزة الطرح النظرى، فى فترة حكم الرئيس جعفر نمري بعد توقيع اتفاقية أديس أبابا فى ١٩٧٢، وسرعان ما ظهرت الحكمة من تبني اللامركزية حينها تمتمت البلاد بسلام ووحدة أما أحد عشر عاماً. لكن تلك التجربة تسيرت تعرضت لانتكاسات بأسباب يمكن قصصها فى المركز والجنوب كليهما، فى المركز قفرت التجربة عن تطوير الصيغة اللامركزية



عندما اعتمد مبدأ تقرير المصير لجنوب السودان، دلت السياسة السودانية إلى منعطف غير مسبق. فقد صعد الجنوبيون مطلبهم التاريخى بتطبيق اللامركزية الفيدرالية درجة أخرى إلى مطلب يحتمل الانفصال. وأن وافق المفاوضون الحكوميون على المطلب الجديد فى لقاءات فرانكفورت بالمانيا عام ١٩٩٦ حتى سارعت الحركة السياسية، حاكمية ومعارضة، شمالية وجنوبية، إلى تبنيه فى مواقفها وأيدياتها. ومن ثم دخل مبدأ تقرير المصير فى صلب مبادرة الإيفاد عام ١٩٩٣، واتفاقية الخرطوم لسلام عام ١٩٩٧، ثم الدستور الحالى المجازى فى عام ١٩٩٨، وأخيراً فى بروتوكول شكاوى عام ٢٠٠٢. بمقارنتها هذا التطور الجوهري فى الموقف من مبدأ تقرير المصير تأهلت المرحلة الراهنة لأن توصف بأنها منعطف غير مسبق يحمل فى طياته الكثير من الملام الحسام والمخاطر العنيفة. ولا يعنى هذا المقال بتوجيه النقد أو المدح لمبدأ تقرير المصير، أو الطريقة التى اعتمد بها، بقدر ما يعنى بالنظر إليه وإلى ما لآلته باعتباره حقيقة سياسية عملية ماثلة ستترتب عليها نتائج مهمة ومعقدة على مستوى الإقليم وإفريقيا.



غازى صلاح الدين العتبانى

لقد أحدث الدخول السريع المستقر لمبدأ تقرير المصير فى وثائق السياسة السودانية مكاماً مبادئ أسس القوى السياسية الشمالية قبيل استقلال السودان. يومذاك رفضت الأحزاب الشمالية حتى مبدأ اللامركزية الفيدرالية باعتباره دعوة انفصالية متعذرة، واليوم تتهافت تلك القوى وتتناهى فى إعلان موقفها المؤيد لتقرير المصير من منطلقات مبدئية، ومنها ما يعضى عليه قدامس خاصة باعتباره حقاً شرعياً سماوياً لكفله الأديان. لكن الحركة السياسية الشمالية فى السودان تكاد تتفق على أن المسمى نحو تقرير المصير ينبغى أن يتوج بوحدة طوعية، والتعبير بلغة (تكاد، مقصود لأن ثيارات ناشئة فى الشمال اليوم أخذت تدعو إلى الانفصال صراحة، وهو شيء فريد بالمقاييس التشغيلية وينبغى أن يولى عناية واهتماماً إذا تحول إلى تيار نام. الموقف المقابل للحركة السياسية الشمالية هو موقف الحركة السياسية الجنوبية، تاريخياً حدث استقطاب بين كتلة جبهة الجنوب ذات النزعة

الحد، أى دون الوصول عملياً إلى نهايات انفصالية، وهذا التفسير الأخير للموقف الغريب هو النسخة التى بدأت الآن تكتسب قبولاً أوسع لأسباب استراتيجية سيأتى ذكرها. ولا بد من الإشارة هنا إلى خطأ الاعتقاد الشائع بتطابق المواقفين الجنوبى والغربى، إنه اعتقاد لا يصح بصورة غير مقيدة، وليس بمستبعد أن يصطدم الموقفان فى لحظة ما بسبب اختلاف التطلعات والمصالح.



التفاعل النشط داخل هذه الأصعدة الثلاثة (الشمال، الجنوب، والقبلى الخارجية) وفيها بينها، سيحدد الإجابة النهائية لما إذا كان سيبنى السودان موحداً أم سينشطر إلى دولتين أو أكثر. ومن هنا تصدر أهمية البحث الدقيق فى

الانفصالية وكتلة حزب سالدو الذى النزعة الحدودية على أساس الفيدرالية. ربما تعدلت هذه المواقف التاريخية كثيراً نحو تقوية النزعة الانفصالية، لكن هذا مما يصعب قياس مده وتجدزه بدقة فى ظل الانسحاب الحاد الحالى الذى أحدثته الحرب، كما أن الحالة النفسية النهائية للجنوبيين يمكن أن تتحول إيجابياً نحو الوحدة على خلفية النتائج العملية للسلام.

إزاء تلك المواقف السودانية الداخلية من تقرير المصير، يبدو المواقف الخارجية متفاوتة ومتأرجحة. فبينما ثبثت مصر على موقفها الرافض للمبدأ استناداً على اعتبارات استراتيجية معلومة، فراح الموقف الغربى بين نظيرين متداخلين: الأول هو قبول للمبدأ بكل احتمالاته، والآخر هو هيلول مقيد يرمى إلى استخدام المبدأ لانتزاع مكاسب تفاوضية من الحكومة المركزية والموقف عند ذلك

.. الطريق الصعب إلى الوحدة

أو الانفصال ميداناً واسعاً لتأثيرات القوى السياسية الشمالية أو الجنوبية حسب كفاءتها السياسية ومقدرتها على تشكيل الأحداث، ومن هنا لا بد من الأخذ في الاعتبار الصعيد المؤثر الثالث وهو القوى الخارجية، فتفاعل هذه الأفعدة الثلاثة هو الذي سيملي المصير النهائي لرحلة السودان إلى الاستقرار والوحدة.

بالنسبة لمصر فإن الموقف الاستراتيجي من الانفصال ومن ادائه القانوني وهو تقرير المصير سيظل كما هو. فليس هناك ما يدعو مصر لأن تتنازل عن موقفها وقد أخرجتها القوى الولية الأخرى من مصادرات الحل. قد يخفت صوت مصر في تكرار التعبير عن موقفها من باب الواقعية السياسية، وأيضاً مراعاة علاقاتها مع القوى السياسية بالجنوب، لكنها بعد أن تتنازل عن موقفها تماماً أمام مبرر واضح، ويدل على تبنى موقف جامد يطلب أن تدخل مصر ساحة المناقشة، وحق لها، بإنشاء علاقات متينة مع القوى الجنوبية عامة والوحدوية منها بصورة خاصة. وربما دفعت دولا عربية أخرى، فرادى وعبر الجامعة العربية، لتبني مواقف مشابهة، والهدف من ذلك هو التأثير على تلك الساحة المشتجرة بالمتغيرات بغية الانسحاب النهائي لخيار الوحدة.



بالنسبة للدول الإفريقية عامة والمجاورة للسودان خاصة، فإنها وإن بدأت متحمسة لتقرير المصير لكن احتمالات الانفصال العملي تشكلت حاجساً مطلقاً لها. والنسب هو أن الانفصال أو حدث سيكون سابقة قوية لانتهكها ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية الذي قضى بامتداد الحدود الاستعمارية أعشاداً نهائياً. ولا يجوز القياس على الحالة الأيرلندية لأنها كانت منبذة بقرارات دولية، وهي بذلك كانت حالة استقلال وليست حالة انفصال. لكن الذي سيحدث في جنوب السودان إذا ما انفصلت، هو بالتأكيد القانوني انفصال وليس استقلالاً. وهو ما سيفتح الباب على مصراعيه لانفصالات أخرى غير متناحية في إفريقيا التي تزكم خراطة بلدانها بخطوط التصعد العرقية والجهوية. ولا شك أن حدثاً كهذا سيفتح فصلاً استثنائياً للملاحم والاحتمالات في تاريخ إفريقيا منذ أن وجدت.



وأجراء التعديلات الضرورية عليها، خاصة أن السياسة كانت تمضي وفق سنن لتساهل الموكابية والتجميد، ومحاولة التطوير الأساسية التي أجريت بإعادة تقسيم الجنوب إلى ثلاث ولايات فست بأنها نقض للاتفاقية. وفي الجنوب، اندمجت صراعات الجنوبيين القبليّة وتوسلت كل فئة بالكيد للفئة الأخرى حتى تنكمض لرأبها.

الموقف في الشمال الآن يتعرض لتحورات شبه جذرية على خلفية تطاول المشكلة وتضاعف تكاليفها وازدياد فناعة قطاع متنام من الشماليين بأن المسألة قد خرجت من كونها قضية صادرة وأصبحت أداة للتأثير بواسطة الغرب وحلفائه المحليين. وتزداد هذه القناعة بسبب أن تقرير المصير قد أصبح الآن مبدأ مقراً يمكن الرجوع إليه في حالة الاختلاف على شروط التعايش في صيغة موحدة، ولم يعد من سبب لاستخدام قضية الجنوب لاقتضاء وحل لمع إضافي من فخذ الشمال نفسه، ويحتج هذا الفريق الذي بدأ يعلو صوته مؤخراً، بأن خيار تقرير المصير، في ظل المعطيات الراهنة، لا ينبغي أن يظفر إليه باعتباره الخيار الثاني أو الأسوأ وإنما الخيار الأول والأفضل، وإلى تلك الغاية ينبغي أن يمضي التفاوض. قد يختلف المراقبون في تقويم هذه التحورات ومدى رسوخها وجديتها وتصيرها عن إرادة حقيقية أو تيار جهاد في السياسة الشمالية، لكن لا الخلاف على أن هذا النوع من الخطاب الذي لا يمكن مقبولاً أو متصوراً إلى وقت قريب أصبح يعبر عن نفسه بغير غفلة معهودة.

هذا التيار الانفصالي الحادث بخطابه الجديد يقابله تيار آخر لم يكن معهوداً في السياسة الشمالية إلى وقت قريب، وهو التيار الذي تشكله القوى الشمالية المنسوبة بإقامة تحالفات استراتيجيية مع القوى الجنوبية والاستثمار بها في دفع قضاياها على الساحة المركزية. هذه الظاهرة تمثلها الآن صيغة التجميع الوطني والحالفات السياسية الأخرى خارج التجميع بين الحركة الشعبية من ناحية وحزب الأمة، والمواثيق الشيعية من ناحية أخرى. بالإضافة إلى تلك القوى السياسية التقليدية هنالك القوى الجهوية أو قوى الزيف في الشمال التي أخذت تنشئ علاقات أبلغ وأعم استراتيجيية مع الحركة الشعبية كما يرى الآن في بعض مناطق دارفور وجنوب كردفان. وتتفاوت درجة الانبساط في علاقات تلك القوى كافة بالحركة الشعبية من استراتيجيية إلى انتهازية ظرفية، لكنها في كل

الحالات تظل متغيراً مهما في تشكيل الواقع السياسي وصياغة التحالفات عبر حدود الشمال والجنوب التقليديّة. وإذا أخذنا الساحة الجنوبية نجد أن الموقف من الوحدة أكثر تعقيداً مما يبدو. فالافتراض صحيح بأن العاطفة الغالبة الآن هي انفصالية، لكن الواقع الجنوبي أكثر تعديدية وتنعوماً من الشمال وأقل تماسكاً داخلياً مبنياً على ثقافة موحدة. فلا التركيبيّة العرقية، ولا التطور السياسي والاجتماعي لمناطق الجنوب المختلفة ومجموعاته السكانية، ولا العلاقات المتطاعمة السكانيّة، ولا العلاقات التاريخيّة والسكانيّة لتلك المناطق والجموعات مع الشمال تجعل من الجنوب وحده متماسكة تجاه أي قضية بعد أن يأتي السلام. أي أن الوحدة الظرفية والاستثنائية التي نشأت في الجنوب بسبب الحرب وتجدد الخصومة مع الشمال مرشحة لانفراط كبير على

سفوح جبال من التناقضات والاختلافات والصراعات الجوهرية على الرؤى والمصالح، وهذا هو الذي يفسر حقيقة أن فرض الجنوبيين بعد السلام في إيجاد حلفاء شماليين بين القوى من فرصهم في استقاء أحلافهم الجنوبيّة. وهذا تمهيداً ما يفسر حرص الحركة الشعبية وزعيمها جون قرنق على تقوية أحلافهم الشماليّة وتنميتها. لحلمهم بصعوبة إقامة أحلاف جنوبية قوية واستدامتها. ولهذا لا ينبغي أن يكون مفاجئاً في سياق تطبيق اتفاقية السلام أن نشهد نمو الصوت الانفصالي في الشمال وتضاؤلّه في الجنوب. هذه التيارات المتقاطعة حيناً والتعاضدة تارة تستعمل التصور للموقف النهائي من الوحدة سواء في الشمال أو الجنوب أكثر تعقيداً مما هو شائع. والأهم من ذلك هو أن هذه الحقائق تستعمل الضرورة النهائية إلى الوحدة



تراها به الحكومات. لكن الانفصال
سببى الخيار المتأخر فى مرتبة
الأولويات.



هذه الأصعدة الثلاثة وتفاعلاتها
ستعمل على خلقية واقع لنشط
التحولات، ستفرزه اتفاقية السلام. إذ
تحدث الاتفاقية عن خمس خطوات هى
المدخل إلى خمس مراحل مهمة لإحداث
التحولات السياسية الضامنة لتطبيق
الاتفاقية والاستدامة الأولية النهائية
للموضوع فى السودان، سواء الوحدة أو
السلام المتروك بصيغ محابية أو جاذبة
للجنوب.

المرحلة الأولى: هى تشكيل حكومة
القاعدة العريضة، التى لنس عليها
بروتوكول مشاكوس، فور توقيع اتفاق
السلام. وبمقتضى ذلك سندخل إلى
دائرة الحكم قوى ظلت حتى الآن فى
موقع المعارضة طيلة السنوات الخمس
عشرة الماضية.

المرحلة الثانية: هى إعادة صياغة
السنور الوطنى عبر الجبهة الوطنى
الجامع لفرعاج السنور، وهو ما سيجرى
فى الأشهر الستة الأولى بعد توقيع
الاتفاقية (الفترة قبل الانتقالية)
بمشاورة واسعة من القوى السياسية
والاجتماعية.

المرحلة الثالثة: تشملها مهمة تكوين
تطبيق الاتفاقية من خلال لجنة مكونة
من طريق الاتفاق بالإضافة إلى ضامنى
الاتفاق من البول والمنظمات الإقليمية
والعالية، وذلك فى السنوات الثلاث
الأولى من الفترة الانتقالية الممتدة
سنوات.

المرحلة الرابعة: هى الانتخابات
العامه التى ستجرى تحت إشراف حكومة
القاعدة العريضة نحو نهاية النصف
الأول من الفترة الانتقالية.

المرحلة الخامسة والأخيرة: هى
إجراء الاستفتاء بين الجنوبيين لتقرير
المصير السياسى للجنوب فى نهاية
الفترة الانتقالية. ورغم أن هذا الحدث
بحد ذاته يعنى المواطنين الجنوبيين
حيدراً، إلا أنه لا يخلو قابليته لإيجاد
تحالفات واستقطابات واسعة داخل كل
الساحة السياسية الوطنية، شمالية
وجنوبية، وبين القوى الوطنية والأخرى
الخارجية.

هذه المراحل الخمس توشف خلقية
مزجحة بالخطبات والتغيرات والحركات
التى من شأنها أن تتفاعل مع ما يحدث
داخل الأصعدة الثلاثة المذكورة آنفاً،

بالنسبة لصمر فإن الموقف الاستراتيجي من الانفصال ومن أداته القانونية وهو تقرير المصير سيظل كما هو. فليس هناك ما يدعو مصر لأن تتنازل عن موقفها وقد أخرجتها القوى الدولية الأخرى من معادلات الحل



والإسلامي، وايضاً في سياق ما تصنفه
بأنه معركتها ضد الإزهاب والتهديدات
التى واجهت حملاتها عليه فى العراق
وأفغانستان. ومن هذا تقبين صحة الاعتقاد بأن
الغرب ينجس مبدأ تقرير المصير من
منطلق يختلف بدرجة ما عما قد ينطوى
عليه الموقف الجنوبى. إنه يرمى إلى
استخدام المبدأ رافعة تفاوضية تحقق
أكبر المكاسب له. وأكبر المكاسب للغرب
ليس بالضرورة متطابقة مع المكاسب
الجنوبية. بل قد تكون متناقضة معها
أحياناً. تلك المكاسب تتمثل فى شيئين
رئيسيين:

أولاً: المكاسب الاقتصادية المذكورة
آنفاً، وثانياً: المكاسب الثقافية بجعل
ارتباط الجنوب مع الشمال فى صيغة
موحدة أداة لكبح ما يصفونه بالانجهاات
المتطرفة فى الشمال. تلك الانجهاات
التى أبدت نفسها فى الثورة الهيدية، ثم
فى الجبل العفرى فى السياسة السودانية
الشمالية للاقتباس من الأطروحات
العروبية والإسلامية.

إن تبسنى الغرب لهذا الموقف أو
بالأحرى تفضيله إياه لا يعنى أنه قد
اسقط خيار الانفصال بالكلية. أو على
الأقل لا يعضى أن بعض الدوائر فى
الغرب قد أسقطت هذا الخيار، إلا علينا
أن نتذكر أن الغرب هذا فى الولايات
المتحدة الأمريكية، يعج اليوم بالحركات
والتيارات الدينية والإيديولوجية التى
تقرى الأمور بغير مظهر المصالح التى

الجنوبى، ونظرتها لشروعية الانفصال
فى المبدأ، وتكريراتها الحريية عن كلمة
الحرب. كل هذه العوامل ستدفع الدولة
الشمالية لأن تتخذ موقفاً عدائياً
مستترا أو معلناً، تستجيب به التداخلات
المشعوعة فى الجنوب بصفة تعميق
الصراعات داخله.

الرائع: هو أن علاقة مأزومة كهذه
ستعنى عملياً نهاية أحلام الدول الغربية
فى الاستفادة من الإمكانيات الاقتصادية
والتنموية للسودان الموحد. فى مجال
البترو وغيره. وسيعنى أن الاستراتيجية
البتروية الجديدة للغرب التى تنحو إلى
تقليل الاعتماد على بترو الخليج قد
تصعقت على صغور الانفصال. وتتقوى
هذه الحقيقة بسبب أن مناطق إنتاج
البترو الحالية على حود حدود التماس
بين الشمال والجنوب وفى أكثر المناطق
عرضة لأن تصبح مسرحاً للمواجهة
والصراع.

الخامس: هو كما ورد سابقاً فإن
انفصال جنوب السودان سيوفر سابقة
قانونية حاسمة تفتح باب الانفصالات
وإعادة رسم الحدود فى إفريقيا بصورة لا
يبدو أن العالم العربى مهما للتعامل مع
تبعاتها ومقتضاياتها الآن. فضلاً عن أن
تبنى الانفصال قد يوقع الولايات المتحدة
الأمريكية على وجه الخصوص فى
تناقض مصالح مع حلفائها الإقليميين
فى المشرق العربى، وهو ما لا نقتضه
فى سياق مصالحها الرافضة مع الروح
العدائية تجاهها فى العالمين العربى

بالنسبة للدول الغربية فإن نظرتها
للانفصال ستترتب كعادة بتقديرات
مصالحها أكثر من اعتبارات الاستقامة
على مبدأ منزه من الخرش نحو حق
الجنوبيين فى الانفصال. وتقديرات
الصلحة ستجعل من الانفصال كارثة
على الترتيبات الغربية الراهنة
لإفريقيا. ويمكن التبدل على ذلك
بخمسة أسباب:

الأول: هو أن الانفصال سينتس
دولة جديدة فى جنوب الشمال الراهن،
ومجرد نشوء دولة جديدة يستدعى
مواءمات وتكيفات جديدة على الصعيد
الإقليمى وفى الساحة العالمية. وهذه
مسألة ذات تكاليف مادية وسياسية.

الثانى: هو أن تلك الدولة الناشئة
من الانفصال ستكون معلومة من عدة
وجود. هناك شك فى ميدا مقدرتها على
إقامة كيان حقيقى عامل لدولة حديثة.
وذلك على خلفية كثافة تبانيها العرقى
القوى. مخافة بالمشكلات الشبيهة فى
دولة كرواندا، مثلاً وهى التى يقطنها
عرقان رئيسيان فقط. أو الصومال التى
يقطنها عرق واحد. وهى ستكون دولة
محيرة ليس لها مناذر إلى البحر

وستبقى تحت رحمة دولة الشمال من
ناحية وتكتسب من ناحية أخرى فى
صداقتها وزداتها الرئيسة عبر البحر.
وهى ستكون دولة بلا بنيات أساسية
نسبة لحالة الجنوب المظلمة بسبب
الحرب المتواصلة.

الثالث: هو أنه من المستحيل أن
تظل العلاقة بين الدولة الناشئة فى
الجنوب والكيان الأم فى الشمال علاقة
صداقة أو تعايش. والمؤكد هو أن العلاقة
ستكون مأزومة وستطور فى فترات إلى
حروب. وتاريخ الانفصال فى الدول
النامية كلها يجرى كذلك. أبداً من الهند
وباكستان، اللتين تهدد المواجهة بينهما

العالم كله بحرب نووية، وكوريا
الشمالية والجنوبية حالة أخرى
مماثلة. مروراً بسابقة انفصال باكستان
الشرقية (بنجلاديش لاحقاً) وباكستان
الغربية، وتجربة الهندين، ثم بوسنلايا
السلافية، وانتهاء بتجربة استقلال
إريتريا. لقد خلفت كل تلك التجارب

جروحاً ما تزال نافذة وأدت إلى زعزعة
السلام الإقليمى فى الحد الأدنى. وفى
مثل هذا الصراع ستكون الدولة
الجنوبية الأقرب إلى الغرب على
الأضعف بسبب موقعها الجغرافى
وتكوينها العرقى وعوامل تفككها
الداخل وهشاشة تطورها التاريخي.
كما أن أصماغ الدولة الشمالية
وتفسيها لحقوق مجتمعات التماس
الشمالية ذات المصالح فى العمق

وحصيلة تلك المفاوضات هي التي ستحدد المصير النهائي للسودان.

من هذا المنطلق ينبغي فهم التحديات والواجبات التي تميز المرحلة المقبلة حالما توقع اتفاقية السلام النهائية.

أولاً: هناك التحديات والمصاعب الناشئة من تفسير نصوص الاتفاقية قبل تطبيقها. هنا ستبرز المعضلة الرئيسية الأولى والتي تتمثل في أن نصوص الاتفاقية تجعلها أكثر من كونها محض اتفاقية سلام، فهي تحتوي على تفاصيل كثيرة ومعددة تقرب بها من أن تكون محاولة صياغة دستور جديد متكامل. وهي بذلك تضع الأسس لتحولات كبرى في نظام الحكم والاقتصاد وما يحدثه ذلك من وقع على المجتمع كله. وفي وجود تفاصيل كهذه لا بد أن يقع تعارض، ولو جزئياً، بين المصالح والنصوص المكونة للاتفاقية بما قد يؤدي إلى اختلاف متكرر، وعلى سبيل المثال فإنه الآن، حتى قبل اكتمال نصوص الاتفاقية، يبرز تناقض بين المقتضى الكلي للاتفاق مشاكوس فيما يتعلق بنظام الحكم، وهو النظام اللامركزي الفيدرالي، وبين ما تقتضيه فعلياً الترتيبات الأمنية وقسمة الثروة وهو النظام الكونفدرالي. ولا يخفى أن الخلاف حول اعتماد أي من المقتضيين إطلاراً لتفسير النصوص يستدعي جدلاً كبيراً.

ومن ناحية ثانية تبرز المصاعب الفنية والسياسية التي تفرضها ضرورة التوافق بين مجموعات سياسية متنافسة أو جملة من التكوينات التي تدعو إلى إنشائها الاتفاقية، وكذلك بعض المسائل الأخرى المهمة المنصوص عليها. ويمكن تلخيص أهم الأشياء في ما يلي:

- كون حكومة القاعدة العرضية بعد توقيع الاتفاقية مباشرة
- إعادة تشكيل مؤسسات الحكم والتوزيع كافة، في المركز والولايات والحكومة الإقليمية في الجنوب
- تشكيل المؤسسات الوطنية، مثل هيئة الانتخابات العامة، ومفوضية التبرول...
- تشكيل لجنة مراجعة الدستور في الفترة قبل الانتقالية
- تشكيل آلية التقييم المنصوص عليها في بروتوكول مشاكوس والتي تضم إلى طرفي الاتفاقية أطرافاً دولية وإقليمية.

- إجراء الانتخابات العامة في النصف الأول من الفترة الانتقالية
- الاتفاق حول إجراءات تفسير المصير وترتيباته في نهاية الفترة الانتقالية
- ثبات تطبيق اتفاقية الترتيبات الأمنية والتعهدات التي سترتبط بها، خاصة فيما يتعلق بالقوات، وإعادة إدماجها، وكذلك إعادة انتشارها
- الآثار العملية لتطبيق اتفاقية قسمة الثروة بين الجنوب والحكومة المركزية، والجدل الذي قد ينشأ في الولايات الشمالية حول هذه القسمة في ظل إحساس قوي بأن الولايات الشمالية قد خرجت مفر اليمين من القسمة
- إعادة الترتيب بين دول الجوار
- ترتيب أوضاع النازحين وإعادة توطينهم في الجنوب
- تنظيم موارد التنمية وإعادة التأهيل من المصادر الداخلية والخارجية وتوزيعها بعدالة بين الولايات
- استمرارية العمليات الإنسانية بمغاميها جديدة وفي ظل أوضاع مختلفة عما هي عليه الآن
- أثار الشؤون الخارجية بسبب الضمانات والرعاية الدولية على الاتفاقية ومقتضيات التعامل مع ثانياً، هناك التحديات المصاحبة لتطبيق نصوص الاتفاقية وإن لم تتعلق بالنصوص ذاتها. وهي يمكن تلخيصها في ما يلي:
- التحولات السياسية الكبرى نتيجة توقف الحرب ودخول الحركة الشعبية وحلفائها المحليين والإقليميين والعاليين، إضافة إلى دخول قوى أخرى، إلى دائرة الفعل والتأثير في ساحة العمل السياسي المتروك
- التحولات الاقتصادية بسبب الاهتمام المتزايد بالسودان والإقبال عليه بالاستثمار والتنمية بعد توقف الحرب، وما يجلبه ذلك من مشكلات التكيف الاقتصادي واحتمالات النمو السريع غير المتوازن
- التحولات الاجتماعية والسياسية التي ستحدث حتماً نتيجة للتحولين السابقين، وبصفة خاصة مشكلات التحول السريع في مجتمعات التماس بين الشمال والجنوب من حيث علاقاتهم المحلية وتغير أنماط حياتهم والمشكلات الأمنية المترتبة على ذلك.

إن هذه التحديات والمعضلات لتبرز جسامتها الأبعاد التي تنتظر الطرفيين الموقفين على الاتفاقية، وكذلك القوى الأخرى المشاركة في تطبيق الاتفاقية، كما أنها تبرز الواجبات الثقيلة التي تنتظر حكومة القاعدة العرضية الكونة

بنس الاتفاقية لترعى تطبيقها. وهي كذلك تلقى باعياً كبيرة على أصدقاء السودان في الإقليم والقوى الحريصة على وحدته في الصعيد العالي. إن أدنى ما تقتضيه تلك التحديات هو التحديد البقيل للأدوار وما تقتضيه القضايا المهمة ومعرفة طبيعتها ومحلويات التعامل معها. ويلتحق بذلك تحديد الإجراءات والتدابير الحكومية اللازمة، سواء أكانت لتشريعات أم سياسات، أم خططاً، أم قرارات أم آليات تنفيذ أم منهج عمل.



وفي المقام الأول، في سياق الحديث عن كيفية التصدي لتلك التحديات، تبرز الواجبات التي تقع على الحركة السياسية السودانية العامة باعتبارها صاحبة النصيب الأوفر من مسئولية تطبيق الاتفاقية. إن نجاح تلك الحركة السياسية في مهمتها نحن مقتنع القوى الكونة لها على تنفيذ نموذج مقنع في الأداء السياسي. وفي هذا الصدد فإن تلك القوى مطالبة إلى شيء بأن تثبت جداتها بمعارضة الديمقراطية في الساحة السياسية العامة من خلال نجاحها في إقامة معارضة ديمقراطية داخلية في خاصة بتبنيها لبرامجها، وأيضا من خلال مقدرتها على التوصلية الخطر للحلول والروى المتواردة مع توارد الحوادث والمصاعب ونعقدنا. ومن خلال تطويرها لخطاب مناسب غير دعائي أو تهرجي أو شعرائي. ومن خلال مقدرتها على إيجاد الحد الأدنى الضروري بينها من قيم الممارسة السياسية ومبادئها مما لا غنى عنه لاستقرار المجتمع السياسي. وكل هذه المهلات مفقودة في الحركة السودانية في وضعها الراهن.

سوى الحركة السياسية المنظمة المستنسخ مساحات واسعة لقوى المجتمع المختلفة وإبازاته الحية مما درج الناس على اعتقه بمنظمات المجتمع المدني، فالسودان مرشح لطفرة كبرى في النظام تياراته الحديثة الفاعلة في تشكيلات تتجاوز الحزبية السياسية التقليدية وتتجاوز بذلك سنن الديمقراطية القديمة. وهو شيء ينبغي أن يتنبه له، ليس القادة السياسيون وحدهم، بل قادة تلك التيارات الاجتماعية المؤثرة نفسها، وكذلك أصدقاء السودان الخارجيين الذين يسعون إلى أن تسير الأمور فيه باتجاه وحدة مبنية ومستقرة. إن تلك التحديات المترتبة على الحركة السياسية العامة تمتد لتشمل بتكليفاتها

الحركة السياسية الجنوبية والتي سيكون لسلطانها العمل أثر خاص على مصر الجنوب والسودان كله. وعلى القوى الجنوبية أن تعي أنه بعد اتفاقية السلام لن تتوفر لها مسوغات كاسالاق تلقى بموجبها الدعم على الشمال في تعهيد متكافئها. بل عليها أن تتصدى لتحمل مسئولياتها كاملة، وسيكون من أصدق تحديات الجنوبيين هو إقامة لا مركزية فاعلة تراعى تعددية الجنوب في إطار وجود حكومة تجمع الولايات الجنوبية كلها، ويدون ذلك فإن الصراعات القبلية والجهوية التي عصفت باتفاقية آديس ابابا مرشحة للانفجار من جديد. كما أن على الجنوبيين الاستفادة من اتفاقية قسمة الثروة ومن فرص الاستثمار الضخمة التي سيوفرها السلام من أجل التخلص نهائياً من هيكلية الاقتصاد الحكومي المهيمنة الآن على الجنوب، والتي لا تستمتع بضيق الموارد ونشوع ممارسات تضرب بريق العمل والانتاج فحسب، بل تعمق من واقع الفساد ولؤذي إلى انصراف الموارد عن المجتمع والوطنيين لتستخدم في صراعات الجبابرة والسياسيين في تركيز أنشطة هيمنة جديدة قديمة كانت هي السبب في بقاء الجنوب متخلفاً.



وأخيراً تقع أعباء خاصة على أصدقاء السودان في جواره العريش والإفريقي الأدنى لتكثف في دفع كل الصعوبات والتضامات الداخلية والخارجية الموجبة التي تعين على تثبيت السلام وتأكيد الوحدة. ومن ذلك بذل العناية الكافية لسودان وهو يصعد في ذلك الرقي النوعي إلى الوحدة وواقبته من تيارات الانفصال.

إن خلاصة ما نطمح إليه هذه المقالة هو أن توضع أن المصير النهائي لسودان، وحسباً أو مقسماً، بعد عدة عوامل وتيارات متعارضة أحياناً ومتناصرة أحياناً أخرى. وهي من التطبيق بكم كبير بعضها، وهو الأغلب، يدفع باتجاه الوحدة إذا أحسن استخدامه، والبعض الآخر يعزز احتمالات الانفصال. والتشجيع النهائية لتلك العمليات المعقدة تحدها بضعة أساسية للكفاءة السياسية للمسؤولين، قادة ومجتمعهم، ومع ذلك ينبغي دور كبير لأصدقاء السودان وللوقى الدولية، خاصة تلك التي تسعى لمعالجة الشؤون الداخلية ليلبدان العالم بمنهج الإيجاب والتشجيع.

جندوب السودان

عايدة العزب موسى



لم يكن للحكم العسكري بالخرطوم برئاسة اللواء عيود أى مشاريع أو برامج لحل قضية الجنوب، فعمل على قمع المعارضة التحصيل بنشر اللغة العربية ويسيطر القواعد الإسلامية اعتقاداً منه بأن هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق الوحدة في المستقبل



✻ ✻ ✻ كتب المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي يقول: «إن قضية السودان هي قضية أفريقيا المنقسمة إلى قسمين مجسدة في نطاق محدود، ولذا فإن السودان يحمل مصيريه بين يديه ويحمل مصير أفريقيا في الوقت نفسه، فإذا نجح السودان في التوفيق بين العنصرين اللذين يتألف منهما أبناؤه سيكون قد قام بعمل إنساني رائد للغاية بأسرها. أما إذا احتدم الصراع في السودان فسوف يؤدي ذلك إلى زيادة التوتر بين قسمي أفريقيا في كل مكان، وسيتحول جنوب السودان إلى بؤرة تتجمع فيها عناصر البغضاء من جانب أفريقيا الزنجية ضد أفريقيا الشمالية، وإذا وصلت إلى هذا الحد فإن اضطراب القارة الأفريقية قد يصبح نهائياً، لقد التقى القدر على عائق أبناء شمال السودان عيناً جسيماً ولأمل أنهم سيتكفون من حمله..»

هذا الوصف الدقيق لوضع السودان الذي مضى عليه نصف قرن يكاد يتطابق تماماً مع حالة السودان اليوم، فبعد حرب أهلية استمدت لخمسين بين شين الشمال والجنوب وبن عام ١٩٥٥ إلى عام ٢٠٠٤ باستثناء فترة هزوء لم تعد مصر سواها، يواجه السودان معضلة مصيرية، إما أن يكون أو لا يكون، إما أن يكون سودانياً موحداً أو أن ينشطر جزئياً أو أكثر.

حقيقة أن السودان نجح في الاتفاق على تقسيم عائد الثروة النفطية بنسبة ٥٠٪ لكل من حكومة الشمال المركزية والحكومة الشعبية بقيادة جون قرنق، ولكن تبقى القضايا الأخرى المثقلة بتقسيم السلطة والتمتاق (بجبال التوبة وجنوب النيل الأزرق وإيبيي العالمية على بحيرة بشور) مسائل ليست أقل مصيرية، ويمكن أن تستمر شهوراً إذا خف الضغط الحكومي المركزي.

وإذا وقع اتفاق كامل وسلام شامل بين الطرفين، فإن السودان سيمر بفترة انتقالية تمتد ست سنوات بعدها يتحدد مصيره، إما أن يخرج منها بوحدة طوعية بموافقة أهل الجنوب أو يتفصل إلى جزئين من خلال استفتاء تقرير المصير أو يتفكك إلى عدة سوادانات، فهل ستتحقق نبوءة توينبي ويحمل السودان قدره وينتقل السودان إلى الانقسام إلى شمال وجنوب أم العكس؟

إن استشراف المستقبل يتطلب العودة إلى الوراء لأن ذلك من المؤكد يساعد على الفرار في لمس خطواته المقبلة.

جذور المشكلة:

احتلت بريطانيا مصر في ١٨٨٢ وأكملت احتلال السودان في ١٨٩٨ وتم

القاهرة يفتح ثلاثة احتمالات إزاء الجنوب:

١. دمج الجنوب في الشمال.
 ٢. دمج الجنوب في أفريقيا الشرقية.
 ٣. دمج أجزاء من الجنوب مع الشمال وأجزاء أخرى مع أفريقيا الشرقية.
- وقد استبعدت هذه المقترحات فكرة أن تقوم في السودان دولة مستقلة، وبالنسبة لدمج الجنوب في أفريقيا الشرقية أو أجزاء منها مع أفريقيا الشرقية، رفضت هذه المقترحات فلم تبد بلاد أفريقيا الشرقية حماساً لضم جنوب السودان إليها خوفاً من أن يؤدي هذا الضم إلى زيادة مشاكلها لغينيا وصوماليا، وأبدت أوجندا تردداً شديداً وانزعاجاً إزاء فكرة الاتحاد مع تلك البلاد الشاسعة ذات الإنتاج الضليل، إن زارت الإدارة الأوغندية وهي الإنجليزية بأنها لا تستطيع تحمل هذه العبء الوافد، وإن إعادة لتخطيط حدود الجنوب من شأنه أن يثير مشكلات قبلية حادة مع كينيا والتكوفو.

كذلك وجد أن إدارة جنوب السودان كوحدة فيدرالية مع شمال السودان يصعب تحقيقها، إذ كيف تتحمل الإدارة الإنجليزية لشمال الخسائر الجسيمة المستقلة ذاتياً ولا تستطيع السيطرة عليه، وكيف يستطيع الجنوب التمسك إلى الإدارة الإدارية أو يلنحض بأيدٍ إدارته الذاتية، وكيف يقبل الشمال بالعمل الإداري في الجنوب في ظل نظام فيدرالي تسوقه احتمالات تجزئة السودان.

إذا لم يبق سوى الحاق الجنوب بالشمال مع إبقاء قانون المناطق المختلفة، بمعنى آخر إلغاء مخطط السياسة البريطانية في الجنوب. وإزاء هذا الجدل حول سياسة الجنوب عقد مؤتمر جوبا المشهور في يونيو ١٩٦٧ حضره جميعا مديريات الجنوب الثلاث ١٧٨ من زعماء الجنوب، ومن أبناء الشمال، وأسفر المؤتمر عن ست مسائل جوهرية:

١. ضرورة قيام الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب.
٢. الجنوب لا يبقى مستقلاً ولا يلحق ولا يتحد مع أوغندا.
٣. أعلن المؤتمر من أبناء الجنوب في المؤتمر معارضتهم لانتقاله عن الشمال، إذ يكون ذلك في غير مصلحة الجنوب سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية.
٤. تحدث أبناء الجنوب عن مدى تخلف مناطقهم.
٥. ظهور شعور بعدم الثقة بنوايا الشمال وتصميم على عدم الخضوع لأوامر الشمال.

✻ في عام ١٩٦٥ صدر مرسوم لتصاريح التجارة فُتسح على أنه لا يجوز لأي شخص من غير أبناء المنطقة أن يمارس التجارة دون الحصول على تصريح يسمح له بالالتحاق في مديريات الجنوب، ومن حق الحاكم العام الإنجليزي اعتبار أي جزء من السودان مناطق ملققة في وجه التجارة.

✻ منع أبناء دارفور وكردفان في الغرب من دخول بحر الغزال في الجنوب، وكذلك منع أبناء بحر الغزال من دخول كردفان ودارفور.

✻ القبض على أي شخص من غير أهل المنطقة لا يحمل تصاريح مرور، وأمكن بذلك التحكم في الحركة بين الشمال والجنوب وبين الجنوبيين أنفسهم.

✻ وجهت لزعما القبائل دعوة أن يتخلوا عن أسلحتهم العربية وليأسهم العرس ويحلقن محله اللباس الأزرق، منعت مزاولة العادات العرقية، وحظر الزواج المختلط بين أبناء الشمال والجنوب، وتقرر أن ينتسب الأبناء إلى الأم لا إلى الأب.

✻ سارت سياسة مقاومة الإسلام جنباً إلى جنب مع سياسة مقاومة اللغة العربية، فلم يسمح لأبناء الجنوب المسلمين أن يمارسوا شعائر دينهم علناً.

عندما أصبحت سياسة الجنوب موضع انتقاد فرفضت لهجوم شديد من مختلف الجهات الرسمية وغير الرسمية (إذ أتت أي تخلف الجنوب تخلفاً شديداً مقارناً بالشمال، وفي عام ١٩٦٥ وجه الحاكم العام البريطاني في السودان رسالة إلى السفير البريطاني في

لها بذلك السيطرة على وادي النيل، فوضعت سياساتها على أساس التفرقة بين شمال الوادي وجنوبه، وعلى سياسة فصل جنوب السودان عن شماله وتخطيط ذلك الاعتماد الطبيعي للسودان نحو الجنوب، وخلق سودانيين لكل منهما مقوماته، وكانت هذه السياسة تهدف إلى محاولة سلخ جنوب السودان وضمه إلى الحاد بريطاني لشرق أفريقيا، ولكن هذه السياسة أخفقت لأسباب ارتباط جنوب السودان بشماله كانت أقوى بكثير من أسباب ارتباطه بالمناطق الأفريقية الواقعة جنوبه، ومن المؤسف أن السياسة البريطانية التي أفضت في بدايات القرن العشرين في سلخ جنوب السودان عن شماله، أخذت تظهر في خواتمه تركيزها الولايات المتحدة الأمريكية.

ويمكن القول إن سياسة الفصل بين الجنوب والشمال بالسودان زهت قبل عام ١٩٢٠ وقرست البذرة، ولكن السياسة لم تتبع بحزم إلا بعد الحرب العالمية الأولى وخاصة بعد عام ١٩٤٤ أي بعد نشوب ثورة ١٩ في مصر وما صادفت من مدى قوى وطني لدى أبناء السودان وظهور حركة اللواء الأبيض وعلى عبد اللطيف في ١٩٤٤ وما قررت به مدى ذلك من إخراج الجيش المصري كله من السودان في السنة ذاتها، وقد طبقت هذه السياسة على النحو التالي:

✻ في عام ١٩٣٢ صدر مرسوم المناطق الملققة وأقررت مديريات دارفور في غرب السودان والاستوائية وأعالى النيل في الجنوب مناطق ملققة لا يجوز لأي شخص من غير أبنائها أن يدخلها أو يقيم بها إلا إذا حصل على ترخيص بذلك.

.. عبء الماضي وظفوف المستقبل



فرست

٦. طالب الجنوبيون بصمات تكمّل عدم سيطرة الشمال على الجنوب في حالة قولهم الاشتراك في نشاط دستوري موحد، وطالبوا باشتراك الجنوبيين في الجمعية التأسيسية على قدم المساواة.

التمرّد ويدايدة الاستقلال،

بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر، وقعت مصر وبريطانيا اتفاقية السودان نصّت على تخيير السودانين في استفتاء عام بين الوحدة مع مصر وبين الاستقلال. وطبق نظام الحكم الذاتي في الشمال والجنوب ابتداءً من عام ١٩٥٣، وفي السّلم التّاسلي جُرت الانتخابات واختار السودانيون الاستقلال عن مصر. ومنذ ذلك التاريخ بدأ تمرد الجنوب بإضرابات وعظارات. وطلبت سلطات الشمال من أفراد القوة العسكرية الاستوائية مغادرة الجنوب إلى الشمال، الأمر الذي أحدث تمرداً في صفوف العسكر الجنوبيين ونهّى الأمر بديج كافة الشماليين في توريث في المنطقة الاستوائية مع زوجاتهم وأطفالهم، وجاء رد الحكومة في الشمال عنيفاً فأعلنت حالة الأحكام العرفية. وأرسلت أعداداً ضخمة من القوات الشمالية إلى الجنوب وطالبت الجيود الجنوبية بتسليم أسلحتهم كما كان منهم إلا أن مجرور مدينة توريث بكامل أسلحتهم إلى الغابات المجاورة، كما طالب إليها في شرق السودان والنوبة في غريه بحقهم في إدارة شؤونهم وظهرت بينهم أيضاً بقود التمرد.

وترجع أسباب التمرد فيما ترجع إلى الأخطاء التي وقعت فيها أحزاب الشمال والتي ترجع إلى قلة خبرتهم وجعلهم بالأوضاع في الجنوب أكثر مما ترجع إلى سوء التّية أو التّديبر المقتصد، فلم يكن يتسلّهم سوى المتخلص من الإدارة للاشتراك في المحادثات التّاريخية التي جرت في القاهرة بين أحزاب السودان والحكومة المصرية قبل توقيع الاتفاقية الإنجليز المصرية في فبراير ١٩٥٣. وقد اتّحد من غياب أنماء الجنوب عن تلك المحادثات دليل الرغبة في الانقسام من أهمية الجنوب ولها ماته.

وعندما أُنشئت في أكتوبر ١٩٥٤ نتائج أعمال لجنة السّودة تحولّت الشكوك التي استجرت أكثر من خمسين عاماً إلى

عداء صريح إذ لم تعبر شيئاً بالنسبة للتمهينات والمناصب التي يشغلها الجنوبيون، وأحدث هذا خيبة أمل عنيفة لدى الجنوبيين المعلنين بل راوا فيه تغيير سيد مهادي آخر إجحالا للاستعمار السوداني السياسي بدلاً من الاستعمار البريطاني المتسحب. وخلال هذا الوقت كان الوعي لدى الجنوبيين يزداد نتيجة ما حدث من تطور سياسي ونهضة تعليمية. وتشكل عام ١٩٥٤ أول حزب جنوبي سمي «حزب الأحرار الجنوبي»، وبلغت الأحداث ذروتها في تمرد العرقلة الاستوائية في أغسطس ١٩٥٥، وأثار التمرد المشاعر في الشمال ولعت الانتداه إلى الجنوب وإلى ما يسوده من مخاوف ومشاعر عدائية وثية إلى ضرورة الوصول إلى اتفاق مع ابنائه عن طريق التّنازلات السياسية والإجراءات البنائة.

ومن هنا وافقت أحزاب الشمال على دراسة مشروع إقامة اتحاد فيدرالي في السودان، ووافق ممثلو الجنوب في البرلمان استناداً على هذا الوعد. على إعلان الاستقلال في أول يناير ١٩٥٦، وكان يعنى الاتحاد الفيدرالي إيجاد وضع خاص للجنوب داخل الدولة الموحدة. ولم ترتمع في ذلك الوقت في الجنوب أصوات تطالب بالانفصال إلا أقلية ضئيلة بين الطبقة الجنوبية المتعلمة. ولكن الأحزاب الشمالية بقيت كعادتها مشغولة بمناوراتها مع بعضها البعض إلى حد صرفها عن تفكير جاد

في حل مشاكل الجنوب. وخصصوا للجنوبيين ثلاثة مقاعد فقط من بين ٤٣ مقعداً في اللجنة المكلفة بإعداد مشروع الدستور فغضب الأعضاء الجنوبيون وتقدموا بتوصية بإقامة اتحاد فيدرالي، ولكن أغلبية لجنة الدستور رفضت الطلب في ١٩٥٧ وبدأ أن قضية الجنوب قد ضاعت ورفض الأعضاء الجنوبيون المساهمة في أعمال اللجنة وانسحبوا من الجمعية التأسيسية في يونيو ١٩٥٨ لذلك اتخذت المسألة الجنوبية في الفترة من ١٩٥٣، ١٩٥٨ ايهاً جديداً، وجاء التمرد لا شعر به الجنوبيون من خيبة أمل وهضم لحقوقهم وكان لهذا اثاره العارضة في الجنوب، واستخدم المجرور ودعاة الانفصال من أبناء الجنوب هذه الأحداث لزيادة نشاطهم وتوسيع دعائهم ضد الشمال. ووجد المتمردون الذين اختلفوا من قبضة القانور عام ١٩٥٥ ولجأوا إلى الغابات فرصة في السطح السائد للظهور من جديد واستئناف نشاطهم.

ولم تكن الحركة المناهضة العسكرية في الجنوب على ارتباط وثيق بقيادات الخارج بل كانت معزولة عن تلك القيادات. وتعتبر الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٧٣ فترة تشكيل العصابات المسلحة في الجنوب التي نشأت على أسس قبيلية والتي عرفت بتقظيم اثنياتها ومعتاد الثغبان السام. واتخذت مقراً لها في القطاع الجنوبي من المديرية الانوائية

على مخربة من الحدود الاوغندية وركزت أنبانيا نشاطها على كمان الطرق ونسف الحور والهجوم على معسكرات جيش الشمال فقط والبويس والهجمات العسكرية المؤقتة المحدودة.

الجنوب والحكم

العسكري الأول،

نتيجة الأوضاع المتأثرة في السودان، في علاقة الشمال مع الجنوب وتدهور الحالة الاقتصادية والاضطراب السياسي، تقدم جيش السودان واستولى على السلطة في الخرطوم في نوفمبر ١٩٥٨ بقيادة اللواء إبراهيم عبود. ركز النظام العسكري اهتمامه بإبعاد المجموعات المسلحة والأفراد المتمردين من صفوف الجيش السوداني وجمع المعارضة والنشاط السياسي للأحزاب والانتخابات ومطعمات الطلبة وغالب ذلك في الشمال. وبالنسبة للجنوب فقد كان وجود الأحزاب والبرلمان من العوامل التي تعدد من ضغط الأراء التي تردت في الشمال منادية باستخدام العنف لجمع الأصوات النادية بالاتحاد الفيدرالي أو الانفصال في الجنوب، فلما أخفست البرلمان وحلت الأحزاب رجعت دعاة استخدام القوة والمناوئين بإماما الشمال والجنوب استناداً إلى قوة السلاح. ولم يكن للحكم العسكري بالخرطوم برئاسة اللواء عبود أي مشاريع أو برامج لحل قضية الجنوب، فعمل على قمع المعارضة في الجنوب كما فعل في الشمال، وأصاف إلى هذا التعجيل بنشر اللغة العربية ويسد القواعد الإسلامية اعتقاداً بأنه من هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق الوحدة في المستقبل وتوهمها من أن القوة يمكن أن تجدي في هذه الأمور والذات هذه السياسة المتخفين من أبناء الجنوب وشعباً بأنهم غرياء عن هذا النظام وقرعوا منهم إلى خارج البلاد، وألقى القبض على عدد من الأباء الكاثوليك إثر توريعهم رسالة احتجاج على هذه السياسة. وفي عام ١٩٦١ منعت الحكومة عقد أي اجتماع ديني للصلوة خارج الكنائس ومنعت عدد من المبشرين من العودة إلى السودان بعد انتهائهم إجازاتهم. وفي عام ١٩٦٢ أصدر المجلس الأعلى لقوات المسلحة مرسوماً طرد بمقتضاها جميع المبشرين المسيحيين من جنوب السودان.

وصاحب هذه السياسة هجرة آلاف الجنوبيين إلى

السودان، ورفض أيضاً هذا المشروع باعتباره ينتهك إلى إقامة دولتين مستقلتين في السودان
وهكذا فشل مؤتمر المائدة المستديرة ثم التحدت جبهة تحرير السودان الأفرقي من حزب سائو خارج السودان وشكلت جبهة آزانيا بهدف إقامة دولة أفريقية حرة ومستقلة جنوب السودان.

الحكم العسكري الثاني،

تعاظم العنف والخلافات بين الشمال والجنوب، وتقدم العسكرية مرة أخرى واستولوا على السلطة عام ١٩٩٩، تحت قيادة جعفر نميري. وبعد انتهاز سياسة متروكة ومتذبذبة حيال المتطرفين في الجنوب، تناقشت حكومة نميري معهم وتم التوصل عام ١٩٩٧ لاتفاقية أدبيس أيايا التي شكلت للجنتين حكماً إقليمياً ذاتياً وألغت الحرب الأهلية في الجنوب، وكان إبرام هذا الاتفاق علامة في الأساس إلى أن الطرفين عجزا عن تحقيق أهدافهما بالقوة المسلحة، وقد خلقت هذه الاتفاقية حالة من الاستقرار حتى عام ١٩٨٣.

واجه نميري ضغوطاً متواصلة لحكمه العسكري الشمولي من كل قوى المعارضة السياسية ومن الجماعات الأهلية، لذلك تحالف مع الشيخ حسن الترابي وجماعته السياسية، وأعلن في ١٩٨٣ من بدء السودان تطبيق الشريعة الإسلامية، وكان يأمل بإخراجه هذه الخطوة أن يسحب البساط من أحزاب المعارضة السياسية وقياداتها، وأن يضم على حكمه قوة الشريعة ونموذجها ويعطى بها نظامه المستبد.

وفي الوقت ذاته، فإن نظاماً شمولياً مستبداً يعتمد في الأساس على سلطة الرجل الواحد، وقيصته، لا يتناسب قيام نوع من الحكم الذاتي في بعض المقاييم دولته، لذلك فقد عمل نظام نميري على إضعاف الحكم الذاتي الإقليمي لتقسيم ثم ما لبث أن خرج على اتفاقية أدبيس أيايا التي كانت حدثت أشكال الحكم في الجنوب، وعمل نميري على تقسيم الجنوب من جديد ليحلحله بحكمه المركزي في الخرطوم.

ورغم أن نميري عندما أعلن من تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان استثنى الجنوب من هذا التطبيق، فإن الحركة الجنوبية التي تبلورت لرد عليه بسبب استعادته السيطرة على الجنوب، ورفضته اتفاقية أدبيس أيايا، قرنت بين هذا الأمر وبين تطبيق الشريعة الإسلامية واعتبرت نفسها حركة احتجاج ومقاومة للأميرين، مع ذلك أن

المدبريات الجنوبية نفسها. وكانت على اتصال وثيق بجماعة أنبانيا، فحصلت على سائو كما رفضت جماعة أنبانيا وقف العمليات الهجومية، وظهت داخل سائو مجموعتان أحدهما متطرفة تدعو إلى الانفصال وأجراء المصادقات خارج السودان والأخرى معتدلة تدعو إلى الاتحاد الفيدرالي والتفاوض داخل السودان أو خارجه.

وأخيراً انعقد مؤتمر المائدة المستديرة في مارس ١٩٩٥ في العاصمة الخرطوم بعد أن تبين خطورة عقده في جوبا خشية العمليات الهجومية وضم ممثلين من أحزاب الشمال والجنوب بين فيهم سائو وجبهة الجنوب وحصره مرابيين من أوغندا وكينيا وتانزانيا وغانا ونيجيريا والجزائر ومصر. أحدثت كلمات ممثلي الشمال على مواجهة القضية مواجهة جديدة والتخلي عن القوة والبحث عن حل سياسي في إطار السودان الموحد، ولا يسمح بتشجيع الاتجاهات الانفصالية، وإنشاء حكومة إقليمية لمدبريات الجنوب الثلاث.

وبينما شكلت أحزاب الشمال من اللوف في جبهة متحدة وأرعى وحدة بشأن الحل السياسي لتشكلت كانت القيادة السياسية للحزب منقسمة، حزب سائو انقسم إلى مجموعة تدعو إلى الاستقلال السياسي وأخرى إلى الاتحاد الفيدرالي، وجبهة الجنوب طالبت بحق تقرير المصير، وقدمت سائو وجبهة الجنوب مشروعاً يقضي بإجراء استفتاء في الجنوب تحت إشراف مراقبين من الدول الأفريقية لتأكد من الجاه أغلبية الجنوبيين سواء إلى الوحدة الفيدرالية أو الاتحاد مع الشمال أو الاستقلال والانصاف.

وبالطبع رفضت أحزاب الشمال المشروع على أساس إنه إعلان واقعي يؤدي إلى الانفصال. تقدمت القادة الإقليميين لمشروع أخري يدعو إلى إقامة الإقليميين في

والحزب يشرك فيه ممثلون للقضاة والشعبيات وجامعة الخرطوم لمناقشة العلاقة الدستورية بين الشمال والجنوب.

وفي نوفمبر ١٩٩٤ أعلن رئيس الوزراء انتعاش حكومته بأن العنف والإجراءات العسكرية لا تحل المشكلة ودعا إلى السلام والتفاوض، وقام سائو بإعادة للمصالحة فاستجاب لمطالب سائو ماعلا، القفو العام عن جميع السودانيين الذين فروا إلى خارج البلاد منذ يناير ١٩٥٥ وعن المطلوبين للمحاكمة بأى تهمة سياسية. وناشد اللاجئين أن يعودوا إلى الوطن



رد حزب سائو على هذه الخطوات بقوله إن الحل الوحيد الذي يمكن قبوله للجنوب في السودان هو إنشاء نظام فيدرالي يكون نائب رئيس الدولة فيه من الجنوب ونقوم به حكومة إقليمية للجنوب، وطالب بأن يعاد تشكيل الشرفة الجنوبية من تعيين أمنا من الجنوب في مناصب وزارة الخارجية.

لم تكن الحكومة والأحزاب السياسية في الشمال على استعداد لمناقشة تلك الاقتراحات. وكان من الواضح أن بعض المطالبات تتجاوز حدود سلطاتها. بيد أنها كانت على استعداد لعقد مؤتمر مائدة مستديرة بشرط أن يعقد داخل السودان، ووافق سائو على أن يعقد في جوبا بالجنوب ووجه نداه إلى إنشاء جوب السودان لإيقاف القتال في الجنوب وأن تعلن الحكومة إنهاء حالة الطوارئ. رفضت الجنوب والجنوب وهي شاسي المنظمات السياسية الرئيسية في الجنوب وتغلب اعضاؤها من الجنوبيين المتصلين، وكانت تمارس نشاطاً فعالاً بين أبناء الجنوب في الخرطوم وهي

حارح السودان. وغادر البلاد جوبويون متفقون معروفون وعضاء سائو من البرلن وكوبا، رابطة السودان المسيحي و، الاتحاد الوطني للمناطق المملقة بالسودان الأفريقي، الذي عرف باسم سائو، وطلبت أنباء التحركات تعارضاً الحكم العسكري خارج السودان حتى عام ١٩٩٣.

أخذ حزب سائو الكونغو مقراً له وركز نشاطه في توجيه المذكرات للأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية مطالباً بأن يفرض هيئة دولية بدراسة مشاكل جنوب السودان. غير أن ميثاق المتطمين لم يكن يسمح باتخاذ خطوة كهذه.

أما داخل الجوب فقد عصمت الاضطرابات الحادة وخرجت العناصر المتطرفة التي كانت قد لجأت إلى الغابات خرجوا إلى العلن وكونوا حركة مقاومة مسلحة هي جمعية إيبانيا كما سبقنا الإشارة

كان ظهور إيبانيا تعبيراً عن مرحلة جديدة في قضية الجنوب، إذ تألفت هذه الجمعية من أشخاص كانوا من قبل جنوباً في المرحلة الاستوائية التي كان شكلها الاستعمار البريطاني أو من الجوبيين الذين خرجوا من السجن بعد هضاء مدة العقوبة أو ممن أفرج عنهم الحكم العسكري في مناسبات خاصة

صدت إيبانيا نشاطها بإطلاق رسائل على الجوب وعلى الشماليين والجنوبيين أيضاً المشتبه في تعاونهم مع الحكومة. وبدأت بذلك حرب عصاميات، وفي يناير ١٩٩٤ قامت بمحاولة جريئة بالاستيلاء على مدينة وا في مديرية بحر المزار. وردت الحكومة بالاعتداء محكمة عسكرية عاجلة في مدينة وا. وبعد أن استردت وا، وأصدرت الحكم بالإعدام على اثنين من زعماء إيبانيا وبالصحن المؤبد على أمور السجن وأربعة من حراسه

رحب حزب سائو بسقوط الحكم العسكري وسارع فأنهت إلى الاتصال بالحكومة الجديدة ووجه الرغما المسايون الحزبيين المقيمين خارج البلاد مذكرة إلى رئيس الوزراء (سر الحكم خليفة) يعبرون عن رغبتهم بالعودة إلى السودان بالشروط التالية

ولا اعفو العام عن جانب الحكومة السودانية عن جميع اللاجئين وضمان سلامتهم الاعتراف بحزب سائو والسماح له بالعمل داخل السودان ثالثاً: عقد مؤتمر مائدة مستديرة يجتمع أحزاب السودان في الشمال



من المؤسف أن السياسة

البريطانية التي فشلت في بدايات

القرن العشرين في سلخ جنوب السودان عن شماله

أخذت تظهر في خواتيمه تركيها

الولايات المتحدة الأمريكية



الأمريكي مع سعي أوروبي عريض ترعاه القوى المسيحية من شأنه طرح مشكله جنوب السودان على أنها تمثل شعبا مسيحيًا مضطهدًا، من قبل مسلمي الشمال، والنج وحزب الحاراجية الأمريكي «كولن باول» إلى أن السودان يمثل «السياسة الاهتمام الأمريكي بأفريقيا»

وفي يوليو ٢٠١٢ أجبرت الولايات المتحدة الطرفين سواء الحكومة السودانية أو الجبهة الشعبية على الاجتماع في بلدة ماساكوش الكينية وخضع لهذا التفاوض بضغط أمريكي شديدة واستمبين بفرق بريطانية وفريجيية بلطف عجلة المفاوضات وكانت رسائل واشتغل واضع إلى لم يتوصلوا إلى اتفاق طوعي فإنها ستفرض عليهما حلا قسريا كما أعلنت في بعض المناطق الأخرى. وكان على من يرفض التوقيع على معاهدة الاتفاقية تحصل مسئولية فشل المفاوضات وعليه تحمل النتائج. تضمن اتفاق ماساكوش نصوصا حول أهم معضلتين الثارة للحل وهما علاقة الدين بالدولة وحقوق تقرير المصير للحزب السوداني.

وفي إطار ماساكوش توالى المفاوضات بين طرفي الصراع في السودان في مستجمعات في كينيا في ماساكوش وكرن وناكرو وخيرا. فيشاشا. وتحقق كثير من نقاط الاتفاقه كان أبرزها اتفاق الاتفاق الأمانى والعسكى في سبتمبر ٢٠١٢ ثم الاتفاق على تقسيم عولاء التوزيع يناير ٢٠١٢، ولإزالة الطرفان في منتجع فيشاشا الكينية بجيشا قبية القصاصا وهي تقسيم السلطة والمناطق ثلاث المهمة

إلى الأمام بل يته بعد وحدث الجنوب السودانى والاتفاق بشأنه يجري في هذه الأيام ولا يمكن التوقع أو الحامرة به بالنسبة لما سيكون عليه الحال.

المراجع

- (١) صراع الزوى د. د. فرانسس دينز
- (٢) جنوب السودان د. محمد عمر أليختر
- (٣) دست إفريقيا/ ج. سكي محمد أحمد
- (٤) المارق لتاريخه وحاضره استشير د. محمد أبو القاسم جامع محمد
- (٥) الحروب الأهلية في إفريقيا/ أحمد إبراهيم محمود
- (٦) القوياب والمبودين في الشرق الأوسط/ مركز دراسات الوحدة العربية
- (٧) الصادق الهدى وتحديات التسويات
- (٨) التقرير الاستراتيجي لأدقوى ٢٠١٠-٢٠٢٠

✦ تشكيل لجنة تحضيرية للملحق مشاركة ممثلين عن التجمع الوطني وممثلين عن الحكومة تتولى تحديد مكان وتاريخ انعقاد المؤتمر وتحديد المدعوين للمشاركة في أعمال المؤتمر وتحديد اسم الحوار إلا أنه في أبريل ٢٠١٠ أعلنت الولايات المتحدة عزمها على تزويد الجنوب بمعدات عسكرية ثقيلة. فأعلن وزير خارجية السودان رفض بلاده أى مقترحات أمريكية لا تخضع للمبادرة المصرية الليبية في اعتبارها.

تطورت الأمور بعد ذلك بشكل سريع ويرى الدور الأمريكى وعكس تحولاً في السياسة الأمريكية تجاه السودان من المواجهة والتصادم إلى نوع من التحدل والتوجيه المباشر. وجاء هذا التحول تحديداً عقب أحداث الحادى عشر

مس سبتمبر، وتلاقيه هذا المصطفى

الأوضاع أكثر مما هي متردية. وتعددت أطراف الحرب الأهلية فبينما كانت الحكومة تحارب الحركة الشعبية كانت فصائل الجنوب تحارب بعضها البعض، وفصائل الحرب إلى غرب وشرق السودان (البحر). وفي مارس ١٩٩٨ صدر دستور جمهورية السودان يسمح بحق تقرير المصير. وفي ديسمبر من العام ذاته طرحت مصر وليبيا مبادرة تضمنت الآتى

✦ الوقف الفورى للعمليات العسكرية من جميع الأطراف ووضع آلية لمراقبة ذلك.

✦ الوقف الفورى لكافة الحملات الإعلامية المتبادلة بين الأطراف.

✦ الشروع في حوار مباشر بين الحكومة والمعارضة عبر منتدى عام

لحوار يهدف إلى التوصل إلى حل سياسى شامل للمشكلة السودانية يستند لوحدة السودان ويؤمّن بالتامدية.

الجنوب دائماً له مسائلتان. مسألة حقوق الحكم الذاتى ومسألة تصارع الهويات والمسألة الأخيرة غرسها الاستعمار في أرض الجنوب وتعدتها من بعد بعثات التثوير والانشاد التعليمى والنضود الغريسي الأوروبي ثم الأمريكى. والحكم الشمالى دائماً يميزاًيا كان أو عسكرياً لم يهتد إلى سياسة تمكن من فصل المسألتين. الأولى الاستجابة للحقوق والمساواة، والثانية الحفاظ على الهوية. وهذا مما أدى إلى قيام تنظيم الحركة الشعبية لتحرير السودان. وتكون جناحها العسكري الجيش الشعبى لتحرير السودان بقيادة جون قرنق واستأنف الصراع المسلح. وكان تجدد الحرب الأهلية في الجنوب عائداً إلى مجموعة من الأسباب أبرزها وضعها إصرار النظام الحاكم على تقسيم الإقليم الجنوبى وإعادة سيطرة الحكم الشمالى على الجنوب، فضلاً عن قلق الجنوبيين من سيطرة التكاامل التى أعلنت وقتها بين مصر والسودان، باعتبارها تأكيداً للهوية العربية. بالإضافة إلى اكتشاف النفط في الجنوب والتبدء في عمليات استخراج.

وبعد عامين فقط من بدء الحرب العدائية طاحت الثورة الشعبية المعروفة بالانتفاضة بحكم شيرى في عام ١٩٨٨، وفشلت الحكومة الانتقالية برئاسة سوار الذهب ثم الحكومة المتخفية. تمهيداً الصادق الهدى التى تلتها هي الحكومة السودانية مع الحركة الشعبية لتحرير السودان وجيشها. وذهبت الحرب من الجنوب إلى مناطق جبال النوبة وجنوب كردفان والإقليم الغربي من دارفور وجنوب النيل الأزرق وسعت حكومة الهدى جاهدة للبحث عن حل وتوصلت المفاوضات التى جرت مع الحركة الشعبية لتحرير السودان عن اتفاق كوكاد إلا أنه نتيجة للصراع بين أحزاب الشمال (الحزب الاتحادى وحزب الأمة وجبهة القومية الإسلامية) حول من تكون له اسبقية الطفر يشرف التسوية أعاق فرص الحل.

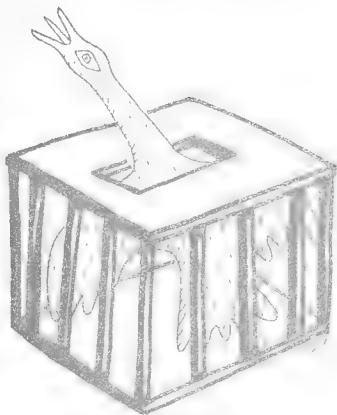
الحكم العسكري الثالث،

فى يوليو ١٩٨٨ وقع الانقلاب العسكري السودانى الثالث المسمى بثورة الإنقاذ بزعامة الفريق عمر البشير الذى أصبح رئيساً للدولة. وتحالفات القيادة العسكرية ذات اللون الإسلامى (عمر البشير) مع الجبهة الإسلامية (حسن الترابى).

رأى الحرب اشتعالاً بين ثورة الإنقاذ والجبهة الشعبية لتحرير السودان وترتب

تفسير العظام فى إيران!

لأول مرة، وتكشف في الوقت ذاته عن
الارتفاع الهائل لسفك الحريات التي
وقرت له حكومة الأمير محمد خاتمي
في عام قوية، منذ توليه رئاسة الجمهورية
في عام ١٩٧٧، وقد انشعار التقسية
السياسية، ذلك إنجاز مهم يتجاهله
الذين يروجون للثأر وبفضل الشروع
الإصلاح. ورغم الإقرار بأنه قد ينجم
عن تحقيق شمولية على النحو الذي
يرضى طموحات الغربيين في التقهير،
إلا أنه سيظل يحسد له أنه نجح في
إحباط صوت المجتمع وإسعاد ذلك
الصوت للثأر، بعدما كان الصوت
الذي يوافق في إيران هو للثأر
وهدمهم. والولي الفقيه، في الخدمة
حتى. انتهى الولي الفقيه، صاحب
الكلمة الأخيرة في القرار السياسي لم
يعد كما كان في السابق، فقد ظل
مستطاعاً بأهونه بحكم الصلاحيات
الواسعة التي يوليها المستور، لكن
قدسية وهيبة تراجعت بصورة نسبية
وتتراجع صورة المجتمع الإيراني
وحركة إلى ٧٢ عاماً، بعد، لا بلح الفرق
الكبرى بين الحائزين في موضوع ممارسة
التحرير بوجه الحق. حتى أزمع أن الأمر
تجاوز سقف الحوار وارتفاع صوت الشارع،
إلى اختلاف شكل الناس فجلاً أذا كانوا
سواء. فقد تضاعفت مثلاً أعداد حلقى
الصحى وظهرت أربعة العنق، التي كانت
تعد من علامات الاستغفار، في هياوس
الثورة الإسلامية، وغفت على كبار
الضغوط والتقيود الموضوعة على حجاب
المرأة، التي أصبح أكثر مبرورة وجارة دون
المرار بوجه الاحتشام.



١٠ احتلال العراق واحتداد
 واشتعلت للإصلاحيين وهرا
 طرف استبداد المحافظين لأن هذا أو
 الاستمرار والقبض على الحذور فإن ديج
 الإصلاحيين لم يكن مبرراً. المحافظون
 حولوا الإصلاحيين إلى «ضحية»،
 والإقصاء شمل فصليين فقط في تيارهم
 المحافظون ١٧ حزبا ونجسها.
 والإصلاحيون ١٨، والمعتدون والمتطرفون
 على الحاشية.

نادوة هي المرات التي تحدث فيها الانتخابات البرلمانية في بلادنا ذلك الضجيح الذي أحدثته الانتخابات الإيرانية، ذلك أن صحف الشواش الآخرين على الأقل ظلت تتابع تطورات المشهد الانتخابي هناك على نحو يومي، في خلال سيل الأخبار المتلاحقة، الأمر الذي أعطى انخباغا قويا لدى الجميع بأن ثمة معركة صارية وشرسة، حقيقية وليست وهمية، بين الجانبين المهيمنين على الحياة السياسية الإيرانية، الجاحظون، و150 الأصلاصون.

وان تكون المعركة حقيقية هكذا
ببؤره صير، مشير، بالنسبة لأغلب
الأطراف العربية، تلك التي اعتادت على
أجواء الانتخابات الوهمية، التي يشارك
فيها الجميع، أنا شاركوا، وهم يعطون
سلباً من العائز ويديرون جوداً من أجراء
الانتخابات أن يحدث تداولاً للسلطة من
أي نوع، لكنه في أحسن فروضه بمثابة
تجديد للقيادة والبيعة، تثبيتاً لما هو قائم،
وليسفناً لتأسيسه.

أزاء ذلك فلا ضرر من الإقرار مقدما
بالشاهد الانفصالي الإيراني، عليه
تجاناته وصممه ولا فائدة عليه
بعد تعبيراً عن حيوية الساسة مقتدبة
ويغلب دول العالم الثالث، ولا تسال
عن العالم العربي، فتح سباز اجنحة
وقصص متضاربة، ومؤسسات شرعية
القانون، وتتصمم وفي كل تحقيق مرارها،
ويوجد صاحب بين المتصارعين داخل
مجلس الشورى وخارجة، التواء الإذاعة
والتلفزيون وفي القتل، وقرون هي
الجماعات وفي الشارع، وعاضيين
المصالحين، واحشاش يساهل
لا آواء الحصب والتحجير من مخبة
مقاطعة الانتخابات، وكومة تدعى
التجليل، ورئيس للجمهورية يتكلم في
تكاذب وشعر فيها ويلوح بسورة
الاستقامة ورشد على الجانب الآخر
لنفسه لعدم ايقاف الجند هورا
وأجراء الانتخابات في موعداً، إلخ
هذه الفضول الخسيرة لشمسيت
التي تهايب في نفس طوفان موهبته

٢ تلك نقطة أولى. إن شئت اعتبرها مدخلاً في قراءة المشهد الإيراني، الذي لم يكن مثولاً فحسبه وإنما ظل مسكوناً بالانتماء للوقت، الأمر الذي وقّع كثيرين في خطأ القراءة المغلوطة، ولتكميل الكتابات المختلفة تناولت الشأن الإيراني يلاحظ في أغلبها أن مصطلحي «الاصلاحيين» و«الانقلابيين» كانا من أهم مصادر الانتماء.

المعنى الاصطلاحي الشائع، سبب ذلك الانتباه، ذلك أن المستطرفي الأذهان أن الأولين هم «محور الخير» والآخرين هم «محور الشر»، إذا استخدمنا لغة الخطاب السياسي الراهن. وترتب على ذلك أن المصطلح يجد ذاته بداً كافياً لإثارة تعاطف كثيرين تلقائياً مع الإصلاحيين ونفوسهم

فہمی ہویدی

المشهد الانتخابي الإيراني،
بكل تجاذباته وصخبه
وما قد نأخذه عليه، يعد تعبيراً عن حيوية
سياسية متقدمة في أغلب
دول العالم الثالث



الذي تصوروا انه يهدد، من بين أمور أخرى، بإعلان الرمد من أيديهم بصورة تدريجية صحيح أن فشلنا غير قليل من المحافظين كانوا قلقين على موقدهم وعلى سلطانهم، لا، كان هناك أصداً آخرين القلقين صوت بعض المثمنين والعلمانيين من غلاة الإصلاحيين الذين ذهبوا أبعد مما ينبغي في خطاب التعمير الذي يتوعد على نحو آثار محارقتهم على نظام الجمهورية الإسلامية ذاته وعلى الثوابت التي قام عليها النظام عند نقطة المخاوف التفتت روى هصائل المحافظين، سواء المعنية بالتمرد السياسي أو تلك المحسوسة بمستقبل الجمهورية الإسلامية ومشرعوها الأساس. لذلك فإنهم تكلموا في مواجهة الإصلاحيين والتوقى على ضرورة قطع الطريق على تقديمهم في مدارج السلطة وإدارة شؤون المجتمع فتعددت الأسباب وحار الهدف واحداً.



الحفاظون ضعفاء في الشرع، خصوصاً في أوساط المثقفين والطبقيين الوسطى والعليا، وفي محيط الشباب والنساء، لكن أقدامهم بقيت راسخة في العديد من مواقع ومؤسسات السلطة. قالوا الفقيه سعد رئيسي لهم، ثم إن رجالاتهم يهيئون على السلطة القضائية وجلسات صيانة الدستور، وجلسات الخبراء، ومجمع تشخيص مصالحة النظام والمجلس الأعلى للأمن القومي، وأهم المؤسسات الاقتصادية في البلاد مثل مؤسسات المستثمرين والشهيد والإمداد فضلاً عن العرفة التجارية، إلى جانب ذلك كله فيهم القرار في حرس الثورة والجنين، وهو ما يعني في حقيقة الأمر أنهم يسيطرون على هيكل الدولة كله، باستثناء السلطات التنفيذية والتشريعية، وليس هناك شك في أن ما يملكون من سلطان وفوقهم من مجلس صيانة الدستور (المواد، ٩١ إلى ٩٦ من الدستور).

٣١ صعود الإصلاحيين إلى الأفاق

السياسي الإصلاحي الإيراني كان معادياً للمحافظين بل صامداً لهم على نحو لم يتوقعوه ويؤرخ لذلك الصعود بالموافق الكبير الذي حققه السيد محمد خاتمي في انتخابات الرئاسة التي جرت عام ١٩٩٧، على مرشح المحافظين الذي ناقشه الشيخ فاطق نوري، الذي كان رئيساً لمجلس الشورى وقتذاك، وحين كنت أحد الذين تكلموا الحركة الانتحائية. كان واضحاً أن الشيخ نوري ظل مطمئناً طوال الوقت إلى العصور، حتى لاحظ المحطلون به أنه كان يتصرف باعتباره رئيس الجمهورية القادم فعدل من هيئته وسع من ائتلافه الدبلوماسية وزارته الخارجية، ولذلك فإن الهزيمة القوية التي نزلت به كان لها وقع المواجهة والصدمة (لم يحصل على أكثر من ٢٥٪ من الأصوات) وحصد السيد خاتمي ٧٥٪، وفي حقيقة الأمر فإن الضربة كانت للمعسكر المحافظ بأسره وليس للشيخ فاطق نوري وحده، ومنذ ذلك الحين كان قرار المحافظين غير الملحق إلا يسبحوا للظلمة أن تتكرر مرة أخرى

الذي لم ينتبه إليه المحافظون آنذاك إلى فوز السيد خاتمي كان تعبير عن شوق إلى تغيير ما، لأنه تغلب على الشيخ نوري ليس فقط لأنه تغلب شخصياً على المحافظين، بل لأنه رفع شعارات لفتت حياوة وتعاطفاً من جانب الرأي العام، خصوصاً أوساط الشباب والنساء، ولكن وبدرجة الأولى لأنه يمثل استجابة للطرف التاريخي في تلك الفترة، فقد كانت الحرب ضد العراق قد انتهت عام ١٩٨٨، ومرت حوالي تسع سنوات على محاولة لعملة الاجراء التي خلتها، وكان المسكون بزماء القيادة هم أنفسهم التايكون في المصادرة منذ نجاح الثورة في عام ١٩٧٩، وبدأ أن المجتمع الإيراني يريد أن يمارس حرية التعبير التي اقتنصها، متجاوزاً حالة طوارئ الحرب ومخلفاتها، ويوجد في شخص خاتمي صموداً يشبع هذه الرغبة، ووجهاً جديداً يتسرع على التعامل بذلك الوجه، وكان الانحياز الكبير له تأكيداً لهذه المعاني.

انتخابات مجلس الشورى التي ثبتت فيه سنة ٢٠٠٠ عبرت عن ذلك الموقف، الأمر الذي تجلى في فوز الإصلاحيين بأغلبية المقاعد (١٧٠ من ٢٩٠)، وهو ما قوى من مركزهم حيث أصبحوا معتمدين بصورة نسبية من السلطة التشريعية فضلاً عن التنفيذية، وكان ذلك انحرافاً عن النهج المؤيد للإسلامية، التي تشكل أحد أجنحة من استمرار تناسل حضور الإصلاحيين.

وداعية إلى استقالة خاتمي، ونهيت تلك الروايات في معارضتها إلى حد حجب تأييدها عن الإصلاحيين في انتخابات البلديات التي جرت في شهر فبراير من العام الماضي، وكانت النتيجة في طهران مثلاً أن حق الإصلاحيين فشل دريعاً، حيث فاز المحافظون بأربعة عشر مقعداً من ١٥.



وبينما وقف خاتمي وفريقه الإصلاحي مع خصخصة التعليم، فإن الشيخ هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس تشخيص المصلحة تبني في نفس الوقت دعوة الاقتراض من الخارج، وكان ولا يزال أحد أهم الداعمين إلى حرية السوق، وبشكل عام فإن المحافظين على جعلتهم لا يشجعون تدخل الدولة في الاقتصاد، في الأغلب لأن رجال البازار يمثلون قاعدتهم السياسية والتنموية، في حين أن الإصلاحيين يقعون مع دور اقتصادي قوي للدولة.

حتى إذا قيل أن شمة تمايزات بين الجنانحين فيما يخص الحريات الشخصية والمخالية، وهذا صحيح، فإن قطعاً لا يستهان بزوله في المحافظين والحيويين عليهم يقفون في ذات المربع، يتقدمهم الشيخ هاشمي رفسنجاني والدكتور علي ولايتي وزير الخارجية السابق.

تجدد الإشارة إلى أن وزير الثقافة السابق الدكتور عطاء الله مهاجراني، الذي أقصى عن منصبه بضعف وإصرار من المحافظين كان من قادة حزب، وكادر البناء الذي يعتبر الشيخ رفسنجاني وزمره الروحي، كما أن غلام حسين كرايتشي صمدية طهران الأسبق والذي أدخله المحافظون إلى السجن وأطلقوا سراحه في عام ٢٠٠٠، والتشيخ عبدالله نوري وزير الداخلية الأسبق والذي أدخل السجن أيضاً وأُخرج في عام ٢٠٠٢، كانا أيضاً من أعيان الشيخ رفسنجاني.

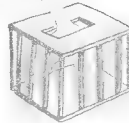
في ذلك الوقت فإن الشيخ مهدي كربوي الذي أصبح أكبر محققي ومباني الله أربابلي ومير حسين موسوي رئيس الوزراء الأسبق، هؤلاء كانوا محسوبين على التيار المتشدد، وقد أصبحوا الآن من رموز التيار الإصلاحي، ومعهم أيضاً بهزاد نبوي رئيس منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية، التي تشكل أحد أجنحة الإصلاحيين.

التفاسل بين المحافظين، ليس ذلك وحسب وإنما أعطى المصطلح إيحاءً بأن الإصلاحيين كتلة واحدة، في مقابل كتلة أخرى تتمثل في المحافظين.

الانتخابات معلومة مفتاح الباب واسعاً للاكتساب وسوء الفهم، إذ ليس صحيحاً أن المادة تصمم اختياراً في جانب وإصراراً في جانب آخر، وبذات الفكر ليس صحيحاً أن كل منهما يمثل كتلة واحدة سواء لا تعدد فيها ولا تمايز. لا حيلة لنا أمام المصطلح والانتخابات التي يستعملها، خصوصاً أن الترويج لتلك الانطباع ليس بريئاً دائماً، وإنما هنا ودائر تحصر على تكريس معنى اجتماع الأخير في جانب المحافظين والخصم الآخر في جانب المحافظين، والذين اعتمدتهم هنا هم أولئك الذين انحازوا إلى الإصلاحيين ليس حباً فيهم ولا إعجاباً بمشروعهم، ولكن كراهة للمحافظين وتعللاً بأمل تقويض مسكرهم من خلال الانحياز في معسكرنا، بمقتضى أن تلك خطوة على طريق إجهاد التجربة كلها وهدم العبد على جميع من فيه، الإصلاحيين منهم والمحافظين.

إننا إذا ارتكنا أن تيار الإصلاحيين يضم ١٨ حزباً وتجمعاً سياسياً، وأن تيار المحافظين يقبض فيه ١٧ حزباً وتجمعاً آخر، فإن ذلك يبين كيف أن كل معسكر تراسمي الأطراف ليس نحو يستعمل العديد من التمايزات والاختلافات، وعند الحد الأدنى فهناك على كل جانب معصمون وفاندية، ويمين ويسار ووسط، فهناك إصلاحيون متفنون أو شوريون، وآخرين أقرب إلى المحافظين منهم إلى بعض فصائل جماعتهم، وهناك محافظون متزمتون ورجعيون، وآخرون أقرب إلى الإصلاحيين وهكذا، وفي كل العمل في هذه النقطة بعض الضربة، ألقت النظر إلى أن الخلافات الفكرية حول القضايا الأساسية محدودة، وحيث تماثلت المواقف على وجه الخصوص، بحيث نجد أن اليسار يدايع من أيسره، ويغرض أنها ضمن اهتمامات اليمين والمعسكر صحيح، لكن الخلاف في الطموحات السياسية أكبر بكثير منها على المستوى الفكري ثقافياً كان أم اقتصادياً.

حتى أقرب الفكرة إلى الإصلاحيين أكثر بأن الصلاحيين خصوصاً خلال السنتين الأخيرتين معركة خصخصة التعليم العالي، وهو ما أثار غضب الروايات التقليدية التي خرجت إلى الشارع أفواج تطلها معلنة الاحتجاج



ببالغ كثرة إذا قلنا من حملة المحافظين على الإصلاحيين وملاحقتهم لهم حركها الصراع على السلطان والنفوذ سائكر من العيرة على مستقبل الجمهورية الإسلامية. وإن شئت الندة قبل أن دور الصراع على السلطة كان في المقام الأول. ومسألة العيرة هذه كانت في الماء التالي رغم أنها تمثل الحجة الرئيسية التي يستند إليها المحافظ السياسي الهجومي للمحافظين على الإصلاحيين.

٣٦ جان مودع تصميمية الحساب
١ وحجم الامر في الانتخابات التشريعية التي جرت في العشرين من شهر فبراير الماضي. وفي التي اكتسبت أهمية في ذاتها من حيث أنها مستخدم شكل السلطة التشريعية خلال السنوات الأربع القادمة. وفي رمزيتها باعتبارها مقدمة ومؤشر كاشف عن الموارين التي ستحدد مصير الانتخابات الرئاسية التي ستجرى في العام القادم. مع انتهاء ولايتي الرئيس خاتمي. أهم من ذلك أنها ستحدد في الوقت ذاته مصير تجمع الإصلاحيين ووجود بعض فصائلهم. ولا مراء من الإقرار بأن الظروف هذه كانت مواتية للمحافظين ومساعدة على ترجيح كمتهم. لعدة أسباب في مقدمتها أربعة هي:

١. الاحتلال الأمريكي للعراق. الذي جاء بالقوات الأمريكية على أبواب إيران من العرب. وهي الخطوة التي جاءت في أعقاب احتلال أفغانستان واستقدام القوات الأمريكية التي رايبت بمحاذاة حدود إيران الشرفية. الأمر الذي فرض عليها نوعاً من الحصار الاستراتيجي السبي. ليس ذلك فحسب وإنما وقع اختلال العراق في سياق حملة أمريكية هجومية واسعة النطاق على المنطقة. تحدث مسئولو البيت الأبيض خلالها بشكل متواتر عن إحداث تغييرات في البعثة العراقية وأعاد رسم خارطتها. وكانت الإشارة إلى إيران صريحة في ثنائها هذا الكلام. ول قبل إطلاق أي كلام. حين ستمتد الرئيس الأمريكي بوش ضمن ما سعى لمحو الشر. وهي إشارات تدفعها إسرائيل بقوة كما هو معلوم. ولا تدع مجالاً للشك في أن إيران مستهدفة. وفي بعثة الطهري الوشيتي. الذي كان ضمن ما لمعول عليه طاهران في تحدي المصعوط الأمريكية. فإن ذلك الاستهداف في الوقت الراهن لا يدل أن يؤخذ على محمل الجد. أن يصيب إيران ممرجات حملات من التوتر والقلق وهي ظروف القلق هذه فإن الاحتشاد والاحتماء بالدهاعات الأساسية والظهير على الذوب والجدور تعود ودور أفعال طبعية.

إذ صبح ذلك التقدير. فإن أجواء

يتم في إطار المؤامرة التي أعدتها الدول الغربية لعسرب النطسام الإسلامي. (تشره) المجر من إيران. عدد بتأثير ٢٠٠٤ ص.

٥ السبب الرابع هو ابدراع عقد التيار الإصلاحية. ذلك أنهم وفوا صفاً واحداً في انتخابات الرئاسة عام ١٩٩٧. ولكن المور الكبير الذي حققه السيد خاتمي أعطى ثقة زائدة لجهة المشاركة التي يتزعمها شقيقه السيد محمد رضا خاتمي. الأمر الذي دفعها إلى محاولة التفرع بفظام الانتصار. والاستثمار بها دون حلفائها الآخرين في التيار. وفي المقدمة منهم حزب كوار البناء. الوافق على يمينهم ويحسب ركانه وانصره على التفرع فاضمي رفسنجاني الذي اعتاد أن يضع قدماً هنا وقداماً هناك. أيضاً ذلك أن الإصلاحيين الذين خاضوا انتخابات الرئاسة على قائمة واحدة عام ٩٧. شاركوا في انتخابات البلديات عام ٢٠٠٣ موزعين على خمس قوائم انتخابية متنافسة هي: حزب جبهة المشاركة. حزب حزب البناء. حزب التحالف القوي المدني. حزب التضامن. وحركة تحرير إيران. وأنهم شاركوا في الانتخابات على ذلك النحو. في حين شارك المحافظون على قائمة واحدة. فلم يكن صفافاً أن يسمى الإصلاحيون بهزيمة. ويتنوع عليهم المحافظون. الذين سبق أن أشرنا إلى أنهم فازوا ١٤ مقعداً من ١٥ في بلدية طهران. التي تسيطر. ترمومتر. الحال السياسي في إيران.

٥ لم يحسن المحافظون قراءة هذه الظروف. التي كان يمكن أن توفر لهم انتصاراً (طبعياً) إذا جاز التعبير. فلم يستثمروا التفاعلات السياسية لصالحهم. ولم يتجهوا في أن يقدموا أنفسهم باعتبارهم المنفذ الحريص على الوحدة الوطنية في الظروف الدقيقة والحرجة التي تمر بها البلاد. فيقدون حملة الاستئثار بجمع احتواء الآخرين وحشد طاقات الجميع في مواجهة التحدي المطروح. بصرف النظر عن أية خلفيات أو قرارات سياسية أبة ذلك أنهم في المرحلة التي سبقت الانتخابات على الأقل. بدوا بقوة حزبية مصرة على إقصاء الإصلاحيين والحيلولة دون تكوينهم من المشاركة في الانتخابات. في حين كان المأمول أن يقدموا أنفسهم بحسبانهم قوة دمع تريد أن تحشد طاقات الأمة الحية لإنقاذ الوطن مما يتهدده. وفرق كبير من الناشطين السياسية والتاريخية بين نكتل حزبي متفك على استعداد السلطة والإطاحة بخصمه بأي ثمن. وبين قوة وطنية لا يشغلها إلا التصدي الأكبر المتمثل في إنقاذ الوطن وتأمين مسيرته.

العدد الثاني والسبعون. مارس ٢٠٠٤ م

كهنه تشكل طرفاً تاريخياً مفابراً يستغني المحافظين لكي يسكوا بالزمام ويعينوا السقيفة على الصمود والثبات في وجه الإعصار الذي يلوح في الأفق. فهم أهل هذه المرحلة التي يتهدد فيها الكيان. وضخمهم في موضع القيادة يمثل استجابة لمطالباتها. فهذا أوان التفرق وليس الانقسام. والاستئثار وليس الانشراء.

٦ الاستماتح الأمريكي للإصلاحيين. الذي أزعج بأنه إذا كان المقصود منه تشجيعهم. فإنه أضرب بهم كثيراً. وجاء خصماً من رصيدهم. إذ حين يمدحهم من كان عدو. على الأقل في حسيان المواطن العداء الذي ما يرح به. منذ قامت الثورة. لكونت لأمريكا. (مركر أمريكا). فلماذا لا يكون فيك شيء غلط. يدعو للثقل والاسترابة. لا زيد أن أذهب إلى السيناريو الأموا المتمثل في أن استباحهم ربما يزيد به. (إحراقهم). لكي يتمكن المحافظون من بسط الهيمنة على كل المناقد وزداد الاختناق تصاعقه في إيران. الأمر الذي قد يؤدي إلى تفجير الحوافر وإسقاط النظام. ولكن فقط القطع بأن ذلك المديح. في هذه الأولى. أما إلى الإصلاحيين في بعض النوازل. ووفر للمحافظين حجة قديمة للتشكيك في مطالبهم مع الولايات المتحدة. وإسرائيل بالتالي.

٧ الحجاج العلماني المتعرب الذي يستغل مظنة الإصلاحيين إساءة إليهم بدوره. لذلك أن هذا الجناح وجد أن مكاناً في محيط ذلك التيار الذي يشكل العظام عن الحريات السياسية فاقساماً مشتركاً أعظم بين فصائله. من ثم كان الدافع عن الديمقراطية نقطة التقاء بين تلك الفصائل. لكن من الواضح أن الالتقاء المرحلي حول هذه المسألة لم يستعجب التقاء معاملاً في المصاحف. فالإصلاحيون المحافظون. أرواحاً ديمقراطية إسلامية توطف الدين في خدمة السياسة والمجتمع. بينما أراها العلمانيون. الرافضون لرابية الليبرالية ديمقراطية غربية. تمرز الدين وتفضله عن السياسة والمجتمع. وحين عبروا لذلك العلمانيون عن أرائهم. فإن ذلك أضاف إلى المحافظين حجة أخرى للتدليل على عدم إخلاص هؤلاء للمحسورية الإسلامية. واختراق صفوفهم من جانب الصاعب الأمريكي.

٨ اجتماع السببين الثاني والثالث مكنا المحافظين من التنديد بالقوى بالمسكر الإصلاحي. وهو ما تجلى في مثلاً في اليوم الشهيد الذي شنه عليهم أحد رموز التيار المحافظ في مجلس الشورى. على إمامي را. وقال فيه. «إن تضامهم وانسجام علماء أمريكا والمجاهنة الموجدون في مجلس الشورى مع السياسات التي تنتهجها أمريكا وإسرائيل.

المحافظون ضعفاء في الشارع. خصوصاً في أوساط المثقفين والطبقتين الوسطى والعليا. وفي محيط الشباب والنساء. لكن أقدمهم بقيت راسخة في العليد. من مواقع ومؤسسات السلطة. فالولي الفقيه سند رئيسي لهم

على حجب جميع مرشحي، جبهة المشاركة، ومنظمة، محاذي الشؤد الإسلامية، وعلى رأسهم الجبهة المستبدون أمهاتها العام السيد محمد رضا خاتمي شقيق الرئيس ومحسن ميرماني رئيس لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشورى وفي مقدمة الذين استبعدوا من قيادات منظمة الجبهه همزهارد بنوي ومحسن ارماد. (جميعهم أعضاء في المجلس الحالي)

ويذا أن مجلس صيانة الدستور أبدى مرونة لفصل حيال المرشحين المشتبهين (إلى تجمع علماء الدين المصلين، الذي يتقود الرئيس خاتمي ويشوأي أمانته العامة الشيخ مصطفى كروي رئيس مجلس الشورى الحالي، وحزب، وكوار، البهاء، القريب من الرئيس السابق هاشمي رهنجاني (كان الحافظون قد قاموا بإقصاء وتصفيه بعض أركان الحزب في السابق) وهو ما يسوق لنا أن نقول بأن الحافظين أرادوا إصعاف الفكر الإسلامي غير المعاصر بعض فصله، حتى الآن على الأقل.

وكان واضحاً طوال فترة الشد والجذب التي شهدتها الأسابيع التي سبقت الانتخابات أن الرئيس خاتمي حرص على عدم تجسير الموقف مع الحافظين والوصول معهم إلى مرحلة كسر العظم، رغم أنه لم يكف عن انتقادهم، كما أن الشيخ رهنجاني وجماعته (كوادر البهاء) استطاعوا أنقصهم بمسافة إزاء جبهة المشاركة محتضين في ذلك موقفهم على يمين الإسلاميين وهم الذين كانوا في السابق على يسار الحافظين.

السيد خاتمي حكما حينما أحسن للعاصفة وتراجع عن فكرة الاستقالة ولم يتسكك بمطلب تأجيل الانتخابات وهو بذلك تجنب الجبال خطر. أحدها احتمالات العوضى التي يمكن أن نشأ عن تصعيد التوتر بين التيارات الإسلامية والحافظ، والتي سيكون الشارع طرفاً فيها على الأرجح، وهي فوضى لا بد أن تصب في صالح الذين يريدون إسقاط النظام الإسلامي خصوصاً أولئك الوافقين الذين يتطرون على أمواه، أما الحظر الثاني فيتمثل في احتمال، عسكريه، التشنج الذي لوح به الحافظون في حال إصدار الإسلاميين على تأجيل الانتخابات، وهو ما أشارت إليه صحيفة، جمهوري اسلامي، المحافظة، التي ذكرت أنه في حالة امتناع الحكومة عن إجراء الانتخابات في موعدها المقرر (٢٠ فبراير) فإن هناك بدائل أخرى مطروحة لإجرائها، وكانت تلك البدائل محصورة في تولي حرس الثورة والباسج، مباشرة العملية والإشراف على إجراء الانتخابات.

لجمهوريه كما أنهم لو تعاملوا مع قوائم المرشحين بدرجة أكبر من التسامح وسعة الصدر، فأغلب الظن أن الإصلاحيين كانوا سيشاركون وهم مشكوك ومزعوم على عدة قوائم، كما حدث في انتخابات البلديات. ولكن أجاء من شأنها أن توفر للحافظين فرصة أكثر للحد، خصوصاً إذا أضفنا إليها الظروف الأخرى المواتية، التي سبقت الإشارة إليها، لكنهم تسرعوا وهلموا ما فعلوه متأثرين بالرغبة في تصفية الحسابه فأتاروا تعاطف المجتمع مع الإصلاحيين الذين أصبحوا في موقع، الضحية، الأمر الذي يستدعي إلى الذكره العبارة التي استخدمها السيد خاتمي في لافتات الانتخابات عام ٩٧، وعقدت مشاعر كثيرين، فلكل التي وصفت بأنه «سيد مظلوم»، أي أنه وهو من الأشراف، التوسيين إلى سالة النبي عليه الصلاة والسلام يقاضى من مظلومية أهل البيت، سيروا على درب الإمام الحسين.

ولأنهم في الانتخابات قدموا بصيانتهم ضحايا، فقد كان ذلك مسوغاً لتبرئة ذمتهم أمام المجتمع فيما عجزوا عن الوفاء به من عهدهم، حيث زاهم الناس في المشهد الأخير وهم مكبلو الأيدي ومهينون الجراح، ويمادون من استحقاقات المظلومية، وتلك نقطة لصالحهم لا ريب.

غير أن الإقصاء الذي تم له صدى آخر يخشى من عواقبه في المستقبل، يتمثل في تعميق الاستقطاب بين الناجين، إذ لا شك أنه عند ذلك الجرح في الجانب الإسلامي وينبع بينهم وبين الحافظين في نحو لا يعمد التماسك المطلوب للمص الوطني في المرحلة المقبلة، بل لعل لا أتابع إذا قلت أن من شأن ما جرى أن يغذي التعرّف على الجانبين، ففلاة الإسلاميين سيرون فيه دليلاً على عجز النظام عن احتمالات استحقاقات المعارضة الديمقراطية، الأمر الذي يدفعهم إلى معانته والإصرار على المطالبة بتغيير قواعد اللعبة السياسية، بما في ذلك صلاحيات الولي الفقيه وعلاقة الفقهاء بالسلطة أو علاقة الدين بالدولة، أما غلاة المحافظين فقد يرون فيها أنجزوه متشعباً على استتار السلطة، وسافراً على التضرع بها، من طريق أحقية الإسلاميين في مظاهراتهم، والانتقال من الإقصاء إلى الاستئصال.

فثمة ملاحظات أخرى يتعين وضعها في الاعتبار على المشهد الانتخابي في إيران، في إن المحافظين في معيهم إلى الإقصاء لم يوجهوا سهامهم صوب كل فصائل التيار الإسلامي، ولكنهم ركزوا

كانت المدبجة التي أجراها مجلس صيانة الدستور تجسيدا لثقله منطلق الإقصاء والهدف على أسلوب الاحتشاد والإضافة. فقد اعترض المجلس على ٢٦٠٥ مرشحين من أصل ٨١٥٦ قدموا طلبات الترشح، وس بين الذين اعترض عليهم المجلس ٨٢ عضوا في مجلس الشورى الحالي (ارفع العدد إلى ٨٧ لاحقاً) وهؤلاء كانوا على رأس الناشطين في جبهة المشاركة، الذين تحدوا في المجلس سلطان المحافظين طوال الوقت.

حدثت الأصداء المعروفة التي تابعتها الصحف والفضائيات طيلة الأسابيع الماضية، من الاعتصام داخل مجلس الشورى، إلى استقالة ١٣٠ من أعضائه إلى محاولة الرشد تخفيف هذه الأزمة ودعوتهم للمجلس بأن يعيد النظر في قائمة الأسماء المحجوبة، لكن ذلك لم يحدث للأسف، جوهرياً في الموقف، لأن الهاجس الأساسي لأركان مجلس الصيانة، كان إزاحة رموز الإصلاحيين وإخراجهم من المشهد السياسي.

استأن هذا في استطراد سريع خلاصة أن الدستور لم يعط مجلس صيانة الدستور حق حذف أسماء المرشحين أو فرض الوصاية على مشاركتهم، حيث تنص المادة ٩٩ منه على تولي المجلس، الإشراف، على الانتخابات، التي يفهم منها أن المقصود هو التحقق من سلامة إجرائها وضمان نزاهتها، ولكن المجلس وسع في دائرة، الإشراف، حتى أدخل في إطاره عنوة مسألة تحديد صلاحية المرشحين، وإجارة أناس وجب اخرون، فلما بأن وزارة الداخلية في الجهة المعنية أصلاً بتحديد مدى الصلاحية من خلال مراجعة السجل المدني لكل شخص وقد تجاوز المجلس هذه الحدود، وأعطى لنفسه الحق في تقييم الصلاحية السياسية لكل مرشح، الأمر لا يقل أهمية عن ذلك الفتح حتى غداً لتكريساً للوصاية على المجتمع ويسمى سلطان الولي الفقيه على مسار الانتخابات التنبائية.

فثمة أن الأمريكيين حاولوا تشجيع الإسلاميين فكانت النتيجة أنهم أضغفوا مركزهم، فإن المحافظين حينما حاولوا توجيه ضربة قاضية إلى الإسلاميين بحجب رموزهم عن الترشح، فإنهم قوا مركزهم نسبياً ووهوا من أسهمهم في الشارع الإيراني، ثم يكن المحافظون بحاجة إلى الإقدام على المنجحة، فهم، كما قلنا، لا يرايون ليكون من عناصر القوة ما يمكنهم من تطويق الإسلاميين وتكليمهم دون إراقة أي دماء، كما حدث منذ انتخاب السيد خاتمي رئيساً

كان واضحاً
طوال
فترة الشد والجذب
التي شهدتها
الأسابيع التي
سبقت
الانتخابات أن
الرئيس
خاتمي حرص على
عدم تجسير
الموقف مع الحافظين
والوصول
معهن إلى مرحلة
كسر العظم

فثمة أن الأمريكيين حاولوا تشجيع الإسلاميين فكانت النتيجة أنهم أضغفوا مركزهم، فإن المحافظين حينما حاولوا توجيه ضربة قاضية إلى الإسلاميين بحجب رموزهم عن الترشح، فإنهم قوا مركزهم نسبياً ووهوا من أسهمهم في الشارع الإيراني، ثم يكن المحافظون بحاجة إلى الإقدام على المنجحة، فهم، كما قلنا، لا يرايون ليكون من عناصر القوة ما يمكنهم من تطويق الإسلاميين وتكليمهم دون إراقة أي دماء، كما حدث منذ انتخاب السيد خاتمي رئيساً

فثمة أن الأمريكيين حاولوا تشجيع الإسلاميين فكانت النتيجة أنهم أضغفوا مركزهم، فإن المحافظين حينما حاولوا توجيه ضربة قاضية إلى الإسلاميين بحجب رموزهم عن الترشح، فإنهم قوا مركزهم نسبياً ووهوا من أسهمهم في الشارع الإيراني، ثم يكن المحافظون بحاجة إلى الإقدام على المنجحة، فهم، كما قلنا، لا يرايون ليكون من عناصر القوة ما يمكنهم من تطويق الإسلاميين وتكليمهم دون إراقة أي دماء، كما حدث منذ انتخاب السيد خاتمي رئيساً



حداد عادل، المرشح لرئاسة مجلس الشورى، تحدث إلى وسائل الإعلام بعد فوزه بأعلى الأصوات في طهران قائلا: أن ما يشعلني هو ورسلاؤه هو تحقيق التنمية الاقتصادية وحل المشاكل المعيشية للناس. مشيراً في هذا الصدد إلى أنه في أن تصبح إيران بمثابة اليابان إسلامية..

من الملاحظات الأخرى المهمة أن نسبة التصويت في الانتخابات كانت في حدود ٥٠٪ (أي نصف عدد الناخبين الإيرانيين البالغ عددهم ١٦ مليون شخص). ولأن هذه النسبة غير معهودة في انتخابات الشارع الإيراني وأتباعه، الجمهورية الإسلامية، فإنها تعني أن على المحافظين أن يبدؤوا جيشاً أكبر لكسب ثقة الشارع الإيراني وأتباعه، وسيكون موقفهم من الحريات العامة حاسماً في تعزيز تلك الثقة أو إزاحتها. يتصل بذلك موقفهم من التيارات الإصلاحية. وما إذا كانوا سيمضون إلى الإطاحة به أو التعاون به بعض أجنحته، على الأقل تلك التي لم تقاطع الانتخابات. وهو ما سيبيّنه موقف مجلس الشورى المنتخب في حكومة السيد خاتمي، حيث يتنصص على الطرفين أن يتباحثا معاً لمدة ثمانية أشهر على الأقل، حتى يحين موعد الانتخابات الرئاسية القادمة وتجربة هذه الأفرع التي تستمد لنا إلى حد كبير ما إذا كانت نتيجة الانتخابات بمثابة تداول للسلطة أم انقلاب على النهج الإصلاحية برمتة.

السيناريو الأسوأ هو أن يعتمد المتطرفون من المحافظين إلى استئصال الإصلاحيين، متشجيعين في ذلك بالأغلبية التي حصلوا عليها في الانتخابات، وأن يعتمد المتطرفون من الإصلاحيين إلى تحدي النظام بأسره متشجيعين بغواية المساندة الخارجية لهم. وفي كل الأحوال فإن الموقف الانتخابية التي شهدتها البلاد ستشكل نقطة هافرة في مسيرة الجمهورية الإسلامية. ومنطفاً يقودها إلى واحد من طريقتين: «السلامة، عنوان الأول والندامة، عنوان الثاني وأحسب أن انتظاراتنا لن تطول حتى يتأينا الخبر اليقين. ■

كتاب الزاوية

مذكرات الأميرة جويدان

١. زوجة الخديوي عباس الثاني

تولى الخديوي عباس حلمي الثاني حكم مصر عام ١٨٩٢ بعد وفاة والده الخديوي توفيق في ذروة نفوذ اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر والحاكم الفعلي للبلاد آنذاك. شهد عصر عباس حلمي بوادئ تشكل صورة مصر الحديثة من خلال ظهور الأحزاب وقيل ذلك صدور صحف مهدت لقيام هذه الأحزاب. كما أن زعامات وطنية ذات وزن وقيمة برزت في تلك الفترة وفي مقدمتها مصطفى كامل ومحمد فريد وعلى يوسف وأحمد لطفي السيد.

وقد كتب مؤرخون وباحثون مؤلفات عديدة عن تلك الفترة الثرية من تاريخ مصر. إلا أن مذكرات الأميرة جويدان زوجة الخديوي عباس حلمي تحمل نكهة خاصة باعتبار أنه من النادر للغاية أن تكتب زوجة حاكم مصري في ذلك الزمن مذكراتها كما أنها أي الأميرة جويدان لم تقتصر في تلك المذكرات على النواحي السياسية بل تناولت قضايا اجتماعية عديدة كالحریم والمرأة وحفلات الأعراس وغيرها من الأمور التي تكاد تكون قد اندثرت حالياً. وتبدو الأميرة جويدان في مذكراتها سيدة طيبة خيرة متديبة وهي تتحدث عن عقلية زوجها التجارية واهتمامه بالمال والتجارة وتمتية ثروته أكثر من أي شيء آخر.

وقد أعادت دار الهلال إصدار هذه المذكرات في أغسطس عام ١٩٨٠ بمقدمة طويلة للأستاذ سعد رضوان.

ظهر السيد خاتمي بمظهر رجل الدولة وبدا معه الشيخ مصطفى كروي مستعدين للتصحية بمصلحة جماعتهما في مقابل الحفاظ على المصلحة العليا للوطن. في حين أن قادة المحافظين قدموا مصلحة جماعتهم على تلك المصالح العليا. وتلك نقطة تحسب عليهم لا ريب ليس ذلك فحسب، وإنما أحسب أن مجلس صيانة الدستور وإن بدا أنه خرج منتقياً في مواجهة، إلا أنه خسر ثقة كثيرين فيه على نحو يجرح عدالته، بعدما بدا غير محايد في الأزمة. ومغلباً للهوى السياسي في قراراته التي تتعلق بمستقبل البلد ومصره.

هذه الخلافات كان لها صدها [٨] في التصويت على عضوية مجلس الشورى..

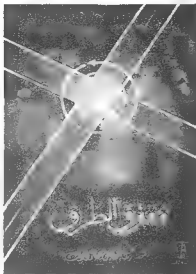
حدث ما كان متوقفاً حين أجريت الانتخابات وتم فرز الأصوات. حيث فاز المحافظون بنسبة عالية وفرت لهم أغلبية مريحة في مجلس الشورى (حتى موعد طبع المجلة كان قد أعلن عن فوزهم بـ ١٤٩ من ٢٩٠). في حين حصل الإصلاحيون والمستقلون ٩٥ مقعداً (بنسبة ٢٢.٤٪).

ومع اضطرارهم إلى النتيجة بدأ الحديث في طهران عن بروز المحافظين الجدد، وهو عنوان بدأ موجياً بأن هناك جيلاً من المحافظين مختلفاً عن الصورة النمطية الشائعة عنهم، سمته الأساسية أنهم خليط من أهل الاستعداد وأهل الخبرة (التقویرات). وسواء كان ذلك وصفاً حقيقياً أم أنه مجرد محاولة لطمأنة الجميع وكسب تعاطفهم، خصوصاً أن ثمة جولة انتخابية أخرى في العام القادم يطمح المحافظون إلى كسبها. بعد انتهاء الولاية الثانية للرئيس محمد خاتمي، لكي تتم لهم الهيمنة الكاملة على مختلف سلطات ومؤسسات الدولة. أي أن الأمر هنا شاهد أن المحافظين أصبحوا مصططرين إلى مبنى العديد من عناوين الخطاب الإصلاحية، تغيير الصورة النمطية التي استقرت عنهم في الإدراك العام، داخل إيران وخارجها. وقد لوحظ في هذا الصدد أن أحد أبرز رموزهم، الدكتور

الكتلة الحرجة.. وصناعة التفوق

[illegible]

توجهه لاصحابه والسياسة وهدد بعض
الزعماء الحكوميين شخصيته لخصه
مزدوا على حد ذاته التي ادعى كينج
التي اشترى على حد ذاته في بيلمانكو
الزعماء ومهاجرين يجب سعيها ليدون
الزعماء الحكوميين وميدوا في
قدرة مهمهم مبدوا في هذه
التي صملا على توضيح العقاق
والدولة على المظالمات في هذه الدولة
التي تستطيع ان تحدث تأثيرا كبيرا
في الراي العام وتكسب خصوصا
حزونا الثقة والصدق فيما تدعي، وهذا
يصدر العمل بوجه الفريق وسال
مهمته الشخصية في سياسة
الزعماء الذين هم مرسى ميداين
والذين هم عشرين في المهنيين
الذين انعموا عليهم وصغير وصاحب
ما استغرق فيهم انهم اعظم
التي امتلأوا الايجار وانه
هذا هوكل على حدة تستطيع ان تجعل
وجه الامم في مصر مصر و ان
في هذه الايام الممثلة كاليه الى راحة
والتي وحصلت الامم وساحة العلم
والتي وحصلت للامم والاعمال

[illegible]

اما اليوم في اطار الموجة الثالثة
فمريد يتبنأا مبدعا، فحين ندرس
في نوعية مختلفة... فمردا وميسمه
التيست في المال وللا لالمعرفة بل
الوسيط التشت والمشتق والحجز
المردا للحوار التي يستهتبه به هم
الطلاب، والذي يرضي مواهبهم ويتبع
المردا المدة على التشت والمشتق والحوار
الحاد والاختلاف في الرأي، ولكن كيف
نمردا للمردا التي ترضى على غير
الفاهيان ان يتقم هذا المردا الجديد؟
مهمة صعبة لاجل انصاح في جهد كبير
ووقت تنسطيع ان نمحصها...
يدخل عن تحقيقها لان هذا المردا ليس
في حاجة الى موطمين او لعمال على
مخطوطات انصاح... فخطوط الانصاح

مناطق التنمية وهو منطلق التمييز الكمي فقط. لذلك شاليد من أحداث ثورة في معاهيم وأطر التعليم بالنسبة للهيكـل التعليمي وبرامجه وأساليب أدائه في الاتجاه الذي نؤكد لبناء نسج التحيل الجديد.

[illegible]

لم يعد طفلي أن نعلم أولادنا موجهة
المشاكل التي تصاحبها المصاعب التي تعوق
الإنسان عن التخلص من القرب والبعث العيشية
حتى الآن إنما مسئوليتنا هي أن ندهم
نوعية من الحياة حتى لم نقتضيها
حيثنا لم نتعود على حلها فلم نكن
لدينا طريقة لقياسها أو التعامل معها
وعلى أن نصورها علمياً أو نعلم بها
في بعض الأحيان نعلم أن نستخدم
لقد برزنا في محاولة لتسليح إنساننا
بالقدرات اللازمة لحل هذه المشاكل -
لأننا مقولة الإنسان لم يتعد فيها
تعليمنا أولادكم بطابعكم فقد خلقوا
لأنهم ليسوا بكم... مسئوليتنا أن نعد
الأولاد لأنهم ليسوا بكم.

تعلیمات

[illegible]

لقد أصبح من المستحيل أن نحمل بنا هذا خزان المعلومات المتاحة لهم فهذا يوق قدرة أي بشر، وأصبح الخيار الأوسع هو أن نسلكهم بمصالح هذه الخزائن فقط، وأن نعلمهم طريقة استخلاص المعلومات بطريقة تنظيمها وطريقة وظيفتها. هذا هو الخيار المطروح إذ تعين علينا أن نذكر بمنطق التسمية من منطق الجودة الشاملة وليس

س كتاب: مفترق الطرق
حسين كامل بهاء الدين
لقاهرة: دار المعارف ٢٠٠٢

ومعارضه أشد التعارض، فهميم
اليساري والميسر، المؤيد بشدة للجهوم
الأمريكي والمعارض بشدة، الأكاديمي
المساكن واليساري الشنط، المعاصم
غضبياً شديداً على ما تمعله إسرائيل
والفلسطينيين والمؤيد بشدة لأي مشروع
للتصالح معها الموسوعي واسع الأفق
والعالم المنحصر تخصصاً ضيقاً وقليل
الغبر على قراءة قصة أو رواية.. إلخ.
هؤلاء جميعاً يكتلون بكثافة أوراق خاطئة
وأمامية، ولكن بشرط، وأصبح وصريح،
مضى سلماً هذه الأوراق نثت مهمتهم
ولا يستطيعون مطالبة «الفريق المركزي»
شيء، ولكنهم في مقابل ذلك يعصون
تماماً من المسؤولية عن الحالة التي
يظهر بها التقرير في صورته النهائية

ما نوع التقرير الذي تنتظر أن يتج
في ظل هذه الترتيبات؟
الإجابية، تقرير من هذا النوع
بالصيط، لا طعم له ولا راحة، موقفه
الوحيد هو ما يشتم مما بين السطور،
ويستخلص مما سكت عنه أكثر مما
يستخلص مما تكلم فيه، وهذا الموقف هو
الموقف الذي يرمى عنه «برامج الأمم
المتحدة الإنمائي، بأجندته الحصرية، التي
لا تحد في أي مكان تغييراً صريحاً عنها،
ولكنك تستطيع، بل من واجبك، أن
تحاول اكتشافها.

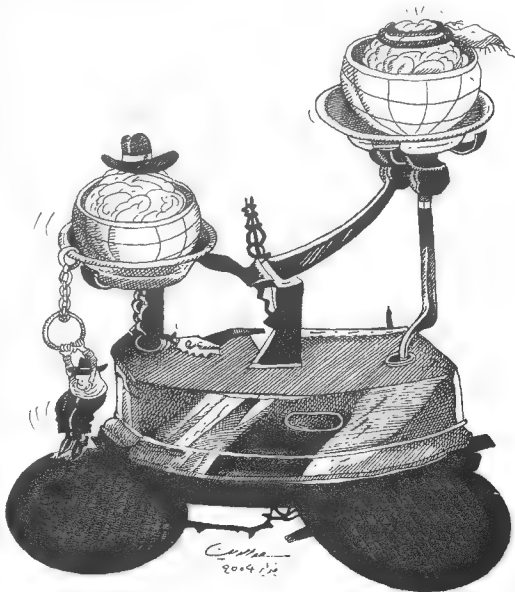
دا كان الأمر كذلك، فعلى من تقع
مسئولية هذا التقرير في الحقيقة؟ هل
هي مسئولية الجميع؟ أم مسئولية
الفريق المركزي فقط؟ أي أي مدى يمكن
أن تلوم كاتب الأوراق الحصرية إذا حد
التقرير صفحة من أربعين صفحة مثلاً،
كتبتها أحد هؤلاء الكتاب، وأعاد أحد
«المحررين»، أو عصفو، «الفريق المركزي»،
صياغتها وفرك بقية الصفحات؟ من
الذي يجب أن يوجه إليه اللوم مثلاً عن
خلو تقرير يحمل عنوان «نحو إقامة
مجتمع المعرفة، خلوا تماماً من أي إشارة
لموضوع علاقة اللغة العربية باللغة
الدارجة (باستثناء نصف فقره تكون من
١٢ سطراً في من ١٢٤ ولا تكاد تفس
الموضوع حتى تتركه) ولا أي مناقشة لأثر
التوسع في إنشاء المدارس والجامعات
الأجنبية في البلاد العربية على مكانة
اللغة العربية.. إلخ؟

أترك الحكم في هذا
للقارئ، ولكنني لا أستطيع أن

منهم، بعضها بهم لاده مترجم من لغة
أجنبية، وبعضها بهم لأن كاتبها يعتمد
الإتهام.
كم تثيرت الدنيا في هذه العقود
السبعة الماضية؛ فأنت مسئولية إصلاح
أحوال الثقافة والتعليم والحرفة في
البلاد العربية إلى هيئة لها اسم غريب
هو «برنامج الأمم المتحدة للإنماء»..
أهدافها مستوحاة من خارج المنطقة
العربية، ولكنها لا تصرح بهذه الأهداف
وإنما تنفاهر بعكسها وفي سبيل ذلك
تعهد بأداء المهمة إلى مجموعة من العرب
المروفيين يرأسهم «فريق مركزي». يقوم
بتكليف كتاب ذوي مشارب متشعبة

هي في الكاب، وليست مجرد صفحة من
ورقة خليجية من سلطة رئيس الفريق
المركزي أن يقيتها أو يحدفها أو يعدلها.
دون أن يكون هذا الرئيس مصطصراً
لاستشارة صاحبها والحصول على اده
على الحذف أو التعديل.
وهو كل هذا كان الكاتب في حالة
مستقبل الثقافة في مصر.. ليس فقط
رجلاً مرموقاً ومعترفاً بفضله بل كان
أيضاً رجلاً يعترف للجميع بأنه مفكر
وصاحب موقف، قد تختلف معه ولكن
موقفه واضح ولا يختص وراء عبارات

بشر طه حسين كتابه الشهير، مستقبل
الثقافة في مصر، لمناقشة نفس القضية
التي يناقشها هذا التقرير، نحو إقامة
مجتمع المعرفة، قدم لنا كتاباً لا يحمل
إلا اسمه، يتحمل هو وحده مسئوليته
ويتمتع فيه بمنتهى الحرية في تحديد
ما يقول وما لا يقول، وطريقة قول ما
يريد قوله، ولم يدفعه إلى كتابته إلا دافع
من نفسه فلم تطلب منه ذلك هيئة
دولية أو «برنامج للإنماء»، وعندما كان
طه حسين يكتب صفحة من هذا الكتاب
كان يعرف أن هذه الصفحة ستظهر كما





أعنع بمسى من توجية عتاب لآستاذين كمبريس نعرف جميعا مساهمتهاا المشكورة فى الدفاع عن قضائيا العالم ،لثالث. وهما عصوان من الثمانية اعضاء هى ،فرق القرءا للسنخة العربية، ليس فقط لوافقتهما على وضع اسميهما على هذا النحو باصتبارهما من المشاركين اعداد هذا التقرير، ولكن على الاخص لسايجهما بمرور جزء بعنوان «حماية الحرية النوعية» لمتشكلة بحرية المعرفة الملكية الشكرية، (ص15، 16) فهذا الجزء من التقرير يصلح لآن يكون نموذجا لما نجد الشركات المتعددة الجسيات يشربون الرأى العام العربى، حول أثر التصوص الجديده فى اتعاقبات الجات من حماية حقوق الملكية الفكرية على التنمية فى العالم الثالث، وكان كتيبه هذا الجزء من التقرير لم يسموا قط عن الشكوى المرة التى عبرت عنها دول التنمية الثالث من جراء تطبيق هذه التصوص، واصرار الشركات لكبرى عليها لتحقيق المزيد من الارباح على حساب صحة ورفاهية قراء هذه الدول

ولكن هذا الجزء المضمون، حماية الحرية النوعية لمتشكلة بحرية المعرفة، الملكية الفكرية، (وهو عنوان بالغ الركاكة فى حد ذاته) ينتهى بصفحة عربية لا يعنى إلا أن الضم نظر الفائق إليها، فى بلا مناسبة تحتوى على تشهير من حد ذاته) ينتهى بصفحة عربية لا يعنى اليوم هى قهيرة ولا تقيم اعتبارا للإنسان (1) وتنتهى بالجملة العربية التالية: «إن هذه المحطات لا تساعد على رفع التحديات فى هذا الزمن المكثف» (16)



يمثل هذه الحيل وفى ظل هذه الترتيبات يمكن أن يتصرف تعريب المليون الإسياسه العربيه للتشهير ناعرب، وفى هذا العام بالذات (٢٠٠٣) يجرى التركيز على أحوال «العرفة» بعد أن وضع التقرير الأول الجمعية العامة لاختص المخلص العربية. فى ميادين الحرية والعرفه وتمكين المرأة، وكما حدث فى التقرير الأول يحاول اصحاب هذا التقرير اأحماء خبيراتهم وراء دحان كثيف من الأرقام، فيمتصون هذه الأرقام لإظهار العرب فى صورة ناعنة على الرشاء أو الاحتقار، لا تذكر الأرقام بمعزل عن ظروفها ومسائلها، وجميع

الصالح والطالح فى رقم واحد فيبرز الجانبد السلبى على حساب الإيجابى، ولا يميز تمييزا كافيا بين أداء بلد عربى وبلد عربى آخر، على أمل أن يطويع الأداء السيئ بالأداء الجيد، ولا تمييز كافيا بين فترة وأخرى، على أمل أن يخفى ما حدث فى فترة طويلة سبيلة، ما يمكن للعرب أن يفعلوه فى ظل ظروف أفضل، وفى جميع الأحوال يمتنع الكلام عن أى ضغط خارجى مارسته دولة أجنبية أو مؤسسة دولية أو عن المتاعب التى سببتها سياسة الانفتاح. فمثل هذا يعتبر من قبيل «المسلك الهروى...» الريح للنفص المكدودة ولكنه شديد الخطر، باحتصار يسد تقرير التنمية الإنسانية العربية على العرب أى منفذ للهروب، حتى ولو كانت نفوسهم مكدودة جدا، لكن ينهال عليهم التقرير برفق بعد آخر مما يزيد شعورهم بالكد والكد.



من ذلك مثلاً ما فعله التقرير السابق من مقارنة النتائج القومى الإجمالى للدول العربية بالنتائج القومى الإجمالى لإسبانيا، وقوله إن مجموع الناتج القومى للاثنتين وعشرين دولة عربية هو أقل من الناتج القومى الإجمالى لدولة واحدة هى إسبانيا وهو قول صحيح ولكن قوله هكذا مجرداً من أى تفسير أو توضيح، ومحاظاً من كل جانب بالانقذات وذكر القائل واحد بعد الآخر، لا ينظر على أكثر من عملية لإلال وإهانة للعرب وتقديم سلاح جديد ليستخدمه أعداؤهم للإعمان فى إهانتهم وإدلالهم. وهذا هو ما حدث بالفعل، إذ لم يفتأ أى شخص من المتهتمين بالتنشيع بالعرب فى الغرب وفى

ملادنا على السواء استخدام هذه المقارنة مع الإشارة إلى أن مصدر هذه المعلومة تقرير كتب بإيدى عرب مرسوفين، ومصادر عن هيئة دولية! لقد اختار كاتبو التقرير إسبانيا بالذات، لأنها دولة لا تقترب فى الزمن بالتقدم الاقتصادي الباهر، ومن ثم فتتوقعها ٢٢ دولة عربية مجتمعة لابد أن يطغوى على إلال أكبر للعرب. ولكن هذا الانطباع المهيمن يطغوى أيضاً على قدر كبير من التضليل، فكثرة عدد الدول العربية يستخدم هنا للإيهاب بالعجز رغم الكثرة، مع أن سبعا من هذه الدول العربية يقل عدد سكانها مجتمعة عن نصف عدد سكان إسبانيا، وزيادة الناتج القومى الإنسانى على الناتج القومى للعرب يستخدم للإيهاب بالقوة والياس من ناحية إسبانيا، والفشل والضعف فى ناحية العربية، مع أن زيادة المعرفة فى سمر الخطى يمكن أن تجعل هذه المقارنة لصالح الدول، والعبارة تولى على أى حال بأن هناك شيئاً شأناً فى العرب جعل دولة واحدة كإسبانيا تتفوق عليهم جميعاً، مع أن نفس المعلومة تنطبق أيضاً، وبدرجة أشد دامية، على دولة كاليهنا، إذ أن الناتج القومى لإسبانيا، الذى لا يزيد عدد سكانها على ٤٠ مليوناً، يزيد على الناتج القومى لليهنا الذى يبلغ عدد سكانها ٢٥ مرة قدر سكان إسبانيا. ولكن من حسن حظ الهذيان أن برنامج الأمم المتحدة الإنمائى ليس مشمولاً فى هذه الأيام بالتشهير باليهنا، بل بغضل التركيز على العرب.

هذه العملية من التضليل باستخدام الأرقام استمرت بالطابع فى التقرير الثانى، بل ومثلاً أول مصحفه، ففى أول فقرة من تقديم هذا التقرير بقلم المدير العام لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى، ذكراً ما يلي:



باختصار يسد تقرير التنمية الإنسانية العربية على العرب أى منفذ للهروب، حتى ولو كانت نفوسهم مكدودة جدا، لكن ينهال عليهم التقرير برفق بعد آخر مما يزيد شعورهم بالكد والكد



«كان إصدار تقرير التنمية الإنسانية الأول فى العام الماضى ظاهرة متميزة بكل المقاييس، ويشهد على ذلك استئناخ أكثر من مليون نسخة منه من الإنترنت.. وبالنظر لما أثاره ومازال يشهده من مساجلات - يتطوع لنا السبب الذى دعا مجلة «تايم» إلى أن تصفه بأنه أهم ما نُشر عام ٢٠٠٢ - ومن هنا فإن دعم ذلك التقرير كان من دواعى اعتزاز برنامج الأمم المتحدة الإنمائى.»

نلاحظ أولاً أن الجملة الأولى تستلخ عظمة التقرير الأول وتشير (بكل المقاييس) من عدد مرات استئناخه عن الإنترنت، ومن قول مجلة «تايم» بأنه أهم ما نُشر فى عام ٢٠٠٢، مع أن أى شخص مهتم بأحوال المعرفة، لابد أن يعرف أن عدد قراء مجلة أو جريدة أو كتاب ليس مقياساً جيداً لمدى جودتها ولا سبياً كافياً للاعتراف بمرارة ما أكثر من اعتزازه بكتابات أو مجلة أقل توزيماً. فحين نعرف طبيعة الصف والكتب والمجلات التى توزع أكثر من مليون نسخة فى الولايات المتحدة أو أوروبا بالمقارنة بمجلات أو كتب لا توزع أكثر من بضعة آلاف قليلة، إذ يعتمد معظم صحف وكتب النثر الأول على الفضائح أو أخبار الجرائم.

إن احتفال مجلة «تايم» بالذات فى وضعها للتقرير بأنه أهم ما نُشر فى عام ٢٠٠٢، فيبدو لأول وهلة عملاً بريئاً لولا أنه يخفى حقيقة مهمة تتعلق بسبب اهتمام هذا النوع من وسائل الإعلام الأمريكية بهذه التقارير الذى يظهر العرب فى أسوأ صورة، وهو نفس السبب الذى جعل وزير الخارجية الأمريكية، بل والريس بوش نفسه، يشيد بالتقرير ويعتبره أحد مبررات الهجوم على العراق. وحتى وصل الأمر إلى حد اهتمام مثل هذه الجلات ذات التوزيع واسع النطاق، وهذه الشخصيات المهمة بالتقرير، فلا عجب أن يستنسخ من التقرير أكثر من مليون نسخة، دون أن يكون لهذا الانتشار أى دلالة على مستوى التقرير العلمى أو على مدى أهله أو صفه.



على أن هذا ليس هو المثل الوحيد فى التقرير، وإن كان المثل الأول على استخدام الأرقام فى تضليل القارئ وإعطائه انطباعات مخالفة للحقيقة، واعتماداً على السهولة التى يمكن بها

حول التنمية الإنسانية العربية



ورويات الإثارة والتشويق تصرف الممثل عن نفسها على اقتراض ان ترجمة أي كتاب لابد ان تكون أفضل من عديها؟ وهل يا ترى تحصل كل الامم الى الترجمة بنسب الدرجة؟

الفرير يقدر البلاد العرسة هي ال الترجمة بتدولتين هم المحر وسايها ولكن لحر واسايها دولنا اوروبيتان تشتميان الى بنس ااصل الثقافي ونس الحضارة كاستر الدول اوروبية. ومن ثم لا تقرأ المحر او الاصل في بنسمل برو باب وقصص

وشر مل وبتاريخ دولة اوروبية اخرى اكثر مطا الختري العرس با يكون مله واستحاشته لفرادة رواية فرنسية و

امريكية بملل قو طلس او استحيه القارئ المحر او الاسياني. نعم. قد يكون من المياد ان تترجم كثير من الكتب

العربية الجيدة الصلة سوء الثقافة والحضارة ولكن ليس صحيحا ان نعد الامثل للكتب المترجمة (لكل مليون من

السكان) في دولة كالجر او اسبانياها نضمه البعد الامثل لدولة عربية. فالامر يتوقف على عامل كثرة من بينها مثلا

ما إذا كان تعليم المادة التي تشتمل عليها الترجمة الجيدة بمرى نالعة اسبانية. فالامر او الوطنية. فإذا كان الطالب المحر او

الاسياني مثلا يدرس الطب او الهندسة الفرنسية. فقد تكون حاجة الاول الى

ترجمة الكتب في هذه الموضوعات اكبر من حاجة الطالب العربي. وكذلك اذا كان الاستعداد الطبيعي لدى القارئ المحر

او الاسياني لقراءة كتاب بلغة اجنبية. وفيه اهم من الاستعداد الطبيعي لدى الطالب العربي. وهكذا.

لاشك مع كل هذا ان العامل الاساسي وراء انخفاض عدد الكتب المترجمة في البلاد العربية بالمقارنة بالدول الأوروبية هو عامل القصدى. يتعلق بمقر الدولة

وكل ويسوء توزيع الدخل هذا العامل لا يفسر فقط الاختلاف في عدد الكتب المترجمة بل في معظم المؤشرات الاخرى

كاستهلاك الصحف والكتب بنسبة عامة وسائر الحاسوب. إلخ. ولكن نحن نذكرنا هذا أدركنا ايضا ان العيب الحقيقي هو في الضر وليس في قلة الكتب المترجمة

او قلة استهلاك الصحف او التلفزيون إلخ. فعلا. لا يقول التقرير ذلك؛ ولذا لا يعطى هذا العامل دور الأهمية الواضحة من

في البلاد العربية ثابتا على ما هو عليه. ان هذا سوف يحس في ملر اصحاب تقرير التنمية الانسانية العربية. تتدهور. في الوضع العربي لحالة المعرفة. في البلاد العربية. يستدعى الحزن الشديد

(بل وربما وجدت الإدارة الأمريكية في هذا سببا يستدعى تدخل عسكريا من الرئيس بوش). نعم. هذه بلاد متقدمة عنا في كثير من الأمور المهمة. ولكن هذا التقدم لا يشمل زيادة عدد النسخ المطبوعة من الصحف او ساعات الإرسال التلفزيوني. إلخ.



أما عن عدد الكتب المترجمة فالأمر يحتاج الى بعض الترويض. قد يشاهد القارئ للوهلة الأولى. هل المقصود

الترجمة من اللغة العربية إلى لغة اجنبية ام العكس؟ لابد ان المقصود هو العكس او ان كاتبى التقرير لا شك

يلتمنون باب المحتاج إلى الترجمة هو نحن لا هم. حتى في ترجمة الأعمال الأدبية فكمما أنهم أكثر تقدما منا في العلم فلايد

اهم ايضا أكثر تقدما منا في الأدب (وهو اقتراض ليس صحيحا بالضرورة). ولكن أى لغة اجنبية يا ترى يقصدون؟ لابد

انهم يقصدون الإنجليزية والفرنسية واللاتينية واليابانية والصينية أو الكورية. فالأولى فقط هي على الأرجح

الجديرة في نظرهم بالترجمة في العلم والأدب على السواء. ولكن فنفسري انهم يقصدون الترجمة من لغة من اللغات

الى العربية. أفلا يجرى بنا ان نقرأ بعض الشيء للسؤال عن نوع الكتب المترجمة ومنهجها؟

هذه هي ترجمة التي حساسنا كل الكتب. بما في ذلك القصص البوليسية

لا يجوز نسبة عدد الصحف إلى السكان جميعا. بما في ذلك الأطفال وصغار السن الذين لا يتوقع منهم احد قراءة الصحف. ويشكلون نسبة اكبر بكثير في بلادنا منها في الدول المتقدمة. ولعل

مثل ذلك من استهلاك خطوط الهاتف او الكتب المترجمة. إلخ. كما ان عدد النسخ المطبوعة او الأجهزة المنتجة من كل هذه الأشياء لا يكفي للدلالة على عدد مستخدميها. إذ قد يقرأ النسخة

أكثر من شخص ويستخدم الهاتف في مكان بكثافة أكثر من استخدامه في غيره. ولكن كل هذا اقل أهمية من

فراء الصحف او عدد المحررين من حلال الهاتف او تضاعف عدد الكتب المترجمة؟

ان كل هذه الأشياء لا تكاد تقيس إلا نفسها. او بالخص تقديرون تقيس حجم الفوائد الشرائية. أما التقدم والتأخر

الإنساني فالأفضل ان نقيسه بأشياء اخرى. إذ كان من الممكن قياسه على الإطلاق.

أى فضل يجده كتاب التقرير الشخص يقرأ في كل يوم صحيفة او صحتين بالمقارنة بشخص آخر يحصل

قضاء نفس المدة في الحديث مع جاره او رسيه أو فرد ام أسرته؟ وكيف تقيس التقدم في استهلاك الصحف

بعده النسخ الصادرة منها بصرف النظر عما إذا كانت من نوع جريدة «الدلي» ميرور الإنجليزية أو من نوع جريدة «الإنديبندينت» أو «الهارديان»

الإنجليزيةتين ايضا؟ فنفسري إذن ان ضاعفت «الدلي» ميرور من عدد النسخ المطبوعة منها وانخفض توزيع

الأخرين بينما يبقى توزيع الصحف كلها

إيهام القارئ بأن الأكثر دائما معناه الأفضل. أو ان الأشياء التي يمكن قياسها واعطاؤها قيمة رقمية أهم دائما من الأشياء التي لا يمكن قياسها. أو ان

الأرقام الدالة على عدد الأشخاص الذين يعتقدون رأيا معينة ايضا على مدى صحة هذا الرأي. أو ان اى فارق ضئيل بين رقم واحد وآخر له قيمة يعتقد بها. أو ان

الدول التي تملك حقله تقدما في نواح معينة من الحياة لابد ان تكون هي الدول المتقدمة في كل النواحي الاخرى. إلخ.

كل هذه الملاحظات وغيرها يتبناها التقرير في صفحة بعد اخرى. حتى يترك القارئ في النهاية وقد أنهكت قواه

وأصبح فريسة سهلة لأي استنتاجات خاطئة يدورها. كما يتبين من الأمثلة الآتية

يبر كاتوب التقرير عن حزنهم لأن عدد الصحف في البلاد العربية اقل من ٥٣ لكل شخص مقارنة مع ٢٨٥

صحيفة لكل ١٠٠٠ شخص في الدول المتقدمة. وكذلك عن حزنهم لانخفاض

عدد خطوط الهاتف إلى خمس نظيره في الدول المتقدمة. ويوجد اقل من ١٨ حاسوب لكل ١٠٠٠ شخص في المنطقة

العربية مع المتوسط العالي وهو ٧٨ حاسوب لكل ١٠٠٠ شخص. والفتصاد عن مستخدمي الإنترنت على ١,٦ فقط من

سكان الوطن العربي. وأن متوسط عدد الكتب المترجمة لكل مليون من السكان

في الوطن العربي في السنوات الخمس الأولى من الثمانينيات ٤,١ كتاب (أى اقل

من كتاب واحد في السنة لكل مليون من السكان) بينما يبلغ ٥١٩ كتابا في المجر

و٩٢٠ كتابا في اسبانيا لكل مليون من السكان. التقرير ملء بمثل هذه الأرقام والمقارنات. كما انه يقول ان فريق التقرير

استطلع رأى مئة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية. في حالة المعرفة في بلادهم «فريق المجهوب بوجه عام. عن عدم رضاهم عن حال اكتساب المعرفة في بلادهم (متوسط درجة الرضا

٣٨) بل ان رضاهم عن مدى خدمة (اكتساب المعرفة للتنمية الإنسانية. كان اقل قليلا (متوسط درجة الرضا ٣٥).

واستخلص التقرير من ذلك. استمثار حاجة شديدة لحشد اكتساب المعرفة في البلدان العربية.

ما القيمة الحقيقية لكل هذه الأرقام والمقارنات. واستطلاعات الرأى؟ ان من الممكن أولا توجيه انتقادات كثيرة إليها. من الناحية الإحصائية البحتة. فكمما تقارن بين بلدين في استهلاك الصحف



كتاب الزاوية

مذكرات الأميرة جويدان

٢. الأفساح المصرية

«لا توجد أمة في العالم تتفنن في إقامة أفراحها كلها كما يفعل المصريون. فإنهم لا يدخرون شيئاً من أسباب السرور والانشراح إلا أدخلوه في أفراحهم مهما كلفهم هذا، وليس ذلك مقصوداً على الأغنياء والموسرين منهم فقط، بل العائلات المتوسطة والفقيرة أيضاً.

كانت العروس ابنة لأحد الباشوات، تتجاوز سنّها الثالثة عشرة، وكانت مصابة بالتهاب رئوي، ولكن الطبيب قرر أنه لا خطر يستدعي تأخير موعد الزفاف.

أعلنت ربة البيت بأن الزفة ستبدأ، وهرعت السيدات إلى غرفة الاستقبال، ووقفن صفين، وحملت الجوازي إلى الهوائيم كيايس الذهب، ثم فتح الصالون ووقفت العروس على بابها برهة، ثم بدأت تسير بخطوات صغيرة، وكلما تقدمت انحفت لها السيدات، وألقين الذهب والزهور تحت قدميها.

وكانت أجسام الراقصات تقريباً عارية، وجعلن يثنيين ويتلون على نغمات الموسيقى، ثم يقرنين برؤوسهن من الزائرات، فكادت الهوائيم يلصقن الذهب في وجوه الراقصات.

وبعد أن فرغنا من تناول العشاء، طلبت ربة البيت من المميدات السماح للعريس بالحمص لشكرهن وقف العريس في الباب مبهوئاً وأخذ ينتقل من وجه إلى وجه، ثم أخذته أمه من يده وقادته إلى مكان، حيث قدم لى القهوة بيد ترتعش، ولما انتهت من شربها انحنى مرة أخرى وغادر الصالة.

توصيله معنى سطحي للغاية وخاصاً في نفس الوقت، وهو الزعم بأن مكانة أستاذ الجامعة وتأثيره في التلاميذ من شأنه أن يفرغ للإحصائي عدم مراعاة المبادئ الإحصائية المعروفة وأن يسمح له بأن يعلق أهمية على آراء شخصية قد لا تعبر عن رأي عام

ما هي النتيجة على أي حال التي يصل إليها هذا القسم الإحصائي؟ إنها باختصار أن المحييين على الاستبيان بوجه عام، صيروا عن عدم رضاهم عن حال اكتساب المعرفة في بلادهم (متوسط درجة الرضا ٢٨) بل إن رضاهم عن مدى خدمة اكتساب المعرفة للتعمية الإنسانية كان أقل قليلاً (متوسط درجة الرضا ٣٥).

وأنا مثل القارئ بالضيض، في حيرة من أمرى إزاء عدة أمور تتضمنها هذه الفقرة القصيرة:

١. فما المقصود بالصعب، بهحال اكتساب المعرفة؟
٢. وما معنى، مدى خدمة اكتساب المعرفة للتعمية الإنسانية؟
٣. وما معنى درجة الرضا؟ وهل ٣٨: متوسط درجة الرضا من مرمعة للرضا؟ وما هي النسبة التي يمكن أن يرضى عنها، اصحاب التقرير؟
٤. وهل هناك أي مغزى لانخفاض متوسط درجة الرضا عن، مدى خدمة اكتساب المعرفة للتعمية الإنسانية، بمقدار ٣ نقاط مئوية عن، متوسط درجة الرضا عن حال اكتساب المعرفة، ٣٨؟
٥. فلو افترضنا أن سئل أعضاء في هيئة التدريس في بعض الجامعات الأمريكية عن درجة رضاهم عن حال التحصيليين الأمريكيين، ويوجدنا أن متوسط درجة رضاهم هو ٣٨، مثلاً، فما الذي يمكن أن نستنتج من هذا عن حالة التحصيليين الأمريكيين، ومدى خدمة اكتساب المعرفة المستمدة منه للتعمية الإنسانية، في المجتمع الأمريكي؟ هل نستنتج أن هذا الحالة جيدة أم سيئة؟
٦. وما هي درجة الرضا التي كان يمكن أن يبدكرها رجل مثل فلوثير في عصر التنوير الأوروبي، عن حالة اكتساب المعرفة، في فرنسا وهل كانت تختلف عن درجة رضاه عن، مدى خدمة اكتساب المعرفة للتعمية الإنسانية؟
٧. وأخيراً، هل هذا علم أم شبه علم أم هو أقرب إلى عمل من أعمال الحواف؟ وما هو بالضبط الذي يضطرنا للصرير على قراءة مثل هذا الكلام؟

التأكيد ما يعطيه هذا التقرير العجيب لاشياء أخرى كالاستبعاد السياسي والتعطش الديني؟ هل السبب هو أن المطلوب هو التأكيد على الحماقة والعلة أكثر من التأكيد على فقدان الاستقلال واستلاب الإرادة؟



يأتى الآن إلى ذلك الجزء المتعلق باستطلاع رأى بعض المثقفين العرب حول حال المعرفة.. وهو جزء طريف للغاية ويحتوي على رسوم بيانية ملونة تلويناً جميلاً، وأما هذه الطرافة فهو أن كاتبى التقرير حاولوا في هذا الجزء دعم وجهة نظرهم في سوء حال المعرفة بالبلاد العربية بالأرقام المستمدة من طريقة الاستبيان، واستطاع الأراء فواجها صعوبات احصائية وفكرية جمة كان من شأنها أن تجعل أي عالم اجتماع عاقل يعدل عن هذا التصريح العقيم بزمته، ولكن اصحاب التقرير لم يريدوا أن يصيبوا هذا المصدر المهم لإسباع مظهر العلمية والموضوعية على ما يقولون، مما لا يأتى في نظرهم باستخدام بعض الأرقام، بدأ كاتبو هذا الجرة بتقديم مختلف الاعتذرات والتبريرات غير المقبولة لاستخدام ما حصلوا عليه من أرقام لا تدل على أي شيء ذي بال، من ذلك مثلاً قولهم إنه وإن كانت، مهينة الاستطلاع ليست، للذقة، عينة محتارة بأسلوب احتمالي سليم من مجتمع المثقفين العرب يمكن من التعميم المباشر إلى مجتمع المثقفين العرب وعلى الرغم من أن، أراء كل واحد منهم ذاتية بالقطع، فإن، التقسيمة المعرفية للرأى الذاتي تزيد كلما زاد رأس المال المعرفى للفرد المعنى، وفي حالة أعضاء هيئات التدريس بالجامعات على وجه التحديد كتكتسب أراهم أهمية إضافية بسبب قدرتهم على المساهمة في تكوين رأس لال البشرى عبر وظيفتهم في التعليم العالي، (٨٧)

إلى اعترف للقارئ بأن هذه الفقرة افادتني فائدة جمة لأنها قدمت لى نموذجاً ممتازاً لكيفية استخدام الكلمات والصحة والتعبيرات المخجمة لإخفاء ضحالة الفكرة أو خطتها أو كليهما معا. فالجهود التي يجتاعها القارئ لتلك طلاس مثل هذه الفقرة (ومثلها كثير جدا في هذا التقرير) من شأنه أن يمنعه من أن يكشف بسهولة أن المعنى المراد

صورة السيد الرئيس

لويس ميناوند

في ١٩٩١ كانت هذه الملاحظة تبدو محببة، «ما الآن فإنه ليس هناك ما هو أكثر تقييداً منها إن تأمل السوعية المصنوعة للحدث هو عنصر مطلوب في تحليل الأحداث المصنوعة الضخمين الذين يسهل مهماتهم رسم المساطر السياسية التي تشكركا حاضراً. الصور البورتوغرافية المؤثر لصحنى المسطرة التفسيرية ينعرون باسم مصطلحون (الحرب) لصحافة طائفة الجميله الانشائية الموقفة في رسم مساطر سياسية

إن القيمة الصورة في السياسة مثل قيمة الاسم في سوق الأوراق المالية، فهي تعكس دائماً خصماً في السعر المستقبلي للحداد هذا هو التحدي العرقي الذي تحدث عنه بورستين ويولندج

إن المشهد المصنوع هو بشكل ما، حقيقي وغير حقيقي، مثل مشهد جون كيري على الدراجة البهارية، ومشهد جورج ووش على حاملة الطائرات، ووجهه من محتوى هذه المشاهد موهمة أن هذه الوثائق المصورة (في صور) متكون في واقعيتها).

كل امرئ يعرف أن هذه (مجرد صورة) ولكن ماذا يعني ذلك بالضبط؟

من بين أكثر المواضيع التي لا تعقد سحرها لدى الباحثين في معلة صنع الصورة السياسية، موضوع كيندي ونكسون اللذين كما يعتقد الكثير من الناس، بدءاً ثقافة رسم الصورة فيعد اربعين عاماً على حادثة دالاس (اعتقال كيندي) وثلاثين عاماً بعد تعميمات ووترجيت (فضيحة نيكسون) فإن الازاء مماثلت تضارب حول كيندي (الحقيقي) ونكسون (الحقيقي) وهناك كتابان جديداً حول هذا الموضوع: كتاب ديفيد لويس (الطلاق الرضائي على كيندي، كيندي وثقافة المصور) والكتاب يعكس وجهة نظر مؤثره في الصور البورتوغرافية المشهورة لجون وجاك كيندي، أما كتاب ديمد جرينبرج (مثل نيكسون: تاريخ صورة) فهو دراسة مؤرخ سياسي لصورة نيكسون كما انعكست لدى جمهوره مختلف.

الليبرالييس واليسار الجديد والصحافة والموايل له وهكذا. كان كتاب لويس مكرساً للصور الجديدة التي أنتجها البورتوغراف، السينما.

ولكن كتابه كان متشككاً في ذلك. كانت الصورة المرئية محورية في الصحافة التي يهاجمها بورستين ولكن بتعبير (الصورة) كان يقصد شيئاً بعيداً بالجميع. شيئاً مثل واقع بديل. وفي هذه الأيام يقرأ كتاب بورستين. بعض النظر عن أسلوبه المتري الصم. وكأنه عمل معكراً ما بعد الحداثة. وكثير من الكتب الصرييين مثل جى ديوروجان ويولندج تناولوا فيما بعد مجتمع الطاهر، والصورة كرامة التي قال بها بورستين

كان بورستين يرى أن هيمنة الصورة لم تكن بسبب طبيعة الراسمالية (وهي كلمة لم ترد وبالعجب في كتابه) وإنما لان الأمريكيين لا يستطيعون مواجهة الحياة الاعتيادية التي تفتقر إلى التقدير والعبارة ومعظم الأشياء حولهم صعبة ونافسة ومحفطة ومملة. وكان الأمريكيون في حاجة إلى (تحلية) خبراتهم باستمرار مثل، ضلع اللبان. وقد نشأت سبب ذلك، صناع كاملة على أن تقدم هذا الواقع الحسن للصورة وكان بورستين يرى أن هذا المالم المزيف قد أصبح مثل شيكلا ماتركس * كامالا إلى حد أنه يسيطر حتى على الميطرين عليه.

ويستنتج بورستين أن سياساتنا الوطنية أصبحت تناقضاً من أجل المصور أو بين الصور بدلاً من أن تكون تصاوير بين المثل. إلا أنه الرئيس أن يكون مؤثراً. عليه أن يهتم كل عام بالصورة التي يعكسها.

أن تقدم الوسائل الميكانيكية للاتصالات وإصادة الإنتاج التلفزيوني والصورة الفوتوغرافية والطباعة المبروعة جداً والراديو والتلفزيون والتقدم الذي أعقد ذلك في العلوم الإعلامية مثل الإعلانات والعلاقات العامة. كل ذلك أنتج ثقافة مائمين تسمية (الأحداث الزائفة) أي الأحداث التي لا هي حقيقية ولا خيالية. أصلياً ولا مزيفة. مثل مناظرات كيندي، نيكسون.

المناظرات كانت مشاهد مصنوعة، مصنعة من أجل توليد مادة تستخدم لمزيد من المشاهد المصنوعة مثل التعليقات التالية للحدث التي يقدمها العاملون في مؤسسات الأخبار التي أنتجت الأشياء في المقام الأول. ولكن تتألق كل هذا الاختلال كانت حقيقة. فإن الأحداث الزائفة تؤدي إلى التأكيد على المؤلثات الزائفة، كما يقول بورستين إذا اخترنا مرشحى الرئاسة حسب مواهبهم في برامج الفوتازر التلفزيونية لا اخترنا بالطبع الرؤساء بسبب ذلك الصصات بالذات، وفي الدول الديمقراطية يتوقع الواقع إلى أن يتطابق مع الأحداث الزائفة، الطبيعة تقلد الفن.

في عام ١٩٥٥، نشر الاقتصادي المتقدم كيند ويولندج كتاباً بعنوان (الصورة) ولكن كان أغلب اهتمام يولندج منصبا على حقيقة أن سلوك الناس يعتمد على الصور التي يحتفظون بها في العالم والتي قد يكون لها أساس صغير يصنع ليكون (واقعا). وكان من رأى يولندج أن هذا قد يثير مسائل معرفية شائكة. ورغم أن بورستين كان يرى أن معرفية الصورة شائكة أيضاً

التلفزيون هو الذي دار الموجة أكثر من أي شيء آخر، هذا مقالته جون كيندي في ١٢ نوفمبر ١٩٦٠ بعد أربعة أيام من انتخابه رئيساً للولايات المتحدة.

كان يشير إلى المناظرات التلفزيونية الأربع التي جرت بينه وبين ريتشارد نيكسون في وقت مبكر من ذلك الحريف.

اليوم، أصبحت مناظرات التلفزيون قطعاً رسمياً في مسيرة السياسي نحو الرئاسة، حتى إن إجراء انتخابات الرئاسة اليوم بدون مناظرة تلفزيونية بات وكأنه شيء غير ديمقراطي أو كأنه تخلف الناخبين وتحرهم من حق اختيار مهم. وهو إقصاء المرشحين للفحص الجماهيري.

ولم يكن هذا هو رأى الناس في أيام المناظرات الأولى، حتى إن شيودور وايت الذي يوافق تماماً على رأى كيندي بأن المناظرات هي التي حسمت الانتخابات الفورية، لم يكن أي من المرشحين بأن التلفزيون أهمل القضايا المهمة بإجبار المرشحين على إجابة الأسئلة الفورية، لم يكن أي من المرشحين يستطيعون أن يتوقف لحظة لتأمل أو يستغرق ببطء أو يراجع بثرو البدائل قبل اتخاذ القرار، وهي الخصيصة المهمة للقيادة، وكان يعتقد أن (انتصار) كيندي في المناظرات كان هي، الواقع انتصار الصورة على الحقوى. ووتنمعه دانييل بورستين، المؤرخ في جامعة شيكاغو والذي أصبح فيما بعد أمين مكتبة الكونجرس، إلا أنه لا يرجع تاريخ انتصار الصورة إلى عام ١٩٦٠ وإنما إلى بداية ما يسميه (ثورة التصوير) في القرن التاسع عشر.

وفي السنة نفسها التي نشر فيها وايت كتابه عن سباق كيندي، نيكسون. وقد نشر بورستين كتابه (الصورة) في ١٩٩١ والذي ابتكر فيه بورستين تعريفه (المشهور) للخصيصة المشهورة بأنها الشخص المشهور بأنه مشهور. وكان رايه

ترجمة: بلينة التامسرى
بترتيب خاص مع مجلة

The New Yorker

الأشياء التي لا يلاحظها إلا مخرج فني
(مخرجي) ولكن حالما تراه تبدأ في
التساؤل: كيف حدث وماذا تم ليقتطف
أي شخص في ليلة العاصي البصري.
الجواب ربما يعود إلى عادة الناس في
أرضه صوره في تجاوبه مستقلة.
الخياري في مكان. الإعلانات في مكان
آخر. لا يمكنون في مقارنته مع بعضها.
وكي كتاب (إطلاق النار على كينيدي)
هو كتاب جري، يعمل على ريمه الصور
ببعضها.

التليفزيون. ان عدم احصائه بالخلل يثير الإحباط؛ مثلاً إنه ظمّت الانتخاب إلى الصورة المؤثرة المشهورة لحون جوى (ابن كيدى) وهو يحيى تاوتب آبيه مشهورة فى مجلة (لايف) الى جانب إعلان فى صفحة كاملة عن ويسكى بوربون ممتاكي الذى يصور خيال سيد جنوبى يرتدى قبة وهو يرد بتحية ودية. وهذا من نوع

وما يريدون ان يسمعو. كما يفعل الجميع.

تهدد الروح الاثرتيولوجية الروح التي تعالج كل قطعة مصنوعة بارتباطها مع نفيه: القمع المصنوعة في شبكة الحصاره يضع لويس صور كنيدي إلى جوار صور مادونات (جمع مادونا) عصر النهضة مع اعلانات المحلات مع مناظر

الرسم في حين ان جريشك كز معنيا
بلا الصورة بعد ما التوسع ولكن بطل
وجهه نظرها تجاد (تألفه الصورة) هي
نفسها لهما بعض ان انفس
لا يفرق في الصور نفس ميعر في داخل
التصور وان اولئك المتعجب للراديو
التي انهم اعلموا ان يكون كسب
شماضات سمع مادروا على ان سمعوا





ولكنه وسط له تأثيراته الخاصة ومع ذلك فقد بالغ في الجانب المعرفي للأشياء وفي هذا لم يكن يختلف كثيراً عن وايت ويورستين وماك جنيس، في ترويج فكرة أن فن الإعلام الحديد قد غير الحياة العامة، ولكنه طعن أن ذلك كان نحو الأحسن، وأن هذا المي سوف ينهي الحروب ويؤشد للأمة القوية (الكلمة)

ولكن ما الذي يجعل الحرية العرفية للصورة محطته من الألة الحرة للكلام القديمة؟ إن الصيغة التي تلتصت مباشرة خاصة بالتحقيق أو المصادقة كما أن المبدأ الإنكسورية التي تصعب ماكونه شعريا لها. إن المصطلح من جعل الناس أكثر احساسا بالانسانية والاعتماد على الاهتمام بالذات لا تختلف بالتأثير حقا في أن الصور لا تختلف عن (الحقيقة) خاصة في الحياة السياسية حيث يكون إظهار الصورة المناسبة في اللحظة المناسبة جزءا من القيادة مغل أو قال السياسي بعيدا عن الكاميرا.

هوا و آب و زمین:

✶) أينما استخدمت كلمة الصورة image هي هذه المقالة فهي تعني الصورة بمعناها الواسع (الرمز)، إلا حينما يوصف الكتب استخدام كلمة الصورة بمعناها التقني أي الصورة ثنائية مثل الفوتوغراف أو لرسم والسيب، الخ. انظر حجمه

✶) ماتركس Matrix مع هيلم شينهور (من ثلاثة أجزاء) حول شبكة الكمومية، تسجل على تطبيقه كل شيء في العلم، حتى يظهر مضمرة

أجوبة متنوعة

وعند البداية تقريباً كان النيكون سياسياً بارعاً في تجديد نفسه باستمرار. ولكن النيكون (١٩٦٨)، في السنة التي انضم اليه حلفاء خبراء علاقات عامة مثل روجر ايلز وليونارد جارمينت واستمع اليهما، هو النيكون الذي يستحق اللقب بجدارته، وهذا النيكون هو السبب الذي جعل الناس تستمر في الاعتقاد ان النيكون (مقيد)، وهذا النيكون هو الذي جعل جرينبرج يكتب كتاباً عن الوجود المديدة النيكون.

إن محله نيوة بورستين. بأن صفاء الصورة والتلفزيون على الأخص سوف تستعمل لتفسير السياسات السوفيتية. الشيوعية هي الرجال الذين استحووا الدراسة منذ ١٩٦٠. في نيوة مالدا كان أي منهم قد انتخب بسبب الشيكيون. وقد كان على حق ريمه في حال أن الشيكيون قد قدمه فكرة لتكديس نيوة ١٩٧٠. فيهم إن جزء من ذلك كان بسبب الشاهدة، فقد شاهد المظفرات من بالقرب من مائة وعشرين في نفس شخص، في سياق نداءات الشيكيين. بورستين وكان معروفا جدا للناشطين. إن المسألة هي ما إذا كان أي رئيس منذ ١٩٦٠ سيستفيد من التلفزيون. وقد تكون إشارة ماكلوهر إلى أن التلفزيون يفضل كوكيزا، تشاعوا، وصحبة ولا يصح السياسيين التحدثا قبل أن يمسح التلفزيون جزء من العملية الانتخابية بطول طويل. فذلك الظهور على الشاشة ليسمع الناخبون أن يكسروا أمالهم ومخاوفهم عليهم. وبالتالي تعاطفهم، وقد أصبح التلفزيون في الشيكيون شيئا إجباريا نظريه للمرشحين ومن يرتبك. أمام ماكلوهر إنه لا يستحق أن يتخب. أدرك ماكلوهر أن الشيكيون ليس فقط، أدبو وصوتوا أو سيموا في صندوق.

وواضحاً جداً، والتليفزيون يكره الأهل (الضبابية) له المحدة، بل يفضل (الضبابية) هذه. فمماثلت لمتعلق السيمنا عندما ذهبوا إلى التليفزيون وأبنا؛ أيضاً (فاز) كتيدي في المناظر، والتليفزيون، بتعبير ماكلوهان وسيد (مبارد) ولان سيمو التليفزيون سنبسبب نسياناً فير ما شعدي التفسيرون يركزون عليها ويسمحون جرءاً منها ويميلون إلى (مله) فراغاتها، ولكن كما أوضح ماكلوهان، وكل شخص يحسب مظهره بقوة دوره ومركزه في الحياة لأناباس التليفزيون، وتكلمات أخرى فإن نيكسون (خسر) لأنه كان يبدو ضعيفاً للتراسة، يقول: عندما يبدو الشخص القديم في التليفزيون (شالنا) كركزة، كما فعل نيكسون، ينشر مشاهد التليفزيون بدمال الراحة لأنه لن يستطيع (تصديق) شيئاً على الصورة، وكان رصيدي كتيدي ليس لحظاته الضبابية، كما تنصروا بيت وإثنا صبابيته، ثم يكن عليه أنه جرد رجل أو شيء، كان يبدو وهو على أي سبيل من يقبال إلى أسناد إلى مدرب كرة. ولكن يكمن محمداً في كلاً ما جافراً في أي روده بحيث يفسد ملامحه الطيبة الضبابية). وقد قلنا نيكسون ورجال حملته درساً يوضح أن نيكسون إلى أن يعكس الصورة الضبابية الخائون (إي معلاها) ما يبردون وكما نسيبهم وهذا ماركرزقيايه كتاب ماك جنيس وليس مسألة أنه لابد نيكسون باستخدام أساليب الإعلان التجاري، بحلول ١٩٦٨، نيكسون قد خسر حيلة تليفزيون ربما ليس بكل شيء وكل الناس، وإثنا أشخاصاً تلمس أناس نيكسون لأتقانيه لورثين بكتس.

وتمت بداية عمله. أحبط بيكون
بناضلوا استمدوا برايتهم من الإلحاح
تجاري. وقد يظن المرء أنه جميعه
حوله عمداً ولكن يظن. في الواقع. انه
اجتنبهم. مثلاً أحد أولي المسافدين له
روى كما ان الذي سر لجنة المائة في عام
١٩٤٥. في اللجنة التي ركعت بينهم
في داخل الانتخابات الكونجرس ضد جيري
فورزين. كان يعمل في بيع الإعلانات
للمصحفية في جنوب كاليفورنيا. اما
هالدايم فقد بدأ مهنته في وكالاته
تؤمنون للإعلانات وتطوع للعمل مع
بيكون بعد ان شاهد خطابه في
التيكزونين عام ١٩٥٢.

وقد أصبح اعتماد نيكسون على الخبرة الإعلامية من أجل الفصحاح، كتاب جو ماك جنيس (الرجل الرئيس عام ١٩٦٩) وكتاب ديوما كيسي عنوانه، (الخصم الذي كان يات ويرويهها) قصصه الرائجة للحملات الانتخابية. وكان جو ماك جنيس يفتيش كثيرا من بوريسيتس عن اخطاء واحقراته لاستخدام نيكسونس للارسل التجاري من القوة مضاعفة عن نظيرتهن ان القرعة يشاركونه صحتهم. وكان ماك كينيو يجران مسألة نيكسون كينسون بالإفادة أكثر من مرة وهو يسجل اعلاناته التجارية التلفزيونية. ابريدل على علمه مع مدعياته، واليوم، يبدو كينيو (بيع الرئيس) منادجا كما يقول كينيو، الفارساء جميعا يقومون بتأويل الإعلانات التجارية التلفزيونية - على ان طبعين ان يجري ادعاءهم وتجميلهم على الطور، على الادعاء

وإذا كان للتلميذون يد في تحويل الحملات الرئاسية إلى حروب صور تكتيكية فإن هذا مايمعله ديثامورات الصحافة مثل وايت الذي يغطي الحملات الانتخابية وكأنها جولات ملاكمة. تتابع ضربات وضربات مضادة، تقاطع وضربات قاضية، وأهداف تسهلها استماعات الرأي.

في عام ١٩٦٦ نشر مارشال ماكلوهار
مقالته الضخم (فهم الميديا) الذي درس
سلكي الكهوف التقنيين مثل وايت
يورستين. مما قاله ماكلوهار: إن وايت
فهم الأمور بالعكس هي شأن المظاهرات،
لأن تيكسون في التليفزيون ثم يكن
مباشراً بل على العكس كان محدداً

واعاق من التعاون الأمريكي الأوروبي بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ طويلاً. ومع أن مأساة ٩/١١ خلقت إحساساً عميقاً بالمجتمع العابر للأطلسن، فإن رد فعلنا تجاهها كان له أثر استقطابي وليس موحدًا على العلاقات عبر الأطلسية.

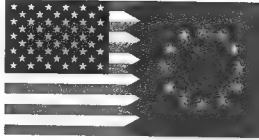


وهكذا فليس من المحتم أن تتعاون الولايات المتحدة وأوروبا في الشرق الأوسط، إلا أنه ليس مقدرًا لهما كذلك أن تتصارعا كما قد يتوقع بعض المتشائمين عبر الأطلسن، بل إنه لا بد من تنمية التعاون من أجل وضع مقاربات إستراتيجية مشتركة لا يعود بالإمكان أخذها على أنها أمر مسلم به.

ومع أن التعاون ليس حتمياً، فمن المؤكد أن الولايات المتحدة وأوروبا لهما اهتمامات مشتركة بالشرق الأوسط، ويمكن الاستفادة من عدد من القوى الداعمة للتقارب عبر الأطلسن لبناء مشروعات تعاونية مشتركة في المستقبل.

الإرهاب

أوجد خطر الإرهاب الدولي المشترك، وخاصة بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، نوعاً من التعاون الحيوي عبر الأطلسن، وطبقاً لاستطلاع أجراه في مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية مع صندوق مازشال الأساسي، وكذلك استطلاع مجلة Transatlantic Trends في عام ٢٠٠٣، فإن الأمريكيين والأوروبيين يترقبون الإرهاب على أنه أخطر تهديد للأمن القومي، ويساعد هذا الرأي على تقصير الدعم الأوروبي الواسع الانتشار لعملية الأمريكية الخاصة بالإطاحة بطالبان في أفغانستان، كما يعزز جمع المعلومات الاستخبارية وتبادلها في المجتمع عبر الأطلسن. وتلتقي الآن مجموعات عمل ثنائية أمريكية أوروبية بانتظام لتنسيق إجراءات تطبيق القانون وتحسينها لاحتواء تحرك الإرهابيين والحد من مصادر تمويلهم. ويعد الحادي عشر من سبتمبر، تحركت الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي بسرعة غير عادية لتتصديق إجراءات تسليم المجرمين الخاصة بها، وتقوم أوروبا حالياً بوضع مسودة اتفاقية لتسليم المجرمين مع الولايات المتحدة، رغم الخلافات الحالية من عقوبة الإعدام الأمريكية. ومن المحتمل أن يجمع الخطر المشترك، وخاصة خطر الهجوم الإرهابي المدبر بين الولايات المتحدة وأوروبا في قضية مشتركة لسنوات عديدة مقبلة، حتى وإن كان من المحتمل أن تختلف طرق مقاربة الخطر.



من الصراع إلى التفاهم أمريكيا وأوروبا في الشرق الأوسط

داليا داسكاى

في بداية فبراير الماضي، خطا القادة الأوروبيون والأمريكيون خطوات جديدة لتكريس التعاون الأمني بينهما بعد شهر من الخلافات حول العراق والشرق الأوسط وقضايا أخرى عديدة، وقد خرج وزراء الدفاع في حلف شمال الأطلسن عقب اجتماع ميونيخ السنوي للسياسة الأمنية بما يشبه الاتفاق على إمكانية مشاركة أكبر للحلف في عملية الانتقال الراهنة في العراق. بينما دعا ميشكا فيشر وزير الخارجية الألماني إلى رؤية أوروبية أمريكية مشتركة تجاه الشرق الأوسط، تتلاصق وتتجاوب مع مشروع «الشرق الأوسط الكبير» الذي طرحه أمريكا.

المقال التالي الذي نشره «وجهات نظر» يشرح بشكل عميق الأسباب التي حثت أمريكا وأوروبا بتجهان للتعاون خاصة في الشرق الأوسط، من خلال تأصيل تاريخي وسياسي للعلاقات الطريهين ومدى انعكاس ذلك على سياستهما في المنطقة.

المحور

■ في ظل اهتمامات أوروبا والولايات المتحدة الإستراتيجية المشتركة بالاستقرار الإقليمي، والتدفق الأمن، والتنمية، والإصلاح السياسي والاقتصادي، قد يظن ظان أنه من المحتم أن يكون بينهما تعاون في الشرق الأوسط، إلا أن التعاون ليس حتمياً، ولم يكن حتمياً من قبل، فرغم الاهتمامات الإستراتيجية المشتركة، تجعل الاختلافات في الثقافة الإستراتيجية والتجربة التاريخية الولايات المتحدة وأوروبا تنظران إلى المنطقة من منظوريين مختلفين، الأمر الذي يجعلهما تحتلفان في رؤية الأخطار، وترتيبها من حيث أولويتها، ومقاربتها كل منهما لها. وقد زادت هجمات الحادي عشر من سبتمبر من عمق هذه المجرة المتأصلة تاريخياً وثقافياً عبر الأطلسن، وكما أشار أحد مسؤولي العلاقات عبر الأطلسية فإنه بينما تقرب الحرب ضد الشيوعية في وسط أوروبا بين أمريكا وأوروبا، فإن الحرب ضد الإرهاب، في الشرق الأوسط تباعد بينهما، إذ ترى الولايات المتحدة أن الخطر الإرهابي والحرب ضد الإرهاب قد احتلا المكان الذي كان الخطر السوفيتي والحرب الباردة يشغلانه، بينما لا ترى أوروبا الأمر على هذا النحو. ورغم التأييد الأوروبي للحملة التي قادتها الولايات المتحدة في أفغانستان ضد الإرهاب والتعاون القائم على تطبيق القانون، فلم يدم الأمل في قدر أكبر

ترجمة أحمد محمود

بترتيب خاص عن دورية واشنطن كورير

أسلحة الدمار الشامل

رغم عدم ميل الأوروبيين إلى الجمع بين خطر أسلحة الدمار الشامل وخطر الإرهاب، كما هو الحال في الدوائر السياسية الأمريكية، فإن القلق الأوروبي بشأن انتشار الأسلحة غير التقليدية وأنظمة الصواريخ القادرة على حملها يتزايد. وحتى قبل الحرب في العراق، كانت المخاوف المشتركة من انتشار الأسلحة النووية تفسر إلى حد ما المخاوف الأمريكية الأوروبية على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ١٤٤١ الذي يدعو إلى نزع سلاح العراق في خريف ٢٠٠٢. ومنذ حرب العراق وأسلحة الدمار الشامل تحزن نحو قمة الأجندة الأوروبية. وكانت حرب العراق والنزاع الدبلوماسي الذي سبقها بمثابة محفز لأوروبا كي تضع انتشار الأسلحة في موضع متقدم من أجندتها وتعيد بحث سياساتها الخاصة بكافة هذه الخطر. وقد عكس هذا التحيز رد فعل برلمانياتياً عاماً لجعل سياسات أوروبا أقرب إلى الولايات المتحدة بفرض المساعدة في إصلاح العلاقات عبر الأطلسية وكذلك العلاقات داخل أوروبا بعد صراع العراق. فلم يكن الأوروبيون يرغبون في أن ينضموا كما انقسموا في العراق، واعتبرت الدول الأوروبية الكبرى مثل فرنسا والمملكة المتحدة ضرورة لإظهار القوة الأوروبية في الخارج. بل كانت تواجه الحكومات الأوروبية أدلة كبيرة على وجود إيران لا مثيل للقدرة على صنع الأسلحة النووية.



رما كان أفضل مثال للتقارب المتزايد بشأن خطر انتشار الأسلحة النووية هو حالة إيران. إذ جرت العادة على اتباع الولايات المتحدة وأوروبا مقاربات شديدة الاختلاف، فبينما كانت الولايات المتحدة تلجأ إلى سياسات الاحتواء والعقوبات الاقتصادية والتهديد باستخدام القوة، كانت الدول الأوروبية تفضل سياسات التهدد والإقتراب، وكانت تتردد في ربط علاقاتها الاقتصادية والسياسية بأنشطة طهران الخاصة بانتشار الأسلحة النووية. إلا أن الموقف الأوروبي في الوقت الراهن يتغير في اتجاه موقف واشنطن. ففي منتصف عام ٢٠٠٣ أصدر وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي بياناً انتقادياً فيه ببرنامج إيران النووي وطالبوا بقبول طهران لأعمال تفتيش أكثر جرأة تقوم بها وكالة الطاقة الذرية الدولية، وأهم هو أن الاتحاد الأوروبي ربط لأول مرة اتفاقية التجارة والتعاون التي تتفاوض عليها الآن مع طهران بالمسألة النووية، مما يشير إلى أن أوروبا راغبة في توطيد النفوذ الاقتصادي لمعالجة مشكلة انتشار

العدد الثاني والستون، مارس ٢٠٠٤ م

الأسلحة النووية، وأيد الفرنسيون هذا الموقف المتشدد لحاد إيران بقوة. على عكس موقفهم من العراق.

الوضع الإقليمي

أبرزت هجمات الحادي عشر من سبتمبر كذلك عجز أمريكا عن حث أربابها بالشرق الأوسط وعدم نشأتها، كما أدت إلى تركيز الاهتمام من جديد على مسألة مصادر التهديد، مما أكد أهمية قضايا الداخل والتحول الديمقراطي في العالمين العربي والإسلامي. وتكريس التحليل أن هناك ضرورة إستراتيجية ملحة مشتركة لتعاون الولايات المتحدة وأوروبا في الشرق الأوسط، وخاصة حول مسائل تتعلق بالإصلاح السياسي والاقتصادي. وزداد وضوح تعلق الحملة الأمريكية في العراق بأمر يزيد على أسلحة الدمار الشامل أو مجرد الإطاحة بالرئيس صدام حسين، فهي جزء من إستراتيجية عامة لإعادة هيكلة المنطقة على أسس ديمقراطية وموازية للغرب. ورغم معارضة الكثير من الدول الأوروبية لحرب العراق في حد ذاتها معارضة شديدة، فإن هذه الدول توافق بصورة عامة على ضرورة تشجيع الإصلاح الاقتصادي والسياسي في المنطقة. وهو مهم أوروبي قديم، والواقع أن ما أن أوروبا أقرب من الناحية الجغرافية إلى المنطقة، فإن احتمال تأثير عدم الاستقرار الدائم في الشرق الأوسط على الأوروبيين يزيد على احتمال تأثيره على الأمريكيين. إن الناحية الديموقراطية بالطبع، وقد تفسر هذه النتيجة القلق الأوروبي من الجهود الأمريكية لتشجيع الديمقراطية باستخدام القوة (التصوير الخاص بالحالة العراقية)، وهو ما يخشى الأوروبيون أن يتسبب في قدر أكبر، وليس أقل، من عدم الاستقرار. فالأوروبيون يفسلون أن ينبع الإصلاح الاقتصادي من تحركات داخل المنطقة. غير أنه رغم ذلك الاختلافات في المخارطة، فإن القلق المشترك بشأن إحداث الإصلاح الاقتصادي والسياسي في العراق، وفي الأراضي الفلسطينية، وفي المنطقة ككل، يعد أساساً قوياً لتعاون عبر الأطلسية.

النتيجة

رغم الخلافات المحتملة بشأن سياسات النعم والتنافس المستمر بين الشركات الأوروبية والأمريكية على العقود في المنطقة في السنوات المقبلة، ما تزال الولايات المتحدة وأوروبا تشتركان في حاجة ملحة إلى ضمان التوافق الأيمن للمنطق. فمنطقة. ورغم كون أوروبا أكثر اعتماداً على نفط الشرق الأوسط من الولايات المتحدة، فإن أي انقطاع لتلك الواردات سوف يعرض كذلك الولايات

المتحدة للخطر منزعزته الاقتصاد الكوني. ومع أنه لا يمكن اعتماد حرب العراق حرياً من أجل النفط، فإن القلق في الدوائر السياسية الأمريكية بشأن الاستقرار المستقبلي في المملكة العربية السعودية والتحول عليها في سلسلة وراثت النفط لابد أن يتزايد. حيث إن ١٥ من بين ١٩ مختطفاً في الحادي عشر من سبتمبر كانوا سعوديين. وسوف يظل الكثير من الأوروبيين على خلاف مع الولايات المتحدة بشأن العراق، إلا أن معظمهم قد ينتمس للصدام إذا ظهر عراق ديمقراطي موافق للعرب يساهم في النهاية على تنويع واردات النفط من المنطقة، ويقلل الاعتماد العربي على النفط السعودي.

سلام الشرق الأوسط

رغم الخلافات المستمرة بشأن عملية السلام العربية الإسرائيلية، يمثل القلق المشترك بشأن الآثار السلبية لإزالة الدمار المسببة في الشرق الأوسط على اتصافه أساساً آخر للتفاهق عبر الأطلسية. فقبل حرب العراق، أدى الوضع المشوه على الأرض في إسرائيل والأراضي الفلسطينية، في أعقاب اندلاع الانتفاضة الثانية في سبتمبر ٢٠٠٠ وعدم رغبة الولايات المتحدة في المشاركة بشكل كامل في عملية إحلال السلام بين العرب والإسرائيليين في مستقبل عهد حكومة بوش، إلى تكوين مجموعة رابعية خاصة بالشرق الأوسط (تضم الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وروسيا) في صيف ٢٠٠٢ وما تلا ذلك من خريطة طريق لسلام الشرق الأوسط.



لم يسبق أن تعاونت الولايات المتحدة وأوروبا تعاوناً وثيقاً كهذا بشأن عملية سلام الشرق الأوسط، وإن كانت الولايات المتحدة لا تزال الفاعل المحوري. وإذا أخذنا في الاعتبار التصديعات على الأطلسية القديمة بشأن قضايا عملية السلام، فكان تطور المجموعة الرباعية عظيمًا. فقد حصل الأوروبيون على موضوع سياسي، وليس اقتصادياً فحسب، على طاولة عملية السلام، بينما يبدو أن الفجوة تصيق بين رؤى الجانبين الخاصة بالتسوية النهائية للصراع العربي الإسرائيلي. فقد اقترب كل من الجانبين من مواقف القريب الآخر. فالولايات المتحدة تؤيد في الوقت الراهن النتيجة السلبية (حل التوفيق)، وليس مجرد عملية السلام (وإن ود الأوروبيون كثير من أن الولايات المتحدة حدثت ميثاق التوافق الوضع النهائي، مما حدث في حكومة كلفنتون)، بينما تتحرك أوروبا بنشاط في اتجاه المواقف الأمريكية بشأن

٢

الدول التي جرى العرف على أنها أكثر من غيرها موالاة لإسرائيل مثل ألمانيا وهولندا. ويسمح الانفتاح الأمريكي على استخدام القوة، وخاصة منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، بغدر من المتأنيب عن سياسات إسرائيل (التي تراها إجراءات ضرورية للدفاع عن النفس أكثر من المنظور الأوروبي الذي يرى الردود العسكرية الإسرائيلية على أنها غير متناسبة وتضر ولا تنفع. وكما أوضح تحليل صفر مؤخرًا، فإن كثرة من عدم التعاطف النشيط مع إسرائيل قد تكون له صلة بحقيقة أن إسرائيل دولة قومية تشتمل عسكريًا تمهّل أن تحارب أعداءها بدلًا من أن يقتلوهما...).

يساعد تفصيل الولايات المتحدة إظهار قيمها، وخاصة الديمقراطية، في الحاجز على تفسير الموقف الأمريكي في إسرائيل وعمليه السلام. ذلك أن الانحياز الإسرائيلي تجاه إسرائيل ليس نتيجة للووبي الموالي لإسرائيل فحسب بل إن كون إسرائيل ديمقراطية تشارك في القيم العربية أمر يرقى للجمهور الأمريكي بصورة عامة ويزيد من دعمه السياسي على اعتماد الطيف السياسي الأمريكي. وتنبع كذلك رغبة الولايات المتحدة في الإطاحة بعرفات وتشجيع الإصلاحات السياسية الفلسطينية العائلية من هذه النقطة الإسرائيكية، في حين يساعد تفضيل أوروبا للتفاوض والارتباط وتمتعها على تفسير ترددها في استبعاد الزعيم الفلسطيني.

صراعات الأذوار

تساعد مفاهيم الأذوار، أو طرق فهم كل طرف، لفرد في المجال الدولي، على تفسير تحول المقاربات الأمريكية والأوروبية المختلفة للشؤون الدولية. وسياسة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، إلى خلافات كبيرة وتحلق مشاركة الدول في مؤسسة الاتحاد الأوروبي مفاهيم جديدة للأذوار بالنسبة للدول الأوروبية والاتحاد ككل. وامتدت قوًى إلى صراعات على الأذوار داخل أوروبا بالنسبة لعدد من الدول. وبالتحديد تلك الدول الهامة باستدامة العلاقات النشطة بالمؤسسات عبر الأطلنطية كالثائق. ورغم كون المشروع الأوروبي عملية مستمرة، فقد أدى انتهاء الحرب الباردة إلى تفكير داخلي جاد بشأن دور أوروبا في العالم. من النواحي السياسية والثقافية والعسكرية. ومع تركيز أوروبا مازال في المقام الأول على ما هو داخلي، وخاصة فيما يتعلق بمقاربتها لزيادة عدد الدول الأعضاء من 15 إلى 25. فإن الإحساس بضرورة إظهار أوروبا لقوتها في الخارج بطريقة تتناسب مع مكانتها الاقتصادية يتزايد بين الأوروبيين. كما يدل على ذلك استطلاع الرأي الذي أجرته Transatlantic Trends في عام 2004، إذ ترغب الأغلبية الساحقة من الأوروبيين في أن يصبح الاتحاد الأوروبي "قوة عظمى مثل الولايات المتحدة".

معبارة أخرى، يزداد عدم ارتياح الأوروبيين بشأن نموذج، فصل المصالح، الخاص بالسياسة الخارجية، التي تولى مسألة تنظيف المكان بالدم الاقتصادي وسفك السلام بعد العمليات الأمريكية. كما تزداد رغبته في أن يكون لهم رأي في القرارات السياسية الأولية، بل وفي العمليات العسكرية إذا استدعى الأمر. وكلما تطور مفهوم الدول الأوروبية في التركيز الداخلي على خلق "العروس"، النموذجي كي يحاكمه الآخرون إلى الاهتمام النشاط مظاهر الضد خارج المقار، كان من الأرجح حدوث تصادم مع الولايات المتحدة التي لها مفهوم للأذوار ازداد قوة خلال العقد الماضي. وهو ذلك المفهوم بالدولة التي لا غنى عنها والمسئولة مسئولية ملققة من النظام الكوني.

التعاون الإيجابي

كيف تدبر الولايات المتحدة وأوروبا هذه الخلافات مصممة الجذور في مقارباتهما لسياسة الشرق الأوسط؟ يمكنهما على وجه التحديد اتخاذ الخطوات الدبلوماسية لمعالجة مشكلات المنطقة الأساسية؛ ينبغي على الولايات المتحدة تحاشي إغجابها الحاسي الخاص



واشنطن ترى أن

الطريق إلى

السلام في الشرق

الأوسط يمر

عبر بغداد، بينما

يرى الأوروبيون

أنه مازال يمر عبر

القدس.

وقد يكون احتواء

الصراع كافيًا

بالتنسية أمريكا،

إلا أنه ليس

بكافٍ هي رأى

كثيرين في أوروبا

بالإنقاء من بين الحلفاء الأوروبيين مما يشجع صميتها على الانقسام الأوروبي

❖ لا شك في أنه يمكن أن يكون لأوروبا عمل علاقات عامة أفضل في الولايات المتحدة سترجعها لمدى إسهاماتها في أمن الشرق الأوسط وطبيعة تلك الإسهامات واعتبار ما لها من سمعة جيدة فيما يتعلق بالشرق الأوسط، وخاصة بعد حرب العراق. سوف تكون هذه المهمة صعبة ولكنها ليست مستحبة

❖ تحتاج السياسة الجيدة إلى رؤية. وإن كانت الرؤية وحدها لا تكفي. فلا بد للولايات المتحدة وأوروبا من تحسين التنسيق فيما يخص تعزيز التعاون الإقليمي العملي، إلى جانب الإصلاحات السياسية والاقتصادية.

❖ علاوة على تشجيع الإصلاحات الإقليمية بشكل مشترك، ينبغي على الولايات المتحدة وأوروبا العمل على تعزيز التعاون الإقليمي مع دول الشرق الأوسط

يوضح نموذج العراق الحاجة إلى الدعم المادي والسياسي من الحلفاء الأوروبيين لمعالجة التحديات المشتركة الصادرة عن الشرق الأوسط المعقدة الواجبة. ولا يمكن حل أي من المشكلات الأساسية في المنطقة حالياً، الإزهاج، وانتشار الأسلحة النووية، والصراع العربي الإسرائيلي، والشرق الأوسط السياسية والاقتصادية الإقليمية. بواسطة قوة واحدة فقط فالشرق الأوسط المستقر والديمقراطي والمزدهر يعتمد على الولايات المتحدة وأوروبا اللتين تعملان معاً في المنطقة

إن بناء التعاون على مجالات كذلك التي حددها أنشأ تشجيع الأجندة عبر الأطلنطية لن يصبى هذه الإنقسام عبر الأطلنطية بالكامل ولن يحول دون وقوع أزمات في المستقبل، إلا أنه يمكن أن يساهم في إيجاد مقاربة براغماتية، على أن تكون شارة أكثر، للمنطقة قد تؤثر على الاستقرار الكوني لفترة متباعدة وليس في مفهوم الأمريكيين والأوروبيين أن يكونوا راضين عن أنفسهم وأن يتوقعوا أن تنمر مجموعة من الأخطار المشتركة الصادرة عن الشرق الأوسط بشكل طبيعي عن تعاون عبر أطلنطية. بل لا بد للجانبيين من الاعتراف بكيفية كثرة الاختلافات من مقارباتهما للمنطقة وأسباب ذلك، ثم العمل بنشاط لتنمية الأجندة والحوار عبر الأطلسية. يمكن للجانبين المشتركين بشأن المشكلات الرئيسية في الشرق الأوسط لضمان حدوث هذا التعاون بالرغم منها. ■

مستقبل الشراكة الأطلسية

حمدي عزام

الداخلية، ركز بوش اهتمامه على الجيش وأجهزة الأمن بمقولة معاجلة الخطر الخارجية وحماية الأمن الداخلي، وتراجع عن السياسات السابقة للهدنة في الشرق الأوسط ونزاع الصين وتايوان ومشكلة كوريا الشمالية. وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الكتلة الشرقية استغل عملية تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك لتطبيق سياسة الهيمنة مستنداً إلى دعم الرأي العام الداخلي وتعاطف القوى الدولية مع الحرب ضد الإرهاب وبدأ بمناطيل مختارة للسيطرة على مصادر الطاقة والقضاء على ما يتصوره من دؤر للإرهاب في العالم العربي والفلسطيني وبكستان والندوسيا وإلزابا. إضافة إلى تواجده حول بحر قزوين لجانبه الشكليات البشرية الكبرى كروسيا والصين والهند وبكستان مستقبلاً.

وقد تميز ميزانية الدفاع إلى أكثر من ٤٠٠ مليار دولار بصب القسم الأكبر منها في خزائن شركات السلاح والخدمات العسكرية وشركات التكنولوجيا بولاي السيليكون في كاليفورنيا وإيرامج الفضاء. وكان لايزام بوش في برنامجه الانتخابي بأن يلتزم بزيادة الدفاع أجرة في دعم الشركات لحملت بمائة مليون دولار متوقع أن تصل إلى ١٧٠ مليون دولار في السنة الانتخابية المقبلة وأدت سياسته الاقتصادية القاطعة على زيادة العجز في الميزانية لزيادة الإنفاق العسكري مع خصص الميزانية إلى وصول مدنيون في الدولة إلى ما يزيد على ٥٢١ مليار دولار ويخصي البعض من أن يؤدي هذا التمازج المصطنع بين العسكرية والاقتصاد إلى تقديرات في حل المشاكل الاقتصادية الدولية والقانونية وتشجيع الاتجار لاستعمال القوة العسكرية أو الضربات الوقائية ومن دعوى انتشار هذه السياسات إلى أوروبا والعالم الثالث.

شديد وتتناهيه الشكوك حول السياسة الجديدة التي يعتنمها الرئيس الأمريكي، مما أدى إلى إقبال الرأي العام الأثاني بشكل منقطع النظير على التهام الترجمات والمؤلفات التي تنتقد سياسة بوش واليمين المحافظ وصنوسيل من الأبحاث والدراسات التحليلية عنها.

الهيمنة على العالم

تتعجب معظم التحليلات الأوروبية إلى أن الأفكار والتطلعات إلى سيطرة الولايات المتحدة على العالم والفرشاد برزاعته ليست جديدة، ولم ترتب على مقاومة الإرهاب أو غزو العراق حيث أن ثنائية قطبي العالم بوجود الاتحاد السوفيتي لم توفر لروالد ريجان أو بوش الأب الفرصة لتطبيقها، فالتكتف الإدارات الأمريكية السابقة بإتخاذ موقف سلبي تجاه الأمم المتحدة والقانون الدولي، والقيام بدور منفرد تسلي في مشكلة يوغوسلافيا واليويسنة أزعج الحلفاء الأوروبيين ودهعهم لاحتلال قبرصهم بتشكيل قوة عسكرية أوروبية مستقلة بجانب حلف الأطلسي. كما امتنع بوش عن المشاركة في الجهود الدولية لحماية البيئة والحد من استخدام الأنعام الأرسية، والتحكم في السلاح خاصة في مجال الأسلحة البيولوجية، ورفض خضوع القوات الأمريكية لمساءلة أمام القانون الدولي، وخلافاً لسياسة سلفه كلينتون الذي اهتم بمعالجة المشاكل

المستشار شرويدر رفض المشاركة في معامرة عسكرية في العراق حتى ولو وافقت الأمم المتحدة على ذلك، مما اعتبرته الولايات المتحدة موقفاً أحادياً وعدائياً من الجانب، وأصبح بذلك عام ٢٠٠٣ عاماً مرعباً Annus Horribilis في تاريخ العلاقات الأمنية الألمانية الأمريكية والشراكة الأطلسية، وانعكس ذلك بشدة على الشارع الألماني الذي يصف متابعه كارلهاينز كاهن كاتب منسق السياسة الأمنية في مؤسسة كوندرا فينشاو المتابعة للحزب المسيحي الاجتماعي بقوله: إن انتشار صورة أمريكا كدولة تتزاد فوقها العسكرية مع اصمحلال مصالحها الدولية لم ينم عن الصمم على الرأي العام الألماني فتمهم أو دعم مفاعراتها العسكرية. وأن عدم جدية الأسباب التي ابدتها تبرير حربها على العراق وما شاب ذلك من عدم وضوح ومغلف، أدى إلى رفض الغالبية العظمى لذلك وفتح المجال لنظرية المؤامرة... مرة بارجاعها إلى الرقية في السيطرة على مصادر النفط، ومرة أخرى بمقولة من اللويس اليهودي بأمرها هو القوة الدافعة وراء خطط الرئيس الأمريكي. ويضيف إلى ذلك أن هناك اتفاقاً في الرأي بين الاشتراكيين والعناصر المحافظة في ألمانيا بأن تصرفات وأعمال الولايات المتحدة هي الدافع الأساسي لكرهية أمريكا في العالم الإسلامي.

وفي حقيقة الأمر فإن الشعب الألماني لا يكن عداً أو كراهية للشعب الأمريكي، لكن من المؤكد أنه أصبح يشعر بقلق

■ يمر العالم منطورات متلاحقة بسبب تغير السياسة الأمريكية وسيطرة اليمين المحافظ على البيت الأبيض مما أربك العلاقات الدولية، وطرح تساؤلات عن خاتماتها وأهدافها ومواقف من تأثيرها على مستقبل عالم القطب الواحد، وتأثر العالم العربي بذلك على ضوء استهداف الشرق الأوسط، وما تبع ذلك من أحداث عنيفة بالمنطقة أدت إلى تصاعد موجة العداة لأمركا بين شعوب العالم الثالث، وتجاوزتها إلى نقد حاد من حلفائها التقليديين في أوروبا.

وتم تكن الإدارة الأمريكية تتوقع عند غزوها للعراق أن يكون رد فعل الشارع الأوروبي بهذا العنف والإجماع، فبالرغم من تأيد توني بلير وبييرلوسكوني وإزفاد للزور وظللت أكبر المظاهرات في شوارع إيطاليا ورافقت نسبة المراهقين للحرب في إسبانيا ٨٥٪ وأكثر من ٦٥٪ من البريطانيين الذين خرجوا في أكبر مظاهرات ضد الولايات المتحدة منذ حرب فيتنام وأعلنت حكومات فرنسا وألمانيا موقفاً رسمياً يشجب الغزو ولعب موقف جيرهارد شرويدر المعارضي لما أسماه المعارضة الأمريكية دوراً أساسياً في تحول أصوات النخب اليسارية لصالحه وانتخابه مستشاراً لألمانيا.

ولعل الموقف الألماني كان الأكثر مفاجأة للإدارة الأمريكية التي اعتادت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية النظر إلى ألمانيا كشريك مضمون يساند سياستها على طول الخط وتعتد عليه في إبلاغ صولاتها لاتحاد الأوروبي وإقناع فرنسا شريكها في قيادة القاطع الأوروبي بما يجب من الاعتبار. واهتمت أجهزة الإعلام الأمريكية الألمان بالجدو وكران الجميل وتناسي المساعدات الأمريكية الموفرة من خلال مشروع مارشال لإعادة بناء ألمانيا بعد الحرب والجرس الجوي لفسك حصار برلين، وشكرهم ثمانين ألف جندي أمريكي في أراضيها إبان الحرب الباردة لحمايتها من تهديد المسكر الشرقي عبر الحدود مع ألمانيا الشرقية.

وتزايد الخلاف بعد ما رفض وزير الخارجية بوشكا فيشر القائمة التي قدمها له بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأبام وزير الخارجية الأمريكي كولون يارول ولومفونر نائب وزير الدفاع وتضم ستين دولة يتهمها بمساندة وإيواء الإرهاب. كما رفضت ألمانيا الأفكار الأمريكية عن «محور الشر» واستقلت حق الفيتو داخل حلف الأطلسي لعرقله إرسال قواته إلى تركيا بمقولة حمايتها عند بدء الحرب على العراق، وأعلن

النزاع الأوروبي-الأمريكي،

من الواضح أن الشراكة الأطلسية التي كانت الركيزة الأساسية للعرب إبان الحرب الباردة تضر حالياً بتناميها، لا يخفيها ارتداء فرنسا وألمانيا القفاز الدبلوماسي التام لتضادي المزد من الجانب مع الولايات المتحدة، وقد يقول هارالد مولر أستاذ العلوم السياسية في جامعة بوهان وقمجانج جوتيه «إن رد الفعل الأوروبي على غزو العراق لم يكن

انعكاساً اندياً مؤلفاً بل يشكل القصة لمجموعة من الخلافات حول (الأخلاقية) بالمصهوم الأمريكي (والصديق) بمفهوم أوروبي يشكله فرنسا والمانيا، ولا يمكن حلّه أو انخراطاً لتحتد عن تمديدية بالمصوم الأمريكي بمعنى خضوع أكبر قدر ممكن من الدول لما تفرضه أمريكا من قواعد. ورغم هدوء أمواج التصادم وحرس الطرفين على إظهار قدر من التوافق، فإنزال القلق والخلاف يستشري تحت السطح، وتحكم هذا الخلاف إشكاليتهان أساسيتان، أولاهما أن الولايات المتحدة التي تتطلع وتعمل على الانفراد بزعامة العالم تحتاج إلى مساعدة وتعاون الدول الأخرى، والثانية أن الشريك الأقوى من أن يقبل بدور الشريك الجهمشي وأضغ من أن يفرض نفسه كشريك في قدم المساءلة مع الولايات المتحدة.

لقد أدى انتهاء الحرب الباردة وروال العدو المشترك إلى تركيز الجهد الأوروبي في اتحاد تكامل يشمل أيضاً أوروبا الشرقية مع الميل إلى تحويل قسم من إنفاقها العسكري إلى التنمية بعد تفكك خطر المجابهة العسكرية مع الشرق. وخطت أوروبا سياساتها الأمنية على محورين معتمدين دوراً للقانون الدولي ومجلس الأمن وتفصل استخدام الأساليب السياسية والاقتصادية على اللجوء للتدخل العسكري المباشر. وفي مقابل ذلك اتجهت الولايات المتحدة إلى زيادة قوتها وتواجدها العسكري واعتماد مصطلحها القومية كأساس لسياساتها. ويتبنى هذا التحليل إلى أن ضعف التواجد الأمريكي الموحد على الساحة الدولية شجع إدارة بوش على الاندفاع بقوة في طريق الهيمنة على عالم القطب الواحد وتهميش دور حلفائها الأوروبيين مع الاستفادة في نفس الوقت من التباين الشديد في القوة العسكرية حيث زادت ميزانية الدفاع الأمريكية عن ضعف ميزانيات الدفاع لروسيا وبريطانيا وفرنسا والمانيا والصين مجتمعة.

يضاف إلى ذلك أن التحول الكبير في الساحة السياسية الأمريكية وسيطرة أقصى اليمين المحافظ على صنع القرار أفقد الشراكة الأطلسية أسس تجلس الفكر السياسي الذي كان يعتمد على دور مهم لقوى الوسط. ولاحق من الاندفاع لأقصى اليمين أو اليسار، وبالرغم من قوة الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية غير المتكافئة في الخارج فإن تصورها إمكان انفرادها بمجابهة وحل كل مشاكل العالم وتواجدها في كل

أركانها، هو تفكير غير واقعي، فهي لا تملك القومات المادية والبشرية لتحقيق ذلك وتحتاج إلى تعاون القوى والدول الأخرى كما يحمل هذا التصور مخاطر استفزاز يؤدي لقيام كتلتا معارضة لها كما حدث في التقارب الفرنسي الألماني الروسي والصيني إبان العزو العراقي. وإن تصادم الشكوك في العالم الثالث حول وجود مضامين امبريالية من شأنها تشجيع التطرف والإرهاب، وكما يقول فيكتور موار رئيس قسم أبحاث الأمن الأوروبي في جامعة زيورخ السويسرية بأنه خلافاً للوعود في أواسط آسيا فإن أفكار التطرف لم تلق ترحيباً أو تعميماً من دول الشرق الأوسط، مما دفع بعض مستخذي القرار في الولايات المتحدة إلى الانجاء إلى نوع من المنطق والشكر الإمبريالي.

كما أن سياسة فرض الحلول أثبتت فشلها في تجربتها الأولى على ما نسميه المناطق المختارة. فلم يستقر الوضع في العراق وزادت حدة المقاومة وتوجهت عناصر متطرفة للتجميع بداخله وانفجعت حرارة النزاع والمجابهة إلى الإسرالية الفلسطينية بحيث أصبحت خطة الطريق تسمى عرقلة الطريق ولم تنجح نظرية الصدمة للعالم العربي، إذ بجابهها رفضاً لأفكار فرض الديمقراطية أو تغيير نظام الحكم من الخارج. وللنظرية القليلة بأن تقاسم أو تأخر العالم العربي في تحقيق التقدم والديمقراطية أوجد تربة خصبة للتطرف ويمبر التوجهات الإمبريالية والحرب الوافية ويرجعون ذلك إلى عدم إدراك لجذور المشاكل وخصوصيات المنطقة أو تجاهل ذلك عمداً لإخفاء أهداف أخرى.

وبالنسبة لمستقبل العلاقات الأطلسية يرى هارالد مولر أن أوروبا بحكم مصالحها لن تنصاع لمفهوم محقق للزادة الأمريكية ولكنها ستعمل جاهدة لتفادي المجابهة معها. مع السعي في نفس الوقت لتشكيل وزن أوروبي فعال وزيادة قدراتها العسكرية. ما يرتب أعباء على ألمانيا باعتبارها الدولة الأوروبية الأكثر احتكاكاً بمصادر الشبهة والنمو الاقتصادي. ويضيف إيريش راينر إلى أن تواجد أوروبي كشريك قوى سيسهم في دفع اليمين المحافظ في الولايات المتحدة للتخلي عن أفكار القهر وفرض الإرادة وتدعو غالبية الآراء إلى ضرورة تطوير السياسة الأمنية الأوروبية بما يتيح لها مزيداً من التواجد على الساحة الدولية ومجابهة الأخطار التي تشهق مجالاً للتصديع المتعاونة في عالم القطب الواحد.

ويرى عدد من الباحثين أن مثل هذه السياسات القائمة على التصديع المتعاونة وفي ظل قبول لزمامة القطب الأحده، قد تلقى قبولاً من الولايات المتحدة في تطبيقاتها بالنسبة لدخول الحارة الأوروبية والمناطق المتاخمة لحدودها مادامت لم تتعارض مع مصالح الولايات المتحدة الاقتصادية ومع اهتمامات بتركيا كقنطرة إلى العالم الإسلامي. ويرى بالنسبة للدور الأوروبي خارج هذه المنطقة ضرورة أن يعتمد على مبدأ سياسة التعاون المتوازن، وهو ما يتطلب تفهماً واقعياً من الولايات المتحدة بأن وحدة أوروبا وقوة قدراتها العسكرية لا

يهدد مصالحها بل يؤدي إلى التخفيف من أضرار وأخطار توسع أمريكي جيواستراتيجي ممره في أنحاء العالم لا تستطيع تحمل عبئه بمفردها على المدى الطويل.

وفي نفس الوقت، فلاديمير من الإشارة إلى الضغوط التي قد تواجهها أوروبا بعد انقراض الاتحاد الأوروبي ليشمل 25 دولة، قسم منها يتوجه نحو تقارب مع القوة الجديدة من الأطلس، مما أدى إلى انقسام بين أحد من تلقاها لأنه قد يغري اليمين الأمريكي بالانزلاق إلى سياسة فرق تسد. كما أن هناك أملاً في الضفة الأخرى من الاتحاد الأمريكية القادمة إلى الحد من سيطرة اليمين المحافظ على الإدارة الأمريكية والتخفيف من القارات المتطرفة.

وهذا على الصعيد ينكر كارستن فوجت منسق العلاقات الألمانية الأمريكية بوزارة الخارجية الألمانية. أن قبول الدور المتحد للولايات المتحدة دولياً على المدى الطويل لن يتحقق إلا بعددتها إلى أخذ القانون الدولي والمؤسسات الدولية بعين الاعتبار، والاستعداد للانضمام إلى آراء حلفائها. لا يستطيع ما يزيد إقبال أوروبا عليها ومساندتها كدولة ديموقراطية والاقتناع بأنها لن تستطيع حل المشاكل الحالية بحدودها وحدها. فحيث البدء في البحث عن استراتيجية أطلسية جامعية في نطاق القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة تضمن بالضرورة دوراً لحلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي في مجابهة الأخطار والمشاكل الدولية.

لقد بدأت الحملات الانتخابية في الولايات المتحدة وتستجيب الدول الصناعية الشماي لراب الصدع في العلاقات الدولية الأمريكية خاصة الأطلسية مع تركيز على معالجة أوضاع الشرق الأوسط ولا تتوانى إسرائيل عن تحرك نشط لتأمين وزيادة مكانتها في هذه الأجواء.

وقد أدت التطورات الدراماتيكية العنيفة في المنطقة العربية إلى قدر من التباين في التوجهات على التكتيكات والتشدد، وأهمية دعم وتطويع الديموقراطية، والدعوة إلى حد أدنى من التكامل أو توحيد الجهود العربية، وفي ذلك استجابة لسفك الشكاشب العربي وسأولاته من الدور العربي الإقليمي سواء في عصر زعامة أو هيمنة أمريكية أحادية أو بالتكامل مع تعاون أطلسي متوازن ولعل مؤتمر القدس العربي القادم يجب من هذه التسيالات. ■

ضعف التواجد الأوروبي الموحد على الساحة الدولية شجع إدارة بوش على الاندفاع بقوة في طريق الهيمنة على العالم وتهميش دور حلفائها الأوروبيين مع الاستفادة في نفس الوقت من التباين في القوة العسكرية التي تميل يشددة لصالح أمريكا



حازم الببلاوي

الاستقرار والاستمرار السياسي فكيص
فهمتهم هذه الحكمة السياسية عندما
يتعلق الأمر بالمصالح الاقتصادية؟

هذه هي المعضلة. كيف يمكن التوفيق
بين هذه الموقلات الثلاث المشار إليها.
كيف تكون رشيداً ومنطقياً في سلوكك
السياسي بشكل عام، ولا تعمل على نفس
الوقت على تحقيق أوضاع تريد من
المصلحة الاقتصادية العامة؟
لعل الإجابة على هذا التناقض تكمن
في تحديد معنى «المصلحة الاقتصادية العامة»
وعدم ما تتضمنه من تكاليف
بالنسبة لمؤخذ القرار الأمر الذي يتطلب
التذكير بفكرة «السعة العامة».

هبل هناك

منطق اقتصادي؟

المتحققة في ميدان التعاون الاقتصادي
العربي يطرح قضية منطقية بالنسبة
لدى عقلانية العمل العربي. وهل يعمل
النظام العربي، لمصلحته أم ضد
مصلحته؟ السؤال الذي يطرح نفسه هنا
هو: لماذا لم يتحقق التكامل الاقتصادي
العربي في الواقع رغم كثرة الحديث عنه؟

التكامل الاقتصادي

«سلسلة عامة»

يعرف الاقتصاديون «السلسلة» بأنها كل
شيء نافع من ناحية أو توفيرها يتطلب
تكاليف أو تضحية من ناحية أخرى.
فالسلسلة يجب أن تكون نفعاً ولكنها أيضاً
ليست مجانية بل إن لها تكاليف. فليس كل
شيء نافع سلعاً. فالهواء وهو نافع الأشياء
لا يعتبر سلعاً لأنه لا يمكن شياً (لم تلهم
الأمر كذلك بشكل مكثف، فظنوا أن هذا
نعيش في عالم ملوث، فقد أصبح
الحصول على الهواء «الشيء مكلفاً» من
حيث انجاب إلى الأمان النظيفة والتي
لم تضعها أشكال التلوث البيئي).
والأصل أن العلاقة بين النفعة والتكلفة
تعد ما ينتج من سلع، فما كانت المنافع
تزيد على التكاليف فإن المجتمعات تنجح
إلى توفير هذه السلع حيث إن ما تحققة
من ورائها من منافع يزيد على ما تتحمله
من تكاليف وأعباء. وتقوم عادة السوق
بتوفير هذه السلع. ولكن هذا الأمر لا
يتحقق دائماً في الواقع حيث إن هناك
من السلع التي لا شك في منافعها والتي
تزيد هذه المنافع على التكاليف. ورغم
ذلك فإنها لا تتوفر تلقائياً في السوق.
وبما يقتضي التفرقة بين ما يعرف
بالسلع الخاصة، private goods والسلع
العامة، public goods.

ويشارك الزوماني في أن توفيرها
يتطلب تكاليف وأعباء، وبالتالي فهي
ليست متاحة مجانية، ولكنها يختلفان
في نوع النفعة التي ترتب عليهما ومدى
إمكان الاستقرار أو شيوع الانتفاع بها. أما
التكاليف فلا بد أن يتحملها الأفراد أو
مؤسسات بعينها. وما لم يكن هؤلاء الأفراد
والمؤسسات على استعداد لتكليف تكاليف
إنتاج السلعة، فإنه لا يمكن توفيرها مهما
بلغت منافعها. ولذلك فإن توفير أي سلعاً

كانت هناك عقبات سياسية ومؤسسية.
وخاصة في الستينيات عندما انضم
العالم العربي إلى معسكرين. معسكر
الدول، الشيوعية، أو الاشتراكية من
ناحية، ومعسكر الدول، الرجعية، أو
الرأسمالية من ناحية أخرى. ويصرف
النظر عن دقة الأوصاف. فقد عكس هذا
الأوضاع قد تلاشت إلى بعيد منذ
السيبعينيات. فإن آثار هذه الفترة مازالت
قائمة في الأذهان بمرجات متفاوتة. فمن
ناحية مازالت هناك «كبريات، الشكوك
والريبة المتبادلة» وهناك أيضاً مؤسسات
نشأت في ظل هذه الأوضاع. وبالتالي
استمرت في ممارسات قديمة حيث
يصعب تغييرها بل ليلاً وضعاها.

على أن الأمر لا بد أن يكون أعق ما
تقدم هذه العقبات، على ما عطفها. لا تعدو
أن تكون أصواراً قديمة ما تلبثت أن تزول
والعامل فإن العديد من هذه العقبات.
مادية ومؤسسية. قد تلاشت أو تضاعفت
إلى حد يصعب خلال الخمسينيات سنة
الماضية. ولم تزل حال التكميل
الاقتصادي العربي على ما هي عليه.
هذه السبعينيات وقد بدأ التناقض
الايديولوجي في الزوال، واتجهت معظم
الدول العربية إلى الأخذ بشكل أو آخر
بأساليب اقتصاد السوق والدعوة إليه
كذلك فإن الاستثمارات في البنية
الأساسية، في حيث شبكة المواصلات
وسعة الموانئ وحجم خطوط الطيران قد
زادت بدرجة كبيرة. ومع ذلك فإن ذلك
لم ينعكس في شكل تغيير ملحوظ في
حجم العلاقات التجارية العربية. ومن
ثم فلابد من البحث عن أسباب أكثر
عمق وراء هذه الظاهرة.

ويمكن القول بأن تضال الشرائح

رغم كثرة الحديث عن المعاير
الاقتصادي العربي، أو التكامل أو حتى
الاندماج، فإن تزال العلاقات الاقتصادية
العربية/العربية محدودة. فمعد إنشاء
جامعة الدول المرسلة في ١٩٦٥ ثم
الاندماج الاقتصادي والاجتماعي في
١٩٥٣ ومجلس الوحدة الاقتصادية
العربية ١٩٥٧، ورغم العديد من الاتفاقات
الاقتصادية العربية، إلا أن تزال التجارة
البيئية العربية أقل من ١٠٪ من حجم
التجارة الخارجية للدول العربية في
حين أنها تبلغ حوالي ٤٠٪ في مجموعة
الدول الآسيوية وأكثر من ٢٠٪ في دول
أمريكا اللاتينية، فضلاً عن السوق
الأوروبية التي تزيد فيها التجارة البيئية
على ١٠٠٪. ولا يقتصر الأمر على ضالة
حجم التجارة العربية البيئية، بل إن
معدل نموها شهد في التسعينيات
تنامياً وليس تزايداً. وأما أن يكون في
توقعات اتفاقية منطقة التجارة العربية
الحرية في ١٩٩٨ والبدء في تنفيذها ما
يعبر من هذه الأوضاع والتوجهات

ويعترف معظم الاقتصاديين بوجود
عدد من العقبات المادية أو المؤسسية التي
أعاقت. في وقت أو آخر. من نمو التجارة
العربية على النحو المأمول. وهناك
تداخل في كثير من الأحيان بين العقبات
المادية والمؤسسية. فمن بين العقبات المادية
نحو نمو التجارة ضعف شبكة المواصلات
من طرق خطوط ملاحية وخدمات
مرتبطة. ومع ذلك فكثيراً ما تزيد
الإجراءات المتبعة من أسباب عرقلة انسياب
التجارة بين الدول. فإذا كانت شبكة الطرق
بين محطتين الدول غير كافية على عكس
الوضع مثلاً بالنسبة للدول الأوروبية فإن
إجراءات الحدود والتخليص الجمركي
كثيراً ما تزيد الأمر تعقيداً مما يؤدي إلى
رفع تكلفة التخليص. أخيراً إلى ذلك إن هناك
علاقة لبيدالية يختلط فيها السبب
بالنتيجة في العلاقة بين نقص حجم
التجارة العربية البيئية ونقص خطوط
الملاحة البحرية بين مختلف الموانئ
العربية. فنتيجة لتوسع حجم التجارة
العربية البيئية بين الدول العربية لا توجد
خطوط ملاحية كافية وتلهم وبالتالي
ترتفع تكلفة النقل بين هذه الدول.
بالمقابل، فإنه نظراً لعدم مواير الخدمات
الملاحية بشكل كاف فإن فرصاً لتجارة
تصعب. وهكذا، تتداخل الأسباب مع
النتائج. فتصعب هذه العقبة سبباً لنقص
التجارة ونتيجة في نفس الوقت.
وبالإضافة إلى هذه العقبات المادية،

التجارة البيئية العربية أقل

من حجم التجارة الخارجية للدول

العربية في حين أنها تبلغ حوالي ٤٠٪ في مجموعة

الدول الآسيوية وأكثر من ٢٠٪ في دول أمريكا

اللاتينية، فضلاً عن السوق الأوروبية التي

تزيد فيها التجارة البيئية على ٢٠٪

لمساذا لا يتكامل العرب اقتصاديا؟

التصق عليه أ السبع والخدمات العامة لا يمكن توفيرها اختياراً. رغم أهميتها. وأنه لابد من تدخل سلطة عليا أو الوصول إلى اتفاق بين المتعاملين على كيفية توفيرها وتوزيع أعباء إنتاجها عليهم

٢٥
٢٤
٢٣

وفيما يخص الموضوع الذي نحن بصدده، فإننا نعتقد أن التعاون أو الاندماج الاقتصادي العربي هو نوع من السلعة أو الخدمة العامة الإقليمية التي تعود بالتمتع على الجميع. ولكن هذا التمتع شائع متى تحقق أفراد منه الجميع ولا يمكن حرمان أحد منه. وعندما نتحدث عن الجميع فإننا نشير إلى الأفراد والشروعات سواء منها القائمة أو المحتملة الإنشاء. وسواء منها الوطني أو الأجنبي. فالجميع يشمل كافة الوحدات الاقتصادية في الحاضر والمستقبل التي تتعامل مع الاقتصاد. وبالمقابل فإن توفير هذه السلعة أو الخدمة ليس أمراً مجانياً، بل تترتب عليه أعباء وتكاليف. وإذا كانت منافع التعاون الاقتصادي تعود على الجميع بهذا المعنى، فإن القرار في شأنه هو من شأن السلطات السياسية التي تضع القيود على سيادتها ومدى الحواجز بين الصناعات القائمة وبين الخارج. ففي حالة التعاون الاقتصادي الحربي، فإننا نجد أنفسنا بصدد وضع لدول مستقلة عليها أن تقدر المنافع والأعباء التي تعود عليها. كنول أو نظم سياسية. من هذا التعاون وما يترتب على ذلك من تأثير على نشاطها الاقتصادي. فإذا كانت الأعباء التي تفرض على هذه الدول. كنظم سياسية أو قطاعات اقتصادية. تتجاوز المنافع التي تعود عليها مباشرة فلا أمل في أن تقبل مثل هذا التعاون وذلك بصرف النظر عما يعود بالفائدة على الآخرين مهما بلغ عددهم ومهما كانت هذه المنافع. ولا يتناقض هذا السلوك إطلاقاً مع الرقابة الاقتصادية، بل إنه يعتبر النصيحة لها. فليست الرقابة في المقابلة بين المنافع الإجمالية والتكاليف الإجمالية. وإنما هي في المقابلة بين المنافع المتأصلة إلى متخذ القرار السياسي بالتكامل الاقتصادي والتكاليف التي يتحملها. أما ما عدا ذلك فإنه لا يعود إلى كون من العناصر الخارجية externalities التي لا تدخل في حسابه. ففقط البدء في مناقشة قضية التعاون الاقتصادي العربي، هي أنها قضية تتعلق بإملاقاة بين قرارات سياسية. تتخذ لإزالة العقبات أمام التكامل



أحمد عبد

أكثر أهمية، مثل توفير الأمن والاستقرار والعدالة ونظام نقدي مستقر ومرافق عامة. ومع ذلك فالألب لا يتقدم أحد، اختياراً، لتحمل تكاليف توفيرها. فلا يوجد أي تناقض أو عدم رقابة في التأكيد على أهمية ومنفعة سلعة أو خدمة من ناحية وعدم إمكان توفيرها من ناحية أخرى. فالاعتراف بمنفعة السلعة أو الخدمة لا يعني، متطعياً قبول تحمل أعباء وتكاليف إنتاجها وتوفيرها. فقد تتركز التكاليف والأعباء على فئة في حين أن المنفعة تكون شائعة وموزعة على الآخرين. وبالتالي تكون بصدد سلعة أو خدمة عامة بحيث لا يكون أحد مستعداً لتحمل أعباء توفيرها، ولذلك فإنه من

عليها وهذا هو أساس التفرقة بين السلع الخاصة والسلع العامة. الأولى تعرف مبدأ الاستبعاد، exclusion principle بمعنى أن المستخدم لسلعة يمتد منها. بشكل عام. وحده دون مشاركة الآخرين. وبالتالي فإنه يكون عادة على استعداد لتحمل تكاليفها. ونتيجة السوق التي تأتي في توفيرها. أما السلع العامة، فإن منافعها تكون عادة شائعة، فمتى أدت لخدمة فإن الغير يمكن أن يفيد منها بلا تكلفة، الأمر المعروف في أدبيات الاقتصاد بالراكب الجاني، free rider. ومن هنا فإن السلع العامة تثير عادة مشكلة كبرى في توفيرها. فهي ليست أقل أهمية أو فائدة من السلع الخاصة، بل قد تكون

إنما هو رهن بمدى توازن الاستعداد لتحمل تكاليف وأعباء توفيرها، فإذا لم يوجد هذا الاستعداد فلن تنتج هذه السلعة وإن طال الحديث عن أهميتها. وبطبيعة الأحوال فإن الاستعداد الاختياري لتحمل تكاليف وأعباء توفير السلعة، إنما يرتبط بمدى تقدير المنفعة العائدة من هذه السلعة ومقارنته هذه المنفعة بالتكاليف المطلوبة. والمبررة هنا بالمنفعة والتكلفة العائدة لن يتحمل التكلفة، أما ما يعود على الغير فإنه لا يدخل في الحساب. ولذلك فمن الضروري أن تكون هذه المنافع قليلة للاستثمار وليست شائعة. وهنا نجد أن السلعة تختلف فيما بينها من حيث شمول أو استئثار المنافع المترتبة

لا يوجد من يدفع الشمس

الاقتصادي وأن المنطق وراءها هو مدى ما يتحقق لمصلحة هذه القرارات من منافع أو تكاليف تعود عليها مباشرة.

أعباء وتكاليف كبيرة:

بدأ الحديث عن التعاون الاقتصادي العربي، كما ذكرنا، منذ إنشاء الجامعة العربية، بعدة برامج الحرب العربية، الثانية، وانضمت التجربة خلال فترة الخمسينيات والستينيات في دعوة بحركة القومية العربية، وهكذا فإن الدعوة إلى التعاون، أو الاندماج الاقتصادي، ارتبطت في الأساس بدعوة سياسية قومية. وتستند هذه الدعوة إلى وحدة الأمة العربية، وإن الحدود السياسية-الإدارية لها هي حدود المنطقة العربية، التي أصبحت لها أهمية ومن واجب إلّاها. أما الحفاظ العربية القائمة على أن تكون للتحقق الوحدة العربية السياسية، وهكذا جاءت الدعوة لتعاون الاقتصادي في بدايتها لرسم لحل مشاكلها، بشكل غير مباشر، ولكنه غير مفتي. يستلزم أن مدى حرية الحدود السياسية ووجود الأقطار العربية نظمها، في عاصرها فترة شيع حكم عربية ذات طابع عسكري واقتصادي مما صار على تأكيد هذه المؤامرات، والمعارف، وهكذا بدأ كما لو كان من التعاون الاقتصادي العربي هو تهديد بالحكم الأوضاع الاقتصادية لنظامية في العديد من البلدان، وهي

كانت ماثية لا يقبل أحد تبجيلها حتى
في تلك الأقطاف القاصية في اتسام الحش
زيادة الإجماع الفصلي، وهي من منافع
التي تعود إلى الجميع بالاجتهد. أما
التكثف السياسي في الشطط الصطرية
أهم مركزة كبيرة في نفس الوقت، من
هزوز النفاط، وخاصة في
السياسيات، ظهر نشاط أكبر بين الثوري
المالية الجديدة وبين دعوة الوحدة
والعربية أو العربية الحرة. فالعودة
لشعوان الاقتصاد العربي ربت في ذلك
الوقت. شكلا كـ كما لو كانت دعوة
المشاركة في هذه الثورة الجديدة
الواقعة، الأمر الذي أوجد حساسية لدى
الطوائف وأسمعت من مؤثرات الدول
الخارجية. فصار ضغط العرب، للعرب،
يمكن أن يتضمن مفاهيم كثيرة بعضها
يشير إلى اقتسام هذه الثورة بين العرب،
بما فقد فقت الضمان الذي لا تتعاون
للاقتصاد العربي، منذ البداية. تهديداً
للنظام الاقتصادي والقائمة والملاكم
للاقتصاد السائد، وهو من مثل
التيام عميد من النظم السياسية،
والتي أتاها نوع من منطق عدم الحساس
والرغبة في اقتسام الثروة الصطرية بعد
أن دفع بوزر التهديد السياسي. وهو أمر
يبدو أنه قد ظهر إلى الحساس في النخب

في النول التعطية. وهكذا تجلب على الدعوة للتعاون العربي تلميحات بتهديدات خفية على المستوى السياسي أو الاقتصادي.

ولا يقتصر الثمن السياسي للثأر الاقتصادي العائلي، لذلك، فيما بدأ نهجنا لتأسيس واستمرار العديد من النظم السياسية، بل إنه حتى مع إغتناء مثل هذا النهج، والحاجة إلى بدات جديدة، المتمايز بين النظم المختلفة بعد ١٧، فإن هذا التمايز كان يتضمن، بشكل ما، تقديراً لسلطات النظم السياسية القائمة على العديد من البلدان العربية. فالحاكم على معظم البلدان العربية وسوى على ذلك الدول النفطية وغير النفطية، لذلك، كان قبحه عكاً أو أمراً، أو رئيساً، أو قائداً، كان عليه حاكم مطلق لا تتعدّد إرادته ولا قيود. وهو يتمتع مع السلطات هناك، لا سيما، بناءً على حيث لا سلطة تمارسه، ولاشأن من فتح الباب أمام الدول العربية، وبإزاء ذلك منهم كحوكمة، من شأنه أن يحدد من سلطات الحاكم إلى بعض الضغوط من السلطة الشفعية لحماية كيانها، الأمر الذي يتضمن تطبيقاً لسلطات الحاكم. وأما ذلك الدعوة إلى التسليم الاقتصادي العربي، مع صياها، وخاصة في بدايتها، من حوافر من تحمل تكاليف إنشاء سياسات للنظم السياسية القائمة فإن الأمر لم يخلو من بعضاً من تكاليف إيجابها الاقتصادية يمكن أن تتحملها بعض القطاعات الصناعية التي تمتعت بحماية ترفع على ثمنها.

فالمصانع في معظم الدول العربية قد قامت على أساس إحصاء الواردات ويوجد في محليتها خططي بحسابات جبرية كدالة نسبية، ولذلك فإن تحرير الصناعات تتركز عام في تحرير التجارة مع العالم الخارجي ومن خلال تعاون القممى تضاعف تركيزها التنافسي في الداخل، وبالتالي مهددة لأرباحها. وهكذا فإن مثل هذه الصناعات عادة من نوع من المقاومة الأولية إزاء إجراءات تسويق إضافية معتمنة به من حماية لتعليق الحيلولة. ومن ثم موقفها المتأول في كثير من الأحيان في درجات التعاون الاقتصادي الإقليمية، حيث يضمنه من تخفيف أو إزالة ما تتمتع

به هذه الصناعات من مركز متميز في أسواقها المحلية.



والمتحاور الاقتصادي الإسلامي، فما كان له قرار الاقتصادي، يؤدي إلى منافع واضرار، واضرار وعاء، فهناك المستفيعين من كسب ما هناك أيضا المتضررين، والمبررة في النهاية في بالمقارنة بين حجم وزن المنافع من ناحية وحجم وزن الاضرار من ناحية اخرى. وقد ورد ذلك في الامم العربية متعلقا بالموقف بالحجم المطلق لكل منها، بل كثيرا ما يتعلق بالصوت Voice، فهناك بعض الصالحات العامة التي تتميز عن نفسها بقوة فأنها قد لا تكون كبيرة، في حين ان مصالح اخرى كبيرة قد لا تنتج في التمييز عن نفسها بنفس الحجم فهم اهميتها. ويصير المثال السابق عن المقارنة بين موقف بعض الصناعات الوطنية من تحرير التجارة بالمقارنة وموقف جمهور المستهلكين منه نموذا واضحا للملاحة بين المصنوع التي تهمج بالتحصيل. فإذا كان تحرير التصنيع يضيف من الوضع التنافسي، أو الاحتكاري، لمعد من الصناعات المحلية، فإنه يوفر للمستهلكين نوعا من الوقت فأنه يومية في اتجاه البيع بأسعار أقل وربما نوعية افضل، وكذلك تجد تقابلا بين ما قد يلحق بعض الصناعات من خسائر، وبين ما قد يحققه المستهلكون من كسب فتنشيطه تحرير التجارة ولتصانوع الاقتصادي الإسلامي. وقد يكون الكسب المتحقق أكبر من الخسارة الواقعة، ولكن الغالب هو ان صوت الصناعيين يكون أعلى وأقوى من صوت المستهلكين. وذلك للأسباب، ويشير في هذا الصدد إلى امرين، الأمر الأول التقرفة بين الحصارية المحلية، الأمر الثاني realized loss بين الكسب المصالح، foregone benefit، فهنا تقابل بين شركة تحقق لافضل خسارة أو نقصا في الأرباح، وذلك لأنها تتحدث عن أشياء تحققها بالفعل بالمقارنة الخاصة، وهي أمور يكسبها،

ويأتى في الشورى بها يكون عادة أوقياً.
كما استحسن المحتمل، أو المتوقع، هو إضافة
إلى ما قبل، لم يتحقق في أي وقت في
الماضي، وإنما هو متطلع إلى المستقبل.
وذلك فإن المطالبين به تقول كل واحد مما
هو الحال هو الضاع عن الخسائر
المتحققة. هنا في الأمر الأول الذي يؤدي
إلى بعض أصوات المقاومة (الصناديد
الخليعة) أعلى من أصوات الحاشية
(جمهور المستهلكين)، فبعض أصحاب
الصناعات وهم يعارضون التحويل
يحدثون عن خسائر حقيقية تلحقهم،
أما المستهلكون فيسترون أن يدفعوا عن
الأمم، في مكاسب مهمة. حقيقة.

أما الأمر الثاني فهو يرجع إلى ترك
أصراق أوامر الخطايا، بالنسبة
لأصوات الصناعات العالمية ببقائه
المعاني فإن من الصناعات كون مادة
معدودة وذلك فإن حجم الحسنة التي
تسحق بكل منهم تكون عادة كبيرة تبرز
الخاصة بالصناعات التي ضلّ عن أهم
نقطة عدمه يكونون عادة قائلين على
تنظيم مقاصدهم بشكل فعال، أما
الخاصة والصناعات التي غرضها البيع
والشراء وحسين نوعيتها فإنهم من
جهمور المتكلمين، منهم أصداء كبيرة
تدور في كل شأنهم، بل يحقّ صديراً
وهم أن يجمعوا المكاسب بل يكون كبيراً
بل وكبيراً جداً، فإن أصوات العالمية
بالتحسين بل لا تكون عالية فهي
تفرغهم تشبههم في كل الذين على
التنظيم وبالتالي الضالعية. ومن أيضاً
بالنظر إلى تشتهر فإن النفع العائد
إلى كل منهم يكون عادة قليل لا يبرز
الغلبة الكبيرة إلا عند النقص، ومن هنا
كثيراً ما تجد أن مصالح الأقليات تجد
أدلاً صافية أكثر من مصالح الأغلبية،
لأن الأغلبية بطبيعتها كسولة وغير
منظمة، وطبيعتها هي الخلق بالنسبة
للقوانين والأقليات الذين إخراجهم ترك
التجارة، فالغالبية تأتي عادة من الغلبة
لعدم ذات مصالح كبيرة ومركزة، في
حين أن الأقليات لا يظهرهم بغير القوة
لعدم تركيزهم على مصالح وتشتهر بين
أصوات قليلة الأضواء.



وما تقدم لا يحول دون الاعتراف بأن هناك اعتراضات تشمل معارضة مشروعة للحماية من المنافسة غير العادلة، من الدول الشقيقة. فمحتاجات بعض الدول تتمتع بميزة تنافسية تجعل أسعار الدول الأخرى الشقيقة المنافسة ليس بسبب محاولة إنتاجية وإنما بسبب مزايا تتمتع بها في دولها في شكل إعانات صريحة أو ضمنية. وقد عرفت اتفاقيات منظمة التجارة العالمية حق الدول النامية في التمتع بالحق في الحصول على القروض

إذا كان صحيحاً أن مزيداً

من الاندماج الاقتصادي، الاقليم،

(المراد من هذا هو ما في قوله تعالى: "وَمَا يَكْفُرُ بِهِ إِلَّا الْأَبْرَارُ الْمَلْهُومُونَ")

المعري) قال: وسيدنا: ابن السكواك يمشي

لماذا إذن لم يحمي هذا المصاري الاقتصاد

العربي، وإذا ظل شعارا للمناسبات أكثر

منه حقيقة على أرض الواقع؟



يتطلب العلاج إن الاعتراف بهذه الأمور وإنجاح الية لعلاج هذه المطالب المشروعة. وقد يكون من الصعب في هذا الصدد إلا تقتصر جهود العمل على التكمال الاقتصادي العربي على المطالبة بإزالة الحواجز، وإنما الاعتراف بأن التعاون أو التكمال الاقتصادي العربي لا يعود أن يكون مشروعاً له تكلفة كما أن له منافع، وبالتالي ضرورة توفير «ميزانية عربية» لهذا المشروع. لتعويض المتضررين من هذا المشروع. ويدون الاعتراف بهذه التكلفة ومحاولة تعويض عنها، فسنظل نتكلم عن مزايا التعاون الاقتصادي في المستقبل والمزايا، ولن يمنع ذلك المتضررين منها من العمل على وقفها في هذه ولا جلية. والله أعلم. ■

للاستزادة:

الاقتصاد العربي في عصر العولمة
مركز الإمارات للدراسات والبحوث
الاستراتيجية
حازم الببلاوي
أبو ظبي، ٢٠٠٢

يتصل بذلك إن منطق التعاون الاقتصادي الإقليمي لا يزدهر إلا في إطار من الديمقراطية. فالنظم الديمقراطية ليست بطبيعتها. عدائية أو أممية، فضلاً عن أنها يتداول السلطة. فإنها لا تسمح بقيام السلطة المطلقة للحكومات والتي تقاوم أية مشاركة في هذه السلطة. سواء من الداخل أو من الخارج. وقد يكون المفيد هنا أن نتذكر أن من أسباب نجاح التعاون الاقتصادي الأوروبي، هو أن القائمين على إنشاء السوق الأوروبية المشتركة قد عمموا منذ البداية في اتفاقية روما بإنشاء السوق عام ١٩٥٧ على التأكيد على أن المشاركة في عضوية هذه السوق سوف يقتصر فقط على الدول الأوروبية التي تتشارك الديمقراطية وتتشارك في المبادئ والقيم العامة لاحترام حقوق الإنسان. فمع شيوع الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان تتشاهل إلى حد بعيد المزايا السياسية للاستئثار بالحكم والسيطرة على جميع المقررات السياسية والاقتصادية للبلاد.

اتفاقيات التعاون الاقتصادي الأوروبي توفير أية لتعويض هذه القطاعات. ومن هنا ينبغي النظر إلى التكمال الاقتصادي العربي باعتباره مشروعاً اقتصادياً له منافع كما أن له تكاليف. وهذه وتلك لها نتائج مالية يجب أن تحملها الدول. فالتكمال الاقتصادي العربي، مثل أي مشروع مهم ولكنه ليس هبة بلا تكلفة، حتى وإن كانت فوائده أكبر.

أمر متحقق تماماً:

إذا كان التحليل السابق صحيحاً، فإن معنى ذلك أن التعاون الاقتصادي العربي لم يتحقق في الواقع رغم ما بدأ من مناهة لأن هناك أسباباً منطقية تبرر تجاهل هذه المنافع الاقتصادية حيث إن هناك تكاليف وأعباء أكثر أهمية وخطورة من هذه المنافع بالنسبة لتخذي القرار، وهو عادة قرار ذو طابع سياسي حيث يتصلق بعملالة الدولة بالخارج ومدى حدود سلطاتها ومزاياها وسيادتها.

الاتفاقية باتخاذ إجراءات لمواجهة الإغراق، أو الإعانات لحماية الصناعة المحلية في مواجهة منافسة الدول الأخرى، ولا شك أن نوعاً من هذه الإجراءات لابد أن يراعى في تحرير التجارة ضمن أشكال التعاون الاقتصادي العربي. ولذلك فقد يكون من الواقعية الاعتراف بمشروعية جزء من هذه المخاطر التي تتعرض لها بعض القطاعات من جراء فتح الأبواب بين الدول العربية، والعمل على وضع آلية لتعويضها، عن هذه المخاطر.

ومن هنا فقد يكون من المناسب أن تتضمن برامج التكمال الاقتصادي الاتفاق على تخصيص ميزانية وموارد مالية مناسبة لتعويض الأطراف المتضررة من زيادة حجم التبادل التجاري العربي، والعمل في نفس الوقت على إزالة التدرجية لأسباب هذه الأضرار. وقد عملت السوق الأوروبية منذ البداية على الاعتراف بأن بعض القطاعات، وخاصة في الزراعة في بعض الدول مثل فرنسا، يمكن أن تضار أكثر من غيرها من مزيد من التكمال الاقتصادي الأوروبي. فكلت

حدثت في مارس ١٩٤٤ الميلاد

محمد المهدي

والوصوح بمفهوم الكبار، ولكن لا ندري كيف يحسه أو يصفه الذين يولدون. ولا يمكن بالطبع معرفة ذلك، فكما أن لحظات الموت غير ممكنة التدوين، فإن الميلاد والطفولة لا يمكن تدوينها في حينها تنقص ملاحظات الإدراك، وأدوات التعبير عند الصغار بمفهوم الكبار. ولعرف عدة مذاهب فلسفية للتاريخ اعتبرت في غالبيتها التاريخ، والتاريخ علماء، ولكننا نجد (برتراند راسل) يعتبر التاريخ والتاريخ فنًا، فعلى المؤرخ في رأيه أن يقرأ، ويقرأ في المرحلة المراه الكتابة منها، ثم ي طرح جانبا مراجعته ويبدأ في الصياغة بعد تشل المرحلة. وهذا ما اتجهت تقريبا عدة أدياء الآن منهم (أمين معلوف) ورضوي عاشور). وتعتبر هذه الطريقة هي الأفضل ما وصلنا إليه لأن تلتحل حالة الطفولة في التكثير والتعبير.

اسم القصة (الأمير الصغير) نشرت عام ١٩٤٣ وأعتقد أنها جديرة بأن نقدمها للصغار في زمن إفساد الصغار، والكبار في ذكرى مرور ٦٠ عاما على اختفاء صاحبها. كان بيكاسو يقول إنه يتمنى أن يرسم كما يرسم الأطفال، بمعنى أن يرسم بدنيته وتلقائية الأطفال، وهناك كما يقول (اكزيري) عللن، عالم الصغار وعالم الكبار. وإذا أمكن للبشرية أن تدون تاريخ عالم الكبار فإنها رغم كل تقدم لا تستطيع أن تدون تاريخ عالم الصغار، فمشكلة البدء تشابه مشكلة النهاية من حيث الضموض. ورغم أن الميلاد أقل غموضا لأنه يسير مع النمو إلى النشوء

لا يمكن إلا في إعادة الكرة حينما نكتب له النجاة. ولكن في مارس عام ١٩٤٤ لم يعاد الكرة لأنه لم نكتب له النجاة من رحلة استكشافية أوق أرق الأرض الجبال. وذكر منذ فترة أنه عثر على بقايا طائرة على ساحل فرنسا المتوسطي، يعتقد أنها كانت للأديب اكزيري. من أعماله (بريد الجنوب) ١٩٢٩، (طيران الليل) ١٩٣١، (أرض البشر) ١٩٣٩ وكانت آخر أعماله التي نشرت من بعد اختفائه (القلمة) ١٩٤٨. ألفرد اكزيري بكتابة قصة. رسم صورها بنفسه. يهز في الصغار. ويولم فيها الكبار محاولا تنمية قدرات ومدارك وحس الكبار حتى يصبح في مقدورهم فهم عالم الصغار.

■ ■ ■ أنتوان دي سانت اكزيري Antoine, De, Saint-Exupéry ١٩٤٤ أديب فرنسي عمل طياراً وروبطه عمله بالأرض حينما كان يراها من طائرته مجردة. وبالناس حينما ابتعد عنهم هازناد شوقاً وارتباطاً بهم. وبالصحراء لأنها حيات له السكون والصمت ومواجهة الموت في سلام. يتفدى بالشجاعة من وحدة الكون والإيمان. تعرض للموت عدة مرات، وكان في كل مرة

Le Petit Prince (الأمير الصغير) Antoine de Saint - Exupéry Gallimard (Folio), 1999, 97 pages

لمحة الموت

عاش (اكزيري) من المشكلتين معا حينما أراد كتابة قصته الفريدة والوحيدة للأطفال والكبار معا... (الأمير الصغير) المشكلة الأولى هي التشكير، وفيها الداء: برمزية الحوار الطولي بما يجسم دواعية الخيوط الخفية بين الصغار والكبار، والثانية، وفيها الهواء. وهي التعبير بالرسم المصاحب لكل صفحة من صفحات القصة بما يعقد صورة جميلة بين الأمير الصغير والطيار الضالعين في الصحراء.

إذا كان الأول يمثل لحظة البدء بكل معجزاتها، ونقلها، وبساطتها، ووصولها إلى الأعماق والحقيقة في أقل الكلمات، فإن الثاني يمثل لحظة النهاية أو الموت الذي يواجه طيار هبط اضطراراً في صحراء خالية، بنهضة الكبار... من ذكريات معقدة، واضطراب، وخوف، وتتبع للألم الجسدي حينما تأتي اللحظة الحاسمة.. لحظة الموت.

كان (اكزيري) يارعا. ولو أنها كلمة لا تناسب المقام. حينما صور لنا هذه اللحظة في قصة أخرى أخذ عليها الجائزة الكبرى للأكاديمية الفرنسية في قصة (أرض البشر). تحكى واقعا عاشه الكاتب حينما اضطر إلى الهبوط مع زميله في صحراء عرف بعد نجاته أنها صحراء ليبيا... ولم أعد أكتشف أي شيء في نفسي، اللهم إلا جفافا عظيما في القلب. أنا على وشك الموت ولكن لا أعرف



والموت.. والكاتب الذى اختفى

من فضلك ارسم لى خروفًا.
التفت فى رعب ليوجد امامه علماء
له هيئة غريبة ولكن ساحرة . يدور الحوار
بين الطيار والطفل.. الأول يلج فى معرفة
كيف جاء إلى الصحراء المزملة، والثانى
يلج فى طلب رسم الخروف. يرسم الطيار
المطلوب على سجل حتى يصل إلى إجابة
عن سؤاله. ولكنه لا يتبين حقيقة هذا
(الأمير الصغير) إلا بين سطور كلامه.
فهو لا يحب الاستجابات بطريفة
الكبار

الأمير الصغير سقط أيضا من كوكب
صغير يعيش فيه وحيداً، وطبقاً للقاعدة
الجغرافية التى تجعل نصف الكرة
الشرقى من الأرض مشمساً، أحضت
يكون نصفها الغربى مظلماً، فكذلك
كوكب الأمير الصغير ولكن فى حدود
حجمه. والثانى يستطيع أن يمارس
هوايته ورياضته المضطلة التى أحجم
عنها الكبار منذ زمام، وهى رؤية غروب
الشمس مرات عديدة وذلك بتفسير
مقدمه مرة فى اتجاه الشرق، ومرة فى
اتجاه الغرب.

فى كوكب الأمير الصغير ثلاثة
براكين تناسب حجمه، والثانى يستطيع
أن يستخدم اثنين منها فى الطبخ، بينما
الثالث خامد. وعمله اليومى الذى يقوم
به فى مهمة هو تنظيف الكوكب من
الآعشاب الضارة التى يمكن أن تكبر
وتصبح نوعاً من الأشجار الضخمة
(BAOBABS) فتهدد كوكبه بالانفجار.
من هنا يكتشف الطيار سر طلب الأمير
رسم الخروف. حتى يخلصه من هذه
الآعشاب.

ولكن هل يأكل الخروف الزور؟
نعم.
كيف إذن يحمى وزنه حبه الوحيد
وأنيس وحدته على كوكبه من الخروف؟
يشغل الطيار بهمة بهلته،
ويجب لكل الكبار كيفما اتفق على
تساؤلات الصغار، ولكن أميرًا صغيراً
طفل من عالم لا يعرف منطق الكبار.
يكتشف اللعبة وينسجى فى الطيار قائلا:
إنه قد عرف ذات يوم رجلاً يقوم بجمع
الأرقام دلماً ويورد (أنا رجل جد). أنا رجل
جاد) ولكنه لم يعرف فى حياته كيف
يتأمل نجما، أو يستشعر صبر وردة، أو
يحب انساناً... وحار الطيار أمام عالم
العبرات التى انجذرت من عيون أميره
الصغير.

عزف الطيار إن كوكب الأمير فيه وردة
صغيرة فى هذه الحديقة،
لقد أعجب بها ذات يوم



هناك كواكب لأوراق الكبار. وفردوس واحد مفقود للبراءة والتقاء.. والصغار

يبدأ القصة بالاعتذار للأطفال لأنه
يقدم قصته إلى صديق من الكبار، ولكنه
يستدرك فيقدمها لصديقه عندما كان
طفلاً.
يخفى لنا الكاتب جزءاً من ذكريات
الطفولة عندما كان فى السادسة يمارس
الرسم ككل الأطفال. أراد بخياله النقى
أن يرسم دميماً ضخماً اتلع أتبع، ولكن
الكبار استهانوا برسمه، ونصحوه ككل
الكبار بترك الرسم وتعلم مهنة مفيدة..
وتعلم الطيران... وصار طياراً يجيد
الحديث عن الريدج والجوفه ويسعد
الكبار بهذه الأحاديث الجادة.
حدث ذات مرة أن تمثلت طائرته فى
صحراء خالية، أخذ الهم والربح وهو
يحاول إصلاحها. وفجأة وفى وسط
صمت الصحراء يسمع صوتاً طغولياً
يقول له:

الطفل لو وجد الرعاية والتفتيق؟ ما
يعني هو موزار الصريع فى كل فرد من
هؤلاء الناس. وليس هناك إلا الأرواح لو
هبت على الصلصال لاستطاعت أن تخلق
الإنسان.

كتب أنكريير قصة (أرض البشر) عام
١٩٢٣، وقصة (الأمير الصغير) عام ١٩٤٣.
اكتشف بها لحظة النقاء فى لحظة البدء
والطفولة.. لحظة تشابه فى طافتها
غفوتها كافة استنادة الإنسان بالوقت
نفسه، وكان طبعياً أن يوجه الكاتب
قصته للأطفال، فقد كتبها ورسمها لهم.
وإن كان أصله وهذه أيضاً أن تمس
رمزيتها العميقة، وألحاحها الرقيقة أوتار
الكبار المتراخية، فتشدها، وتعيد إليها
على الأقل بعضاً من ذكريات الحان
الطفولة ليعنى الكبير والصغير قصيدة
واحدة.

البراس، وحتى الألام لا أعرفه. وإنى لأسف
على ذلك فإنى أعتقد أن الألام لو أتى
لكان حلوًا كالماء، فإن آلمه يرش عندك
لنفسه، ويشكو إلى نفسه كما لو كان
يشكو لصديق عزيز، ولكن لم يعد لى فى
الدينى صديق.

تلاحظ فى الصحراء قدرًا من التسليم
ينمو فى عبارة أخرى صاغها فى لحظة
أقرب للموت من الأخرى فيقول، ووسر.
مرة أخرى أمام حقيقة لا أفهمها.
اعتقدت أنى هالك وأنى وصلت إلى
أقصى درجات اليأس، ولكن ما كنت
أستسلم لصعير حتى عرفت السلام.
ويبدو أن الإنسان يكتشف نفسه فى تلك
اللحظات، ويصبح صديقاً لنفسه، ولا
يعود هناك شيء يستطيع التغلب على
ذلك الشعور بالكمال الذى يرضى فيها
حاجة ضرورية لم تكن تشرح بها من
قبل.

تعرض (أنكريير) لموت مرتين.
الأولى فى صحراء ليبيا، والثانية فى
جوانيتيلا. وأصغته هذه اللحظات
الصعبة تجارب أخرى عديدة، وأحاساس
صوفية يدور الإنسان أمام الخطر.
لحظة الميلاد فى نظره بسيطة، ولحظة
الكبر بسيطة، بل ولحظة الموت بسيطة
ما دامت تعمل الإنسان ينسجى الأخوة
البشرية. ويهذه الأرض التى يراها من
طائرته بلا نقاب، وبلا شرايين الطرق
الخادعة حين الاقتراب منها.

لحظة الموت فى الصحراء لا تعنى
شيئاً ما دامت تفعلى للوجود كل معنى
فى خير من موته فى قطار الضواحي
الذى يحمل الرجال كل صباح إلى
أعمالهم بلا معنى وكأنه يرد قول الشاعر
الرفيق الرحال صلاح عبد الصبور
أعطيك ما أصغتنى الدفنين من
التجريد والمهارة

لقاء يوم واحد من بكارة
لحظة البكارة والنقاء أين توجد؟
فى نهاية قصة (أرض البشر) يلتقى
الكاتب فى قطار يسمال بولنديين يتم
ترجيهم من فرنسا إلى بولندا، ويرى بين
هذه الكواكب البشرية السياسية الخافضة،
طفلاً (كانه فاكهة مدمية) .. (هنا وجه
موسيقى، هذا موزار الطفل، هذه هدية
جميلة من الحياة. وإن الأمراء الصغار
الذين كنا نسمع عنهم فى الأساطير لا
يختلفون عنه فى شيء. فهذا يصبح هذا

غير مرئية. وعندما يقترب يلوح أسفل الحائط ذلك الثعبان الأصفر الذى يقضى على الإنسان فى ثلاثين ثانية. يجرى مسرعا ويلتقط أسنانه بين ذراعيه، وينبش قلب الأمير كصفوف أصابته طلقة من صياد. يستعيد الأمير ابتسامته، ويبلغ العيار أنه سعيد لأن صديقه أصغر طائرته، يستطيع إن أن يعود لبيته، فالأمير الصغير يولى أيضا العودة. إن لديه الحروف وصندوقها، وكماشة للخروف، وورقة الضميمة الساذجة تعيش وعيسة قلقة فى كوكبه. وعند المساء سيكون كوكبه فوق هضبا المكان تضامنا، ولكنه لا يستطيع أن يطلع صديقه على موضع فهو متناهى الصغر وسد الأفق النجوم.



ويستدرك.. ولكن هذا الفضل لأنك تسحب كل النجوم حينما تحاول أن تبحث هنى فى السماء. ساكون فى نجوى الخاص اضحك، وأنت تحب ضحكى، أنك سترى كل النجوم تضحك.

وتضحك كل النجوم فى السماء وتسحب الأمير الصغير فى هوى لينتقى بالثعبان، ويلحق به الطيار ولكنه عازم على تحمل مسئولية ليرحل إلى بيته الحميم، وحبه الوحيد، ولكن جسمه ثقيل لن يرتفع عن الأرض إلا بعضه الثعبان.. ويقتطع فى الصحراء بلا ضوضاء.

أما الطيار فلا يتيسر له سوى التفكير.. تتردد فى ذهنه فكرة ضحكة الأمير فتضحك كل النجوم، وتارة يكاء الأمير فيبقى الجوهرة، ولا يستطيع تفسير هذه الكتابة للكبار، إلا بأنها نوع من الإيحاء.

يرسم (الكزيرى) آخر صفحة فى كتابه خالية تضامنا، إلا من نجم معلق فى السماء ويقول لنا: إن قدمت بساحة فى الصحراء الأفريقية أروجوكم ألا تضلوا وانظروا تحت هذا النجم، فإذا ظهر الأمير الصغير لا تتركوا فى كتابتى.. اكتبوا لي إنه عاد.

وخل (الطعان دى سانت الكزيرى).. ولم يعد الأمير الصغير، ولا ينتظر أن يعود، فقد بنى فى زمان يخرقه الكبار حينما يلقه الأمير معلقا على غشلتهم، وطفاهم. ❧



ينزل الأمير الصغير وكأنه رسول إلى أرض البشر إلى الصحراء، ولكنها الأرض على أى حال. أرض الكبار، ويكلم النقاء، والحب، والبساطة يلتقى بثمان فيشق على هذا الكائن الضعيف الذى يقبضه الأصعب، ولا يستطيع أن يذهب بعيدا، ويجيبه الثعبان الذى ورث غشا من عالم الكبار بأنه يستطيع أن يحمله إلى أبعد مما تحمله سفينة.. (ومن اسمه أرجعه إلى الأرض التى خرج منها، إننى أستطيع أعيدك يوما إذا ما برح بك الشوق إلى كوكبك).

ولا ينهم الأمير الصغير هذه الأفان فيرحل ويصعد جبلا عاليا أملا أن يرى الناس من ارتفاعه، ويردد صباح الخير.. صباح الخير.. ولا يجيبه سوى الصدى.. صباح الخير.. صباح الخير. ويضيق بهؤلاء الناس الذين لا يعرفون سوى ترديد ما يقال لهم. لا يعرفون الخيال، ولا يعرفون تبادل الحوار. يلتقى فى بستان بألف الورود، ويذكر أن وردته ليست فريدة فيكى، ولكنه يفوق على صوت يقول (صباح الخير). يلتفت ليتعرف على ثعلب فيطلب منه أن يلها سويا فهو حزين ولكن الثعلب يقول للأمر.

أنا لست مستأسا، فإذا ثعلب وأنت من البشر والبشر يطاردون الثعلب لأنه يأكل الدجاج. ولكن إذا استأنستنى ستكون أصدقا.

ويضيف الثعلب:

إن امرء لا يعرف إلا الأشياء التى يستأنسها، فالناس ليس لديهم وقت لمعرفة شئ، إنهم يشتركون الأشياء الحاضرة من هذه التجار، ولا يوجد تجار أصدقا، فالناس ليس لديهم أصدقا.

يتعجب الأمير الصغير من هذه النتيجة ويصر صديقا للثعلب ثم يذهب إلى البستان ويحدث الورود بأن علاقته بوردته الوحيدة علاقة انفع، فهو بالثاني فريدة لا ليست ككل الورود.

ولكنه مضطر إلى ترك الثعلب عند الرحيل، ويشعر بالأسف ولكن الثعلب يعزبه قائلا:

الجوهرة يخفى عن الأنظار وعلاقتك بوردتك باقية. أنت مسئول عنها.

وشاء حقد الأمير الصغير، أو الإحكام البديع فى قصة (الكزيرى) أن يلتقى بعد هذه التجربة برجل يقوم بتحويّل قطارات

المسافرين.. قطارات الحياة. البعض يرحل للناس، والبعض يرحل للهمم. وقطارات تصور الأمير الصغير أنها تعود من رحلاتها، فيهمه الرجل بأنها قطارات أخرى، فمن يرحل لا يعود.

❧ وإذا يستقل الناس القطارات وما يبحثون؟

إنهم لا يعلمون، الأطفال فقط، يدسون أنوفهم فى زجاج القطارات، ويعرفون عما يبحثون. إنها لعبة بسيطة أو قصاصة ورق تمثل لهم كل الحياة.

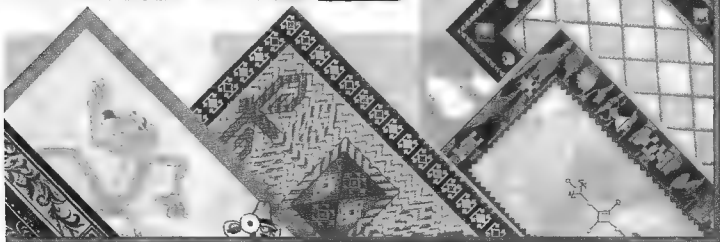
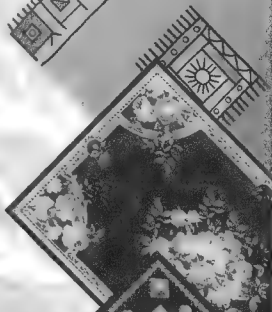
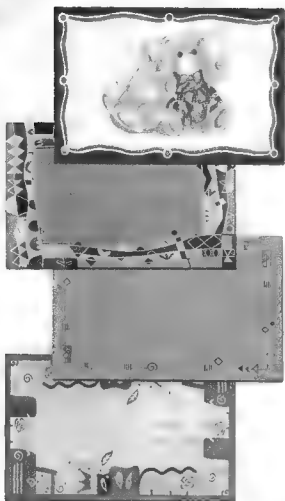
ولكن هل يعلم الكبار؟

الكبار.. يلتقى الأمير بأحدهم فيجده مشغولا بتسويق اختراع جديد، حبوب من يتلها مرة كل أسبوع تغنيه من شرب الماء فيوفر وقته. ويسأل الأمير، ولكن ماذا يفعل بوقته المكتسب؟ يحب الأمير لاستغلال الكبار لوقت الفلخ فى أمور مادية.. فلو كان لديه وقت لضحية فى السير على مهل إلى نبع الماء.



نبح ماء.. يشوق الطيار عند هذه اللحظة من ذكريات الأمير بعد مرور

متواجد في مراكز





ماك

ماك على الإنترنت www.maccarpets.com

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مشايات

قطع موكيت

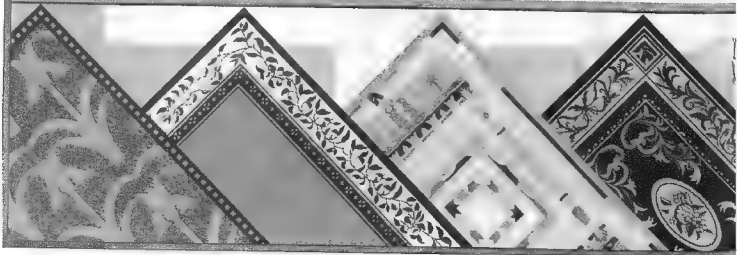
مطبوع

دواسات حمام

شرقي

سجاد أطفال

بيع بواقى التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر.



“باريس العربية قرنان من العلاقات

ليلى حافظ

■ عبر قرنين من الزمن ارتبطت «باريس، العاصمة الفرنسية بالعالم العربي والعرب. وخلال القرنين المختلط التاريخ بالسياسة، والسياسة بالمجتمع، والحقائق بالخيال، والاهتمام بالرفض، والرفض بمحاولة لفهم. ولكن من المؤكد أن العربي تواجد بقوة في باريس طوال القرنين التاسع عشر والعشرين. هذا الحضور العربي في باريس دفع خمسة من الصحفيين والصوريين الفرنسيين والعرب لإصدار كتاب مصور بعنوان «باريس العربية»، يأخذ القارئ في رحلة عبر التاريخ والجغرافيا التي شهدت تلاقي العرب بباريس، ويركز فيه بالكلمة وبصورة على هذا الجانب من العاصمة الفرنسية، الفكري والمنعني، وإيضاً الاجتماعي والعمراني، وربما أيضاً السياسي والاقتصادي.

فغير الكتاب يسرد تاريخ القرنين التاسع عشر والعشرين للعاصمة الفرنسية، وتاريخ أجيال عربية وفرنسية، وضعها مميّرها في مفترق الطرق معاً، وعرفت معاً القبول والرفض، والرفعة والعطف، ومن خلال تاريخ المدينة، يتعرف

القارئ على التاريخ الذي ربط فرنسا بالعالم العربي والشرق عامة، والدور الذي أداته فرنسا أن تعليمه في تلك المنطقة من العالم. فمن باريس تشكل مفهوم «السياسة العربية» من عهد نابليون بوناپرت، إلى جاك شيراك مروراً بنابليون الثالث، وبالحزب ديجول. كما يبرز الكتاب باريس، كعاصمة الإمبراطورية الفرنسية التي بذلت سياساتها الاستعمارية في الجزائر منذ عام ١٨٣٠، وحتى حربها التي أطلقت عليها «حرب بلا اسم»، إلى أن تم استقلال الجزائر وانفصلت عن فرنسا بعد ١٣٠ عاماً، مع كل الآلام التي صاحبت هذا الانفصال.

ولكن رغم الحروب والصراعات بين فرنسا والعالم العربي، إلا أن تاريخهما لم يخل من الأذهار الفرنسي بالشرق، فبما الاهتمام بالشرق منذ أن ترجمت قصص ألف ليلة وليلة في عام ١٧٠٤. ومنذ عام ١٧٥٠ اهتمت فرنسا بمصر، حتى قبل نشر أعمال شامبليون، فاهتم المجتمع الأستقراطي والفرنسي بالمعابد المصرية والفن الروماني الموجود في مصر، ثم لا ينسى الكتاب ذكر عشرات الآلاف من المكرمين والمثقفين العرب الذين اتخذوا من باريس عاصمة ثقافية لهم، فهاجوا فهاجوا من المغرب العربي ومن مصر ومن المشرق العربي إلى باريس، خلال النصف الأول من القرن العشرين. وخلال تلك الفترة تبلورت علاقة الرفض بين الفرنسيين والعرب في باريس، فيقول الكتاب إنه منذ عام ١٩٢٥ تشكلت الأسس التي قامت

Le Paris Arabe. 2. Siècles de présence des Orientaux et des Maghrébins, 1830 - 2003

(باريس العربية قرنان من الوجود المشرقي والمغربي ١٨٣٠ - ٢٠٠٣)

de collectif

La Découverte, 2003, 248 Pages, EUR 39 90

Le Paris Arabe. 2. Siècles de présence des Orientaux et des Maghrébins, 1830 - 2003

(باريس العربية قرنان من الوجود المشرقي والمغربي ١٨٣٠ - ٢٠٠٣)

de collectif

La Découverte, 2003, 248 Pages, EUR 39 90

de collectif

La Découverte, 2003, 248 Pages, EUR 39 90

Charles JEY ESSENCES D'ORIENT

11, Rue Théodore Deck - Paris XI

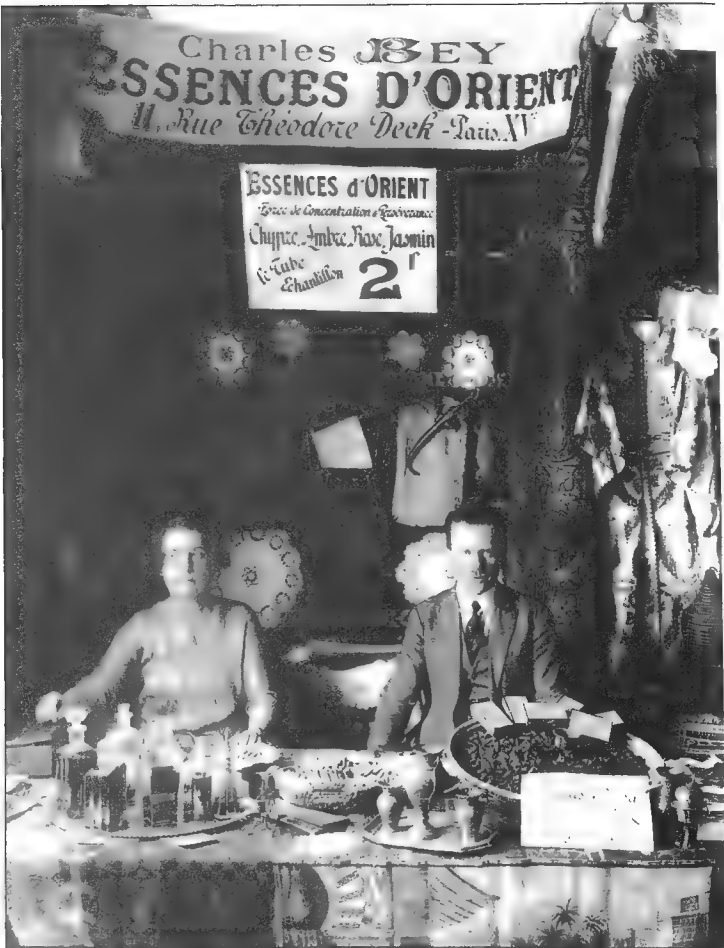
ESSENCES d'ORIENT

Extrait de Concentration et Essences

Chypre - Ambre Rose - Jasmin

le Tube
Echantillon

2^r



فرنسي وزوجته يرضيان منتجات من المطور الشرقي

مثل رفاعة الطهطاوي، الذي جاء إلى باريس في عام ١٨٢٦، إماماً لجموعة من الطلاب. وفي عام ١٨٢٦ فتحت في باريس سفارة تونس، يرأسها أحمد بيه، ولي العهد، وسكرتيره أحمد بن أبي ضيافه، وغيرهم الذين اللذان سيكون لهما شأن في تاريخ تونس الحديث عن طريق المطالبة بإقامة نظام الملكية الدستورية. هؤلاء وغيرهم تأثروا كثيراً بباريس الثقافية والسياسية، واعتبروا وجودهم فيها مرحلة مهمة في تاريخ اكتشافهم للغرب، مثل الكاتب اللبناني الكبير أحمد فارس الشدياق الذي أسلم وترجم الإنجيل إلى العربية، وأقام في باريس، فاتحها مركزاً له حيث أصدر، مثل رفاعة الطهطاوي، جريدة باللغة العربية. وفي باريس تعرف على لامارتين وعلى الأمير عبد القادر، ونشر روايته الهزلية «ساق على ساق»، التي كانت بمثابة سيرة ذاتية يحكي فيها عن شخصية ترحل عبر الشرق والغرب ويتنقذ فيه رجال الدين والسياسة في الشرق وفي الغرب.

وهكذا، وفي فترة الإمبراطورية الثانية، تحولت باريس لتكون مسرحاً متميزاً للمصافحة العربية، ومع صف مثل «المشرق» و«المشتري» اللبنانية، بدأت دار نشر لها هاشتات تنشر كتباً باللغة العربية. ولكن تلك الصحف لم تكن تسهم الباريسيين كثيراً، بل ما أثار اهتمامهم هو المعرض العالمي في عام ١٨٨٩ الذي قدم إلى المواطن الفرنسي فكرة شرقية من زوايا الشرق، فأقيم على ضفة نهر السين معرض من الجزائر عرض فيه كل منتجات الجزائر الشرقية من جلد النمر والأسود إلى أشجار النخيل الطويلة، كما أقيم في المعرض فندق مصري بكل ما فيه من متاجر ومقاه ومطاعم مصرية. واهتم المستشرقون بالأجنحة الشرقية في المعرض، وخاصة الجناح المصري الذي عرض فيه أيضاً خريطة مجسمة لقناة السويس وخريطة كاملة لمصر.

ولكن التأثر بالشرقيات وبالشرق والمعمار العرسي لم ينته مع انتهاء المعرض، بل استمر خاصة مع الاحتفال بالافتتاح لقناة السويس في عام ١٨٦٩، ورحلة الإمبراطورة يوجينيتي إلى مصر، مما أثر على الفن والموضة في الملايس الباريسية والمأكول والمشرب، وأيضاً في المعمار. فضم منزل الكاتب الكبير فيكتور هوجو ملحفاً صمم على الطراز الشرقي. كما انتشرت الأرائك والرجلية حتى في منازل البسطاء.

واستمر الاهتمام بالغرب والمسلمين طوال القرن التاسع عشر، فلم يكن يمشي عام إلا وكانت باريس شاهداً على معرض عربي أو كتاب رحلات إلى الشرق مثل كتب شاتوبريان ولامارتين ثم فلوبيير ونيرفال، وبدا الفنانون والمصورون أيضاً يتأثرون برحلاتهم إلى دول شمال أفريقيا، مثل ديلاكروا الذي زار المغرب في عام ١٨٣٢ وقدم لوحات كثيرة مستوحاة من تلك الرحلات.

عليها مشاعر الرضى، وخلال الثلاثينيات تاجعت مشاعر الكراهية تجاه العرب، ومنذ أن اندلعت حروب الاستقلال، تمجر العنف في باريس بين الجانبين. مع النصف الثاني من القرن العشرين بدأت العلاقة بين باريس والعرب تأخذ شكلاً آخر تراوح ما بين الحب والكراهية، والرفض والقبول. وطرح على الفرنسي إشكالية الآخر، ووضع في موقف اضطر فيه الفرنسي أن يقبل هذا الآخر. ثم دخل الجدل متلفاً التسللات حول الاندماج العربي في المجتمع الفرنسي، وتعيين وزير من أصول عربية لتحقيق الاندماج، ثم تشكل المجلس الفرنسي للمدينة الإسلامية، ومع التطورات العالمية تجاه الإسلام، والتعصب الديني، وحروب الخليج، دخلت العلاقات الفرنسية العربية إلى منحنى جديد.

وعبر الكتاب نشر باسكال بلانشار وإيريك ديروو وإدريس الياناسي ويبيير فورنييه وجيل مانسورون، أكثر من ٥٠٠ وثيقة وشهادة جماعية لم تنشر من قبل، من بين عشرة آلاف وثيقة تم العثور عليها، وقاموا بمسيرة الأفراد، والأحداث وزوايا الأماكن التي شهدت على تلك الأحداث طوال قرنين من الزمن، قام خلالها القارئ برحلة غير مسبوق، اعتبرت بمثابة رحلة في اليوم صور عائلية.

تبدأ الرحلة منذ عام ١٨٣٠، وفي هذا الجزء الأول الذي ينتهي في عام ١٨٧٨، أطلق الكتاب عليه «من المملكة العربية إلى مغرب الجور»، ففي تلك الفترة التي امتدت ٤٨ عاماً، كانت فرنسا قد عرفت مصر من خلال حملة نابليون واستمر تأثير تلك الحملة على الباريسيين عبر القرن التاسع عشر ومن خلال الهدايا التي قدمها محمد علي إلى فرنسا، والتي أصبح بعضها من أبرز الآثار التي تتميز بها باريس، مثل المسلة المصرية في ميدانها ميدان الكونكورد، والفزالي الذي أهدى إلى الملكة الخرنسوي ووضع في حديقة النياتات وكان قبلة لآلاف الزوار. بالإضافة إلى كل الآثار التي شكلت جزءاً كبيراً ومهماً من متحف اللوفر، ثم في عام ١٨٧٨ نشر الأديب الكبير فيكتور هوجو كتابه «الشرقيات»، والذي سجل بداية موجة جديدة أكثر تحاطفاً مع الشرق والغرب. وتمثل تلك الفترة بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر، في عام ١٨٣٠، وبداية سيطرة فرنسا على شمال أفريقيا، واستسلام عبد القادر المخاضل الجزائري في عام ١٨٤٧ ثم تدفق العائلات الفرنسية إلى الجزائر للإقامة والاستيطان.



في تلك الفترة اختلط فيها الانبهار الباريسي بالتاريخ والفرن المصري والعربي، مع الاستعمار والعنف والحروب في شمال أفريقيا وفي سوريا، مع الفكر والثقافة الفرنسية التي أنبهر بها المصريون بصفة خاصة،

أم كلثوم خلال حفلة «درس لشعرية



راجحة شرقية في العاصمة الفرنسية



باريس تتعرف على

العرب القدامين،

خلال تلك الفترة بدأت تتكون في باريس نواة المجتمع العربي، فجاءت مجموعة من العرب ليقبوا في باريس، ولقد انعكس ذلك على بناء مربع عربى فى مدافن بير لاشار، فى عام ١٨٥٥ ثم بناء مسجد فى العام التالى داخل المدافن. وفى نفس الوقت تفقد المكون والطلاب من الدول العربية بالأخص من مصر إلى باريس.

ولكن أكثر ما أثر فى باريس هو التقاؤها مع الأمير عبد القادر المناضل الجزائري الكبير الذى جاء إلى باريس فى طريقه إلى المنفى فى سوريا، بعد أن منحه نابليون الثالث حريته. وفى باريس استقبل عبد القادر بحفاوة كبيرة. وفى دار الأوبرا، استقبل نابليون الثالث الأمير عبد القادر بالأحضان أمام جميع الحاضرين، وتمجرت الصالة بتصفيق حاد، وخلال أسبوعين أمضاهما الأمير عبد القادر فى باريس، كانت سمعته فى تصاعد مستمر، وقام بزيارة الكنائس، لوتردام والمادلين، ليؤكد سماحة الإسلام. وحتى فى ذلك الوقت، فى عام ١٨٢٧ أثبت عبد القادر أن الإسلام والمنطق لا يتعارضان.



ولكن باريس لم تتعرف فقط على المفكرين والمثقفين والقادة والمناضلين من العرب ولكن كان لها أيضاً مودع مع رجال الصвра، الطوارق الذين حضروا إلى باريس فى عام ١٨٢٢، فكان لزيارة أثر كبير فى تصور الباريسيين لأهل الصвра والقصص والأساطير التى كانت تحاك حولهم. وفى يونيو عام ١٨٢٦ استقبلت باريس ثلاثة من زعماء الصвра الجزائرية وكتبت الصحف نصف ملاسهم «سراويلهم الواسعة، وطرايبشهم الضخمة وعصبيهم وسوروقهم».

كما تعرفت باريس أيضاً على المهاجرين الجزائريين الذين حاولوا فى صفوف الجيش الفرنسى فى الحرب بين فرنسا وروسيا عام ١٨٧٠ فكان محمد بن دريس الوقت كانت فى الفرقة الثالثة التى أصيب فى المعارك.

استهل الكتاب الفترة التالية والتى تأخذ القارئ من عام ١٨٧٠ إلى عام ١٩١٢، بالمعرض الدولى الذى نظم عام ١٨٨٩ والذي كانت أهم نقطة جذب فيه فى برج إيفل. ولكن يقول الكتاب إن المعرض الدولى هذا العام كان له، مثل معرض عام ١٨٧٨، نقطة جذب أخرى فى شارع لوكر، (القاهرة) الذى افتتح فى هذا العام جسيماً لفكرة من خيال الكونت الفرنسى ميلودى جليون، الذى

استقر فى مصر لفترة ما. وقرآن يهدى الباريسيين تصوراً خيالياً من أحد شوارع القاهرة. واستنسخ منازل هذا الشارع ومنذته جامع من القاهرة. وكتبت صحيفة المعرض تقول، نحن فى القاهرة، ولكن شارع لوكر بدأ يتخذ شكلاً شرقياً بعد أن افتتحت فيه القامى واستقبلت المرافقات الشرقيات. القادمات من بلاد شمال أفريقيا، واستمر إلى أن انتهى المعرض وأُغلق الشارع. ولكن المرافقات استمرن فى عرض فنهن فى أنحاء باريس. ولقد أدى ذلك إلى نشر صورة سيئة عن العرب فصورهم البعض بأنهم راقصات وسيدات خليعات (صورة ٦). وفى مجلات مثل دو بوتي جورنال، (صورة ٤) تظهر فرنسا تجلس على العرش وتحت الصورة عنوان يقول: (إخلاص فرنسا الأخرى)، فى عام ١٩٠٧.

ومع نهاية القرن التاسع عشر، وسقوط مصر تحت الاحتلال البريطانى، اتجه رجال الأعمال والمال إلى بريطانيا. ولكن جامعات باريس ظلت مفتوحة لتستقبل المكونين والمثقفين المصريين والعرب. فكان باريس كانت على موعد مع المثقفين العرب فى تلك الفترة فجاءوا وأصدروا صحفاً ومجلات تنقل إلى باريس هموم العرب. إذ شهدت فى عصر واحد حضور جمال الدين الأفغانى مع محمد عبده، فأصدروا ما بالعربية مجلة أصبح مقرها، فى شارع سين، قبلة لكل المثقفين العرب والمستشرقين والأثرياء والإيرانيين. وفى نفس الفترة جاء جيمس سانوا، متفنياً من مصر وأصدر مجلة هزلية بعنوان «أبو نضارة زرق»، وأطلق على نفسه اسماً مستعاراً «أبو نضارة» واستطاع أن يوزع الصحيفة فى مصر رغم الحظر.

وتتوالى أسماء المثقفين العرب والمصريين الذين حضروا إلى باريس سواء كمثقى أو لتعليم، مثل اللبناني شكيب أرسلان الذى كان صديقاً للشاعر أحمد شوقي، ولخيل جبران قبل أن يستقر فى الولايات المتحدة، وشكرى غانم اللبناني المارونى، وطه حسين، الذى كتب الكثير من كتبه ورواياته مستوحاة من باريس والحياة فى فرنسا، وترجم كتابه «الأيام» إلى الفرنسية وكتب مقدمته اندريه جيد.

ولكن تظل باريس تنظر إلى العرب نظراً لا يتخللها فقط الكثير من الانبهار ولكن أيضاً الخوف. وفى المعرض الدولى بباريس الذى افتتح فى عام ١٩٠٧، لم يتردد المظمون أن يعرضوا صوراً للمعارك التى قام بها الطوارق ضد الفرنسيين، وتصور لبعض الطوارق على الجمال يمثلون المعركة ويهاجمون مواطناً (صورة ٧) فى حديقة باريسية حديقة فاندان. أو تصور هزلى للجنايين العربى والفرنسى فى إحدى الألعاب الدائمة. وتظل صورة العربى تظهر بشكل هزلى حتى عام ١٩٠٧ عندما تبدأ الأزمة بين فرنسا

مؤدى عمله فى عاصمه لور



سرد من امهاجرين العرب لورى فى فرنسا





صورة هراية فرسية للعرب

أنحاء المدينة، كما تزايد عدد الممارسين للفناعات الدينية في العاصمة الفرنسية). ومع ظهور بواخر السفنات الحربية في ١٨٦١ مع الانفجارين ١٨٦١ في عام ١٩٩٤ في محطتي المترو سان ميشول واليناول، تفجرت الخلاف بين المواطنين بما لم يشهد لها مثيل من قبل، واتجهت العيون إلى منطقة الشرق الأوسط، تبحت فيها عن مصدر تلك الأعمال. ولكن ذلك لم يمنع العرب من أن يعتبروا باريس نقطة الالتقاء، خاصة بالنسبة للفلسطينيين، فبالنسبة لهم ياريس هي أكثر العواصم الأوروبية مؤهلة لأن تلعب دور الوسيط بين الأطراف المعنية كلها. وياريس هي بالنسبة للعرب الصوت المعتدل الوحيد الذي يسموعه خاصة بعد حرب الخليج الثانية. وهي ياريس التي اعتبرها العرب من الخليج إلى المحيط، الصديق الذي يساندهم وقت الأزمات.



ياريس المقاومة وياريس المحتل السابق، وياريس الثقافة والفكر والمقاومة ضد التهميش والمقصرة، هي أيضاً بالنسبة للعرب ياريس الفن والوسيط، فمن قلب باريس شئت أم أذى، وتعرف الياريسيون على صوتهما الزاد رغم ذلك لم يتعرف الياريسيون بعد على تلك الفترة، في السبعينيات، على الموسيقى العربية يشكها العام، فقلد طلعت الموسيقى المطروحة الخارية والجزائريون داخل دائرة مستمعهم من الجاليات العربية المغربية. أما الأفلام الجزائرية والجزائريون العرب مثل مسرحية محمد باحث حقيقته، للكتاب فاطمة ياسين، فقد بدأت تجد طريقها إلى المسرح الباريسي. ولم تتعرف ياريس فعلاً على الموسيقى الجزائرية والفريقية إلا في التسعينيات رشيد له وفولويو خالد، في الحفل الموسيقي في قلب باريس عام ١٩٩٨.

ومع تلاقى الفنون تلاقى أيضاً الرياضة بين ياريس والعرب، وفي قلب ياريس تصدعت صورة زورن الدين زيان على عروس النصر في شارع الشانليزيه بعد أن حصلت فرنسا على كأس العالم في كرة القدم.

تظل ياريس بالنسبة للعرب، منذ قرنين من الزمن، محطة مهمة في تاريخهم، كما أنها بالنسبة لياريس محطة لم تصل بعد إلى أن تتحقق من صانعها الحقيقية تجاههم، هل هي مشاعر كراهية أم حب؟ مصيرية أم اندماج؟ فهم أم تجاهل؟

الفقيرة التي تعاني من البطالة خرجت أعمال العنف والصعاب، قد تكون تلك الأعمال هي التي غدت مشاعر المصيرية ضد العرب من أصول مغربية. فقد شهدت ياريس في السبعينيات تزايداً كبيراً في مشاعر المصيرية تجاه الجالية العربية، وكانت أحداث مقتل جلال بن علي بيد بواب إحدى العوارض، وقتل محمد دياب في مقر البوليس في فيرساي في عام ١٩٧٢ ما فجر مشاعر الغضب لدى الجالية العربية في باريس، فخرجت في مظاهرات الاحتجاج ضد المصيرية ومقتل مواطنيهم. ولكن المسائل تطورت وتزايدت أعمال العنف ضد العرب الياريسيين خاصة من جانب أعضاء الجبهة الوطنية المين المتطرف، وكانت تلك النزعة الجذبية القديمة هي التي دفعت العرب من الجيل الثاني إلى أن يخرج من صمته ويبدأ في المطالبة بحقه في المساواة في الحقوق.

وفي ديسمبر عام ١٩٨٢، شهدت ياريس مسيرة العزير، العرب من أصول مغربية، من أجل التنازل بينهم، ليس من أجل الاستقلال كما فعل ناهوم قبل عشرين عاماً، ولكن من أجل الاندماج في المجتمع الفرنسي، حيث ظهرها للمصالح يقول: من أجل المساواة وضد المصيرية.. مائة ألف شخص يوم ٣ ديسمبر في ياريس، في ميدان الباستيل، وفي مسيرة ثانية من أجل المساواة عبرت البلاد كلها إلى أن وصلت إلى ياريس في ديسمبر عام ١٩٨٤، وفي هذا الوقت نشأت منظمة دى.اوس، المنظمة ومعهما بدأ يشكل جيل جديد من العرب أبناء المهاجرين.

من هذا الجيل ولدت موجة جديدة عنصرية ضد العرب، الإسلاميات بدأت في التسعينيات مع ظهور أول بواخر للحجاب الإسلامي، ولكن الإسلام تطور خلال التسعينيات، وبدأت المساجد تتزايد في

أن تتخلى الجمهورية عن سيطرتها على حياة المسلمين داخلها. لم تكن ياريس فقط المحنة التي احتوت المسلمين رغم مغفلوها منهم، ولكنها أيضاً كانت تلك التي احتوت المقاومة المغربية رغم أن المقاومة كانت ضد الاستعمار الفرنسي. ولكن في ياريس في الفترة ما بين الحريين العاليتين التقت المقاومة المغربية وتحرفت على المجتمع الفرنسي الذي عدت معه روايت متينة. فنشأت منظمة «فوق الضحية»، وأقام الأمير خالد ابن الأمير عبد القادر الجزائري روابط قوية مع العمال الجزائريين في ياريس واستمر في فضاله إلى أن طرد من ياريس، وفي عام ١٩٩٦ قام ميمالي حاج بتكوين نخبة شمال أفريقية، وتم تكوين «اتحاد العلماء»، ثم «اتحاد الطلبة المسلمين من شمال إفريقيا»، وأقامت تلك الجمعيات والمنظمات السرية روابطها مع اليسار واليسار المتطرف في فرنسا. وقد من شمال أفريقيا يشارك في مظاهرة قطعها الجبهة الشعبية في فرنسا عام ١٩٩٦، وبعد ٢٥ عاماً تشهد شوارع ياريس مظاهرات أخرى يشارك فيها الجزائريون القموضون في ياريس احتفالاً بالاستقلال.

ولكن الاستقلال بالنسبة لبحرود الجزائريين الذين زحفوا على ياريس للإقامة في الدولة التي استعمرتهم طوال ١٣٠ عاماً، لم يكن يحمل أية أحلام ودية في ضاحية نانترير ياريس عاشت العائلات الجزائرية في أسوأ الظروف وفي منازل مثل الخيميشات وحتى السبعينيات من القرن العشرين لم تحسن أحوال المهاجرين من شمال أفريقيا، هؤلاء الذين عاشوا على هامش المجتمع لا يعرف المجتمع الفرنسي عنهم شيئاً كثيراً، ولكن ظل تحت رقابة تامة من البوليس الفرنسي، منذ تلك الأحياء

والمانيا وتستعين فرنسا بالعسكريين الخارية لبحاروا في صفوف الجيش الفرنسي، وتصدر ملفاً بعنوان «ما ندين به إلى المستعمرات»، ثم الحرب المسلحة الأولى واشتراك جيش المستعمرات في الحرب للدفاع عن فرنسا وهم في الصورة في طريقهم إلى الجبهة. ففى الحرب ضد ألمانيا كانت مخاوف فرنسا تتركز على احتمالات أن تشير المعارك التي تجري على الجبهة الشمالية التوازي الوطنية في دول شمال أفريقيا، فقامت فرنسا بحملة دعائية كبيرة في تلك المنطقة لتصور الحرب ضد ألمانيا وحليفتها تركيا، وكأنها حرب ضد الإمبراطورية العثمانية التي مارست سياسة قمعية ضد الشعوب العربية الإسلامية.

وفي الفترة التي امتدت من عام ١٩١٣ إلى عام ١٩٢٦، كانت ياريس في قلب العالم خاصة في عام ١٩١٨، حيث عقد مؤتمر السلام في فيرساي، وأصبحت ياريس عاصمة أمل الضحايا المقهورين في الحرب على انقراض الإمبراطورية العثمانية (صورة لأحد أعضاء الوفود العربية) كما شهدت حضور لوئردس العرب برتردي الزاى العرب الذي جاء يساند الأمير فيصل ولكن القوى الكبرى في ذلك الحين والى الحلم العربى وكبت يقول إن تلك الأيام لن تفضاها في ياريس كانت الأسوأ له وللأمير فيصل.



ولكن تلك الفترة كانت أيضاً تلك التي شهدت فيها باريس بداية الوجود الإسلامي، ثم بناء مسجد ياريس الكبير في ١٥ يولية عام ١٩٢٦ ويحضر سلطان المغرب مولاي يوسف وافتتح مسجد ياريس بحضور الرئيس الفرنسي جاستون دوميرج الذي أكد في كلمته أن الجمهورية الفرنسية تحمي كل المعتقدات الدينية وأكد احترامها لكل من يؤمن بها وتضمن له الحماية والمساواة الأساسية أن تلك السياسة هي الدليل الأساسي للديمقراطية الفرنسية. وفي كلمته قال الجنرال لوابوييه، عندما تمكّن الفئدة إلى مساء ياريس، فهدف ترسل صلاة جعبد، لن نشعر أبراج كنيسة جودارد الكاثوليكية بالقدرة منها. واعتبر بناء مسجد إسلامي في قلب باريس بمثابة نقطة تحول تاريخية، فقلد سجلت دخول الإسلام إلى فرنسا رسمياً في الجمهورية الفرنسية، ولكن ذلك بدون

اتكلم دولي ووفر أكثر



لما تتكلم دولي مع المصرية للاتصالات
هتوفر أكثر من أى شبكة تانية.

أهم شبكات		الدول
الشبكة المحلية	الدولة الخارجة	
٢,٢٥	٣,٠٠	جميع الدول العربية
٢,٢٥	٣,٠٠	الولايات المتحدة الأمريكية
٣,٠٠	٣,٥٠	كندا - أوروبا - دول الكاريبي
٣,٥٠	٤,٥٠	بقية الدول



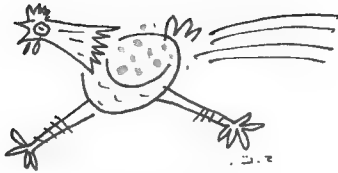
المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا

تطبق التعريفة المسائية المخفضة
يومي الجمعة والسبت طوال اليوم
للمدة الزمنية المسابرة بعد الدقيقة الأولى ١٠

للإستعلام مجاناً، ٨٠٠ - ٢٢٢٢٢٢٢

www.telecomegypt.com.eg



من وباء ١٩١٨ إلى أنفلونزا الطيور

باتريشيا جاتسبي

هلوكوا الآن .. وكذا سننتظر الوباء الشامل التالي..

لقد مرت مائتا ثلاثا أوبئة أنفلونزا شاملة خلال القرن العشرين. أسوأها حتى الآن هو ما يطلق عليه الأنفلونزا الإسبانية عام ١٩١٨. فقد أصيب كل فرد على ظهر الأرض تقريباً بالوباء، وهلك ثلاثون مليوناً، وهم أكثر بكثير من قتلى الحرب العالمية الأولى. أما الأنفلونزا الإسبانية عام ١٩٥٧ فقد قُتل سبعة ملايين أمريكي (أرقام باقي العالم غير معروفة)، وقتلت أنفلونزا هونغ كونج عام ١٩٦٨ ستة وثلاثين ألفاً. وعلى قدر ما نعلم فإن أوبئة الأنفلونزا التي تسببها هذه الوباءات المدمرة التي تحدث بصددها كأنها توابع الزلازل، تسببها طبيعة الفيروسات المتغيرة. تحدث الأوبئة الجديدة من الحراف جينياً، تتحوّل طفيفة تكفى فحسب كي يتسلل الوباء إلى الجهاز المناعي لبضعة أفراد، بينما الوباء الشامل يتضمن انحرافاً مزمناً. تبدلت جينية كبيرة إلى حد أنها تجعل الجميع عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم. لكن يبقى هنا حشد من الأسئلة، من أين تأتي هذه الفيروسات القادرة على إحداث أوبئة شاملة؟.. ماذا يجعلها بهذه الشراسة؟.. هل نجد جواباً لوبئة هونغ كونج؟ هل هي مجرد مسألة وقت قبل أن نواجه وباء جديد عام ١٩١٨؟

ينتمي فيروس الأنفلونزا لإحدى ثلاث عائلات تسمى الأنفلونزا A و B والأنفونزا الشاملة تميز فيروسات النوع A (مجموعة ينتمي لها فيروس هونغ كونج). وكذلك فيروسات الأنفلونزا تستعمل حمض RNA الوراثي أحادي الخيط كمادة الوراثة، وتتركب أعضاء أثناء نسخ نفسها، لهذا تتغير الفيروسات خطوط بطونها، وتنتحرف عن شكلها الأصلي. والتغيرات الأهم تتم في بروتينات السطح المشاكك التي تستعملها لتصليب بالعدوى الجهاز التنفسي للإنسان (بروتين يدي مولد التحلل H والتيزوامينيداز N). لكن النوع A والمرسوم غريب

يموت أمام عيوننا.. فهل نحن مقبلون على رؤية تغير في الفيروس؟.. هل سنرى انتشار الفيروس عبر أسواق هونغ كونج؟.. يمكن للمرء أن يترجح لفكرة أنه ما بين لا تخطئ بطور غير متطوّل، ولو تحول H5N1 إلى صورة ينسبها البشر أكثر ٩. وماذا لو ارتبط بأنفلونزا البشر في رواج غير مقدس، وخلق سلالة تنتقل بسهولة ٩. وانتقل من شخص لآخر عبر السعال والمطس ٩.. يقول شورترج: وهذا لم يحدث قط في التاريخ، وإنه لاحتمال مخيف..

طيلة عطلة الكريسماس تلك، ظل شورترج وزملاؤه في مستشفى (كوين ماري) يواصلون الاختبارات. كان خمس عينات المصاب بالفيروس H5N1 وفي ١٩ ديسمبر، قبل أن تكتمل الأبحاث بدأت الحكومة بصراحة في إجراءات دمج كل الدجاج الموجود في السوق والمزارع، وهو ما يروى على الملأ طائر، ثم بدأت عملية تطهير المخازن الخلقية. وجاء أول العام الصيني ورشح، دون أن يتم الاحتفال بأطباق السمك والدواجن التقليدية. لم تعد هناك حالات بشر مصابة بفيروس H5N1 ومضت الأشهر وبدأ أن الأزمة في هونغ كونج تبدو أقل أهمية. لكن (روبرت ويست) وهو عالم فيروسات في مستشفى (سانت جوس) لأبحاث الأطفال في مقيس، يترضّس تماماً على ذلك قائلاً: «لو كان هذا الفيروس قد تكيف على البشر لكان نصف البشر في العالم قد

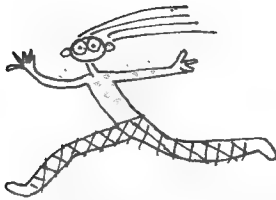
■ في عام ١٩١٨ حصّد الموت نحو ٣٠ مليوناً من البشر بعد أن تسكن وباء الأنفلونزا من أن يلتصق حول الكرة الأرضية في عناق مميت. ولم تكن تلك المأساة هي الأخيرة وإن كانت بالتتابع الأشد ضرراً في التاريخ البشري الحديث في دروة كارثة وباء الطيور في هونغ كونج الذي انتشر في كريسماس ١٩٩٧، ثم لحظاً لن يساهم عالم فيروسات أبداً. كان (شورترج) عالم فيروسات استراليا اعتد لمدة ١٧ عاماً أن يعتبر هونغ كونج وطنه، وكان في سوق دواجن تشونغ شاون للجمعة مع فرق يفحص الدواجن، بحثاً عن فيروس أنفلونزا الطيور الذي يطلق عليه H5N1 والذي يمكنه الانتشار مباشرة من الدواجن إلى البشر. وقد فتك الميروس في البداية بالآلاف الدواجن في المزارع الواقعة على حدود جنوب الصين قبل أن يتراجع. وفي مايو عام ١٩٩٧ فتك ماوى ضحايا من البشر، وهو صبي في الثالثة من عمره كانت حضنته تحتضن بعض التكاثر والبنت الصغير. ثم واصل الفيروس انتشاره بين البشر وهنا عرف (شورترج) أن التخلص من الطيور صار واجباً. بعد كل تلك الأعوام من مسح الأنفلونزا، لم ير شورترج قط شيئاً كهذا. ليس من المفسرين أن تعرف الدجاجة المريضة، لكن هذه الدجاجة كانت تقف في قصتها الخسيفة، وتبدو طبيعية تماماً. ثم فجأة وبساعة شديدة سقطت على الأرض، ورأى شورترج دجاجة يخرج من منقريها، أي فتحة الشرج، فتساقط، «هل ما تراه هو داء (إيبولا) يصيب الدجاج».

وكان يفحص بالايوبولا التعبير عن هذه الية الدائمة السريعة التي لا تصدق. في هذا السوق كان الدجاج

لا يكاد يمر عام دون ظهور سلالة جديدة من الأنفلونزا في إحدى مناطق العالم بعضها يوقع مئات الضحايا والبعض الآخر يمر بقليل من الأضرار. وخلال الشهور القليلة الماضية ظهر فيروس أنفلونزا الطيور بجنوب شرق آسيا مما أوقع عشرات الضحايا من البشر. وسر خطورة هذا الفيروس هو قدرته على الانتقال مباشرة من الدواجن إلى البشر. إن كثيراً من العلماء يعتقدون أن فيروسات الأنفلونزا جاءت من الطيور لكنهم يقولون إن الفيروس يجب أن ينتقل من الطيور إلى الخنازير كي يسبب أوبئة بشرية حيث تبدأ التغيرات الجينية التي تجعل السلالة تصيب البشر والحيوانات. ويعد فيروس أنفلونزا الطيور الحالي إلى الأمان وباء الأنفلونزا الذي ضرب العالم عام ١٩١٨، وكان الأشد فتكاً (٣٠ مليون قتيل). وقد وجد الباحثون الأمريكيون والبريطانيون أن أنفلونزا ١٩١٨ كانت أقرب إلى أنفلونزا الطيور، مما كان يعتقد من قبل وأشار العلماء في بحث نشرته مجلة «ساينس» العلمية الشهر الماضي إلى أنه ليس معروفاً حتى الآن بشكل دقيق سر شراسة أنفلونزا ١٩١٨، لكنهم أعربوا عن أملهم في أن يساهم هذا البحث في حل ألغاز القاتل، حتى يستطيع العلماء التعامل مع سلالات الأنفلونزا الأخرى القادمة. مجلة «وجهات نظره» تنشر تقريراً يلقي مزيداً من الضوء حول أنفلونزا الطيور وتحديداً فيروس ١٩١٨ القاتل وملابساته.

المصدر

ترجمة: أحمد خالد توفيق
بتريشيا جاتسبي من مجلة ديسكفر الأمريكية



... ومن الدجاج ما قتل!

في الماء أو الفضلات، أو يستنشق فيروساً بشريا من فلاح يسعل، ثم يصير وعاء يحمل فيه الفيروسان. ومن هنا المهاجرة. يمكن أن تبجل المشكلة المدن

كذلك، ففي ديسمبر عام ١٩٩٧ وبينما كانت هونغ كونج تعاني الفيروس HSN٢ كانت (نيويورك) تغلق وتنظف أسواق طيورها مؤقّتاً، بسبب انتشار فيروس H7 طيور آخر هو H7N٢ إن فيروسات H٢ مثلها مثل H٢٢٢ مشهورة تتحول إلى طواعين دجاج مخيفة. إن الموظفين في نيويورك يصرون بسرعة أن H٢٢٢ سبب قتل تهيديا للبشر. لكن نفس الشيء قيل بالطبع عن H5. حتى العام الماضي، حين حدث ما حدث في هونغ كونج

وما أظهره وباء (هونغ كونج) حتى الآن هو أن الفقرة من الطيور إلى البشر مباشرة أمر ممكن، ولربما لم تكن الخنازير مهمة كما كنا نعتقد. من ناحية أخرى، فإن نظرية (الخنازير - الوعاء) مغررة وقد تأيدت بعض ملاحظات في الخنازير الأوروبية، فنتج عن هذا فيروس أصاب طفلين في هولندا، لكن طبقاً لما يقوله (يوشيجيرو كايوكا) عالِمه الفيروسات في جامعة (وسكوسين) في (ماديسون)، لا توجد أدلة مباشرة على أن الخنازير كانت متورطة في انتشار الفيروس عامي ١٩٩٧ و١٩٩٨، لهذا من يعطى ٩٥٠٠، وإلى ٩٠٠٠، ربما كانت فيروسات الطيور مسؤولة عن الوبايين الأخيرين. لكن أقرب شيء لأفلونزا ١٩١٨ الأسبانية هو فيروس يندو كفيروس الخنزير H١N١ الذي ظهر أول مرة عام ١٩١٨، وما زال في الخنازير حتى اليوم، وحسب التاريخ الموثق، فإن البشر مرضوا أولاً، مما يوحي بأن البشر نقلوا الفيروس للخنازير. لا بد أن هذا القتال العالَمي الذي طهر من ثمانية أعام هو الأفلونزا التي تحول فهمي. لأخاف أيضاً هو الأكثر صعوبة في القبض عليه. ففي عام ١٩١٨ ما كان هناك أحد يعرف أن الأفلونزا سيهاجم فيروس، لا بد أن هذا المسبب من البداية. وفي الثلاثينيات حين عرف العلماء أن فيروساً هو المسبب فيه، كان فيروس ١٩١٨ المميت قد رحل، أو حسناً هذا حتى عام ١٩٩٧ حين بدأ الباحثون يعيدون إحياء هذا الشبح الجيني.

لقد سمحت الأفلونزا الآسيوية العالم على مجيء، خلال موجة الربيع كانت معدية جداً، لكن أقل شراسة. وحين بدأت موجة

أفلونزا تشبه تماماً تلك التي تصيب طيور الشاطئ من دون أن تؤذيها، ونسببت أوبئة الأفلونزا كذلك في خساخسة في مزارع الدواجن في الولايات المتحدة. أكثرها يحتشد حول مسار طيور الماء المهاجرة. يمكن أن تبجل المشكلة المدن كذلك، ففي ديسمبر عام ١٩٩٧ وبينما كانت هونغ كونج تعاني الفيروس HSN٢ كانت (نيويورك) تغلق وتنظف أسواق طيورها مؤقّتاً، بسبب انتشار فيروس H7 طيور آخر هو H7N٢ إن فيروسات H٢ مثلها مثل H٢٢٢ مشهورة تتحول إلى طواعين دجاج مخيفة. إن الموظفين في نيويورك يصرون بسرعة أن H٢٢٢ سبب قتل تهيديا للبشر. لكن نفس الشيء قيل بالطبع عن H5. حتى العام الماضي، حين حدث ما حدث في هونغ كونج

ويقول (إدوين د. كيلبورن) عضو لجنة التخطيط للأوبئة بالمعهد القومي الأمريكي للصحة، أننا الآن نشعر بالخطر أكثر مما كنت قبل موضوع هونغ كونج. لقد رأينا ما يستطيع فيروس طيور أن يفعل.. كانت هناك ألة مند وبالي عامي ١٩٥٧ و١٩٦٨ على أن الأفلونزا الأولية تسببها الفيروسات البشرية التي استبدلت بجيناتنا بعضاً من جينات الطيور.. غالباً طيور الماء. لكن احتمالية العدوى من الخنازير بعد أكثر احتمالية فعلية حين لا يحمل البشر مستضلات لفيروسات الطيور على خلاياهم فإن الخنازير تحصلها. وسادت نظرية في أفلونزا الطيور تصوير أكثر كتيافة مع البشر لو مرت بعائل وسيط كالخنزير. والب الخنازير في مزارع اسيا (حيث نشأ وباء ١٩٥٧ و١٩٦٨) تكون غالباً موجودة مع البط والدجاج. ولدى الخنازير مستقبيلات لأفلونزا أكثر كذلك لهذا قد يستنشق الخنزير فيروسات الطيور

فقد حديثاً لديه فيروس الأفلونزا ووجد فيروسات أكثر في الإوز والنوارس وطيور الشاطئ التي تهاجر كل ربيع بين شمال وجنوب أمريكا، ويقول (ويستر)، إنه يمكن أن نجد هذه الفيروسات أينما نظرت إلى طيور الماء المهاجرة.

وبينما يصاب البشر بالعدوى من استنشاق الفيروس، فإن طيور الماء تصاب عن طريق البراز - الفم - إنها تسكب كميات هائلة من الفيروس في برازها، وما يثير العجب أن الفيروس يمر من طير لأخر دون أن يسبب المرض. ويستمر فعلاً، هذه الطيور تحوي خمسة عشر نوعاً من فيروسات الأفلونزا. أ. لكننا لا نعرض..

إن تنوع الفيروسات في هذه الطيور يشير إلى تاريخ مشترك طويل من الارتقاء. بالإضافة لهذا يبدو أن الجينات في فيروسات الطيور تلك متوافقة عن التطور، ومتكيفة تماماً مع عالمها بحيث لا تقدم لها التحولات الجديدة أية مزية، ولهذا لا تتجهها. يواصل (ويستر)،

هذا في حد ذاته يؤكد لي أننا وجدنا المستودع الرئيس للفيروس. إن الفيروسات لا تكسب الكثير من قتل عائلها، وحين يكون لفيروس تاريخ طويل في حيوان ما، فمعنى هذا أنه وصل إلى معاهدة سلام مع الجهاز الهضمي للحيوان، فلا يسبب إلا مرضاً طفيفاً..

تأتي المشكلة حين يصل الفيروس إلى الطيور الحديثة مثل الدجاج والديك الرومي وهي طيور لم يتكيف عليها.. هنا ينتزع المرام التي توقف تطور، وتصيب الفيروسات عائلها الجديد بالمرض فتستجيب الأنظمة المناعية ومن ثم يتحول الفيروس لتقادي النظام المناعي، وما يقتل عائله كذلك.

وقد حدث في التسعينيات، على سبيل المثال، أن ظهر وباء عنيف في الدجاج المكسيكي، وتم تتبعه إلى سلالة

الأطوار: إن حمض RNA الخاص به يأتي في ثمانية أجزاء. فلو هاجم فيروسان مختلفان من النوع A نفس الخلية، فإن بوسعهما خلط القطع الجينية كأية أوراق اللعب على منضدة، إعادة التصنيف هذه قد تخلق أنواعاً فرعية من الفيروس تحتضن فيها مواد وراثية لم يمتدها أي نظام مناعي. مع جينات ترمز لبروتينات من نوعي N و H جديدة تماماً، وربما بروتينات أخرى كذلك.

في نهاية الستينيات بدأ الباحثون في الأفلونزا يفهمون أن إعادة التصنيف reassortment كانت هي سبب التحولات المفاجئة التي تسبب الأوبئة الشاملة، ويبدو أن يستوعبون حقيقة أن الحيوانات هي على الأرجح مصدر الجينات الجديدة الخطرة.

لكن أية حيوانات؟... في المعروف منذ زمن أن الخنازير ليست جيدة تصاب بالأفلونزا. وفي كل خريف منذ عام ١٩١٨ كانت خنازير الولايات المتحدة تصاب بأفلونزا الخنازير المعدية، والتي يسببها الفيروس H١N١ وهو قريب لفيروس ١٩١٨ البشري (الفيروس) تصاب الفيروسات يقوم بتربطها الفيروس حسب جينات مولد التحلل والتورم (إيدز) لكن فيروس عام ١٩١٨ في هونغ كونج كان يحوي مولد تحلل ينتمي لا إلى الخنازير بل الطيور. وعندما احتدم هذا الوباء صار (ويستر) جزءاً من فريق مسح عالمي يبحث عن مستودعات الأفلونزا في العالم. وعن طريق تحليل فيروسات الأفلونزا في الحيوانات، راح الباحثون يأملون في العثور على مصدر الجينات التي اختلطت بأفلونزا الإنسان لتخلق هذه المخلات الجديدة المميتة.

وفي السبعينيات وأوائل الثمانينيات، جمع (ويستر) (ويستر) وزملاؤه هي مستضفى سانت جرواس، أدلة كافية تلقى بالمسؤولية على الطيور، فهي مقبض وجد ويستر فيروسات الأفلونزا في البط العائد من كندا في الخريف، وفي كندا وجد أن ٢٥٪ من البط الذي



الحدود. ولم يجد مسموحاً بمخلط الدجاج مع البط أو الأوز. وفي تطور هائل للعادات الصينية، صارت الطيور المائية تؤخذ لسوق منفصل، وتقتل مقدماً وتباع متبلة. ولكن نفلل فرص انتقال فيروس الحيوانات إلى البشر، من الجوهري أن نعرف أي الفيروسات يحمل المقتصد وأين هي. ولدة عقود ظل العلماء يبحرون السلالات المهمة في تلاحقهم إزجارها كي يتعرفوا فيروس الأنفلونزا في طفل هونغ كونج. لكن الخبرات التي اكتسبناها من هونغ كونج تبين أن مستويات المسح الصحي الحالية ليست جيدة بما يكفي.

على الأرجح سوف يتضح أن المخزن الأمثل لفيروس هونغ كونج موجود في الطيور المائية المهاجرة. يقول (ويستر): «ليس بالبعيد القائل كل البط والطيور المائية هي المثل». هذا خبر معقول. هذا يسمحك لتدرك أن الأنفلونزا عرض غير قابل للاستئصال. وتستطيع مضادات الفيروسات أن تعمل ضد الأنفلونزا لكن أفضل سبل الحماية هي اللقاح. ما زال اللقاح الأفضل هو الذي يشبه الفيروس الأصلي كثيراً لكنه أكثر أماناً. وحتى هذه اللحظة لا يوجد شبيه آمن لفيروس أنفلونزا الطيور.

يسأل (ويستر): هل لدينا لقاح على الرف إذا احتجنا إليه ؟. «ولم لا». لأننا لم نجد فيروساً بديلاً يصنع لقاحاً. وإذا ؟. «لأننا لم نجرب اللقاح اللازم... لابد من البحث في كل جنوب شرق آسيا».

وفي لقاء مع معهد الصحة القومي، ناقش علماء الفيروسات وإدارة الصحة العامة الحاجة إلى إجراء مسح في المستقبل. ويبدو أن تكون اللقاحات جاهزة ضد الأنواع الفرعية الخمسة عشر. حتى لا يأخذنا H5 على حين غرة.

الآن يلتقط الباحثون انفسهم وقد سرهم أن H5N1 قد قتل في مهنه، لكن (ويستر) يشعر بان فقرة أخرى من الطيور للإنسان ستحدث في المستقبل القريب. ويضيف «وباء هونغ كونج كان إنذاراً مما قد يحدث... كان هذا سفاحاً. مثل وباء ١٩١٨. متجهاً إلى طريقه».

فوق طبقة الجليد الدائم. يقول (ويستر): «الأخبار الطبية هي أننا ظفروا بمدة عينات... الأخبار السنية هي أن الأنسجة لم تكن متجمدة، في أفضل الأحوال يجد الباحث نفسه أمام أجزاء صغيرة، إلى حد كبير الجئون. من حمض RNA الوراثي، تحتاج إلى عامين حتى تصل إلى دما وصل إليه لو وجدوا فيروساً حياً في (سبيترجر) لا تحتاجوا إلى أسبوع أو اثنين لمعرفة نتائج الجينوم الوراثي. وخلال أسابيع كان الفريق سيصل إلى معركة جينيات واحد من أكبر المساحين على وجه الأرض، وربما عرف مصدره».



وحيث تمكنت السلطات الزراعية في هونغ كونج عام ١٩٩٧ من استخلاص الفيروس القاتل للدجاج، تبين أنه H5 وتم نقله إلى مختبر موزن في الولايات المتحدة. وحين وجد موظفو الصحة العامة فيروساً غامضاً لدى طفل مريض، أرسلوه إلى الباحثين الهولنديين المهتمين بالفيروسات الغريبة. أمعن التصحاح في فيروس الدجاج ما السبب لمرض البشر، فعملت الحكومة ما كان عليها أن تفعله: أغلقت الأسواق. وقلبت الطيور بالفاز. ليس الدجاج فقط بل البط والأوز والطيور المائية التي ربما نقلت لها العدوى (القرع مولد) تطلعت في فيروس هونغ كونج ثم العثور عليه في أوزة صينية). لقد حدثت تغيرات طفيفة من نظام التجارة العالمي. مثلاً يتم اختيار الدجاج القادم من جنوب الصين مرتين على جانبي

شديدًا وقتل ثمانية عشر شخصاً في هونغ كونج. لكن (تاوونجر) وجد أن فيروس ١٩١٨ افترق لهذا التحول. ليس معنى هذا أن التحولات التي تزيد الشراسة لا توجد في أماكن أخرى وقد حصل (تاوونجر) على مصدر آخر من فيروسات ١٩١٨ ليبحثها. ففي العام ١٩٩٧ سافر (جون هالتين). وهو عالم أمراض متقاعد من سان فرانسيسكو. إلى (بريفيج). وهي قرية في الاسكا قضت عليها الأنفلونزا تقريباً عام ١٩١٨. وبعد أخذ إذن أهالي القرية وبمساعدة رجال الشرطة، فتح قبور ضحايا الأنفلونزا الذين دفنوا في الجليد، أصلاً في أخذ عينات من الترسبات. من بين هؤلاء كانت امرأة شابة بدنية، افرقت على ظهرها وقد تحولت يدها لعظام.. لكن حالة باقى الجثة كانت جيدة لشدة عجبى. جلست على الأرض وقتلت لنفسى: هذا هو المكان الذي سجد الفيروس فيه. ليكشف السر عن وباء ١٩١٨، مارث هذه الثمانية مفتاح (تاوونجر) لتتبع جينات الفيروس. لقد ساعدت طبقة العن في جعلها على حفظ نسج رثتها ٧٩ عاماً.

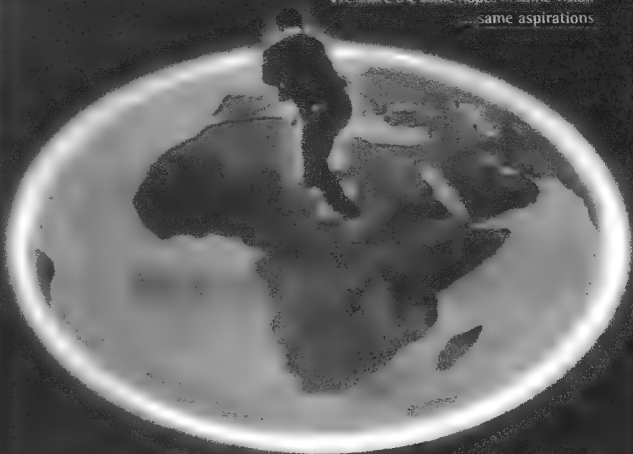
جلب نجاح (تاوونجر) و(هالتين) حماساً لمزيد من الحملات إلى الشمال القطبي في الغمطس. وتحت قيادة (كيرستى دولكان). وهو جغرافي كندي. سافر الفريق إلى (سبيترجر) شمالي النرويج. لاستخراج أجساد ستة عمال متاجم ماتوا عام ١٩١٨. أظهرت دراسات الرادار الاختلافية لبرش أن فيروساً تحت خط الجليد الدائم. ويرغم أن احتمالات العثور على فيروس حى في رفاتهم كانت معدومة، فإن الفريق ارتدى شيايا واقية. حين تم العثور على القبور كانت

الخريف راح الفيروس يقتل الناس خاصة الشباب. في جماعات وكان لدى (جيسرى تاوونجر) باحث الفيروسات (المعهد العسكري لعلم الأمراض بواشنطن) سؤالاً: من أين جاء الفيروس ؟ ولماذا توحش هجأة؟ كان أول ما قام به هو البحث عن عينات من أنسجة ضحايا عام ١٩١٨ ومن بين ٧٠ عينة لم يجد RNA الخاص بالأنفلونزا إلا في حالتين. «العينة الأولى كانت لجند عمره ٢١ سنة من (فورت جاكسون) ومن المدهش أنه توفي يوم ٢٦ سبتمبر عام ١٩١٨. وهو نفس اليوم الذي مات فيه ريميله في (كامب أوبون). (ب. تيويروك) الثاني مات خلال ثلاثة أيام بعد ولادته لريثاء غرققا في السوائل بأمناً».

أظهرت دراسته الأولى التي نصبت على أجزاء من جين مولد التلحط في حمض RNA الذي وجده في الضحية الأولى. والذي بدا تماماً كفيروس الخنزير H1N1. وما زال يبدو كجين شديدي حتى اليوم حتى أنه أمكن معرفة ترتيبه. ويضيف (تاوونجر): «إله الأقرب فيروس تدني فيروسات الطيور. لهذا من المحتمل أنه جاء من طائر.. لكن السؤال هو متى من؟».

ويمكن إيجاد دليل من دراسة أجسام الأنفلونزا المضادة في مراء الناس الذين عاشوا لدى بدء الفجر. ربما كان بعض الناس لديهم أجسام مضادة لفيروس H1N1 جاءت من اختلاف حوالى العام ١٩٠٥. ولربما راح الفيروس يتسلل خلسة لعدة أروام قبل ظهور الوباء الآسيوي. لربما تسلل إلى الناس لكنه لم يستطع الانتقال بسهولة إلى بوسرفة. لقد احتاج إلى حتى يتعلم مهاجمة البشر. يقول (تاوونجر) متأملاً: «ترى هل رأينا شيئاً كهذا في هونغ كونج ؟. لربما كان ما حدث في هونغ كونج مرخاً لغير ما حدث عام ١٩٠٥. إن الأمر يستحق التفكير».

We share the same hopes... same vision
... same aspirations



We choose to
COMMUNICATE
as long as we live



Orascom Telecom owns strong networks regionally providing GSM services along with other communication services. It operates in Egypt, Algeria, Tunisia, Pakistan, Iraq and other African countries including Congo Brazzaville, Democratic Republic of Congo and Zimbabwe.



The Communication Community of the Middle East

www.orascomtelecom.com

غذاء أكثر.. وجوع أكثر

أحمد مستجير

٢٠٢٠

تطلب الأمر عشرة آلاف سنة

ليصل إنتاج العالم من القمح وغيره من الحبوب إلى بليون طن. حدث ذلك عام ١٩٦٠، ثم تطلب الأمر بعد ذلك أربعين سنة لا أكثر ليصل هذا الإنتاج (في عام ٢٠٠٠) إلى بليون طن

٢٠٢٠

عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧، كان تعداد الهند آنذاك ٤٨٠ مليون نسمة. ناشد رئيس الوزراء مواطنيه أن يغلبوا جبهة واحدة في الأسبوع!



عندما وصل بورلوج إلى الهند، فشل في البداية في إقناع المسؤولين باستخدام بذوره. لكنه مكث يحاول ويحاول. وفي عام ١٩٦٥ كان شعب المجاعة قد شدا واضحا حتى تشاؤفي حكومتا الهند وباكستان على استيراده بذور القمح القزمي. رتب بورلوج الأمر لتقلية من ٣٥ شاحنة تنقل البذور المعتارة من المكسيك إلى ميناء لوس أنجيلوس. تعرضت القافلة للكثير من المضايقات على الحدود بين المكسيك والولايات المتحدة، بل وحتى بعد دخولها الهند، وأخبارها أبحرت السميعة. هنا يقول بورلوج: «لقد أتت سريري قريز العين، معتقدا أن المشكلة قد انتهت، لاستيقظ في الصباح على أخبار تقول إن الحرب قد اندلعت بين الهند وباكستان!»

وبالرغم من ذلك، فقد تمكن من زراعة قمحه القزمي في شبه القارة الهندية بمعاونة بعض من العلماء المحليين كانوا قد تدبروا لديه في المكسيك. كانوا يزعمون بذور القمح والمكرو الحماطة تهر على سرسي البصر. زرع المحصول متأخرا، فكان الإنبات فقيرا، وعلى الرغم من هذا فقد زاد المحصول بنسبة ٢٧٪. لجحت النتائج في منع وقوع المجاعة بمنطقة الزراعة. وإن كانت قد أصابت مناطق أخرى. بل بعد حدث أن قامت مظاهرات ضاحكة في

القمح. كانت رغبته هذه مثيرة للجدل. ولا تزال. إذ يرى الكثيرون أن على فلاحي العالم الساعى أن يزعموا محاصيلهم المحلية (القمح مثلا في الهند، والكاسافا في إفريقيا) لا محاصيل الحبوب التي يقضها الغرب. لكن بورلوج كان يرى أن ليس بين هذه المحاصيل المحلية ما قد انتخب للمحصول الغزير. وكان يعتقد أن القمح والذات هو الأفضل لأنه ينمو في كل البيئات تقريباً، ولا يتطلب إلا القليل من المبيدات، ولديه مقاومة ذاتية للحشرات. كانت الهند تحت الاستعمار البريطاني قد غيرت عام ١٩٤٣ أسوأ مجاعة في التاريخ (مجاعة البنغال)، مات فيها من الجوع في ذلك العام أربعة ملايين. كان البعوض الرئيسي في هذه الكثرة هو الانخفاض الجاد في إنتاج الفداء بتلك المنطقة. وإن كان أمارتيا سين (حامل جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٩٨) قد رأى أن نقص الغذاء كان حقاً من بين أسباب المشكلة، لكن، كان هناك سبب أهم، هو أن هبستريا الحرب العالمية الثانية لم تجعل لتوفير الغذاء عند الحكام البريطان أولوية عليا. وعندما تحورت الهند من الاستعمار عام ١٩٤٧ طُدت كبريات مجاعة البنغال تفرقها. وكان من الطبيعي أن يصيح للأن زيادة أهمية القصوى عند الباسة الحاكمين. طُدت الحكومة إذن تركّز على زيادة رة الأرض المزروعة، لكن السكان كانوا يترددون بمعدل يقو معدّل زيادة المساحة الصالحة من الأراضي. وعلى عام ١٩٦٦ كانت الهند على شفا أزمة غذائية رهيبية. استوردت الدولة ٢٥ ٤ مليون طن من الحبوب فيما بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٩، ثم ١٩ مليون طن في

البديلة

في عام ١٩٤٣ أقامت مؤسسة روكفيلر مركزاً علمياً تطبيقياً بالمشك لتربية النيات. مهمته مساعدة فقراء الملاحين هناك. وتولى أمره نورمان بورلوج. بدأت بهذا المركز ثورة القمح، الهائلة، في أواخر الخمسينيات. إذ تمكن هذا الرائد من استنباط القمح القزمي، الشبوي، كانت أقامها جديدة عريضة التكيف مقاومة للأمراض متميزة في تحويل السماد والماء إلى حبوب شميعة. كانت قصيرة الساق، والفلاح، فرضاً، يحب القمح طويل الساق ذا المظهر المهيب القصير قد أثير للإعجاب. لكن القمح القصير قد انت دائما أكثر فائدة. فمثل هذا النيات يبتل طاقاً أقل في تسمية سافله القصيرة، ثم إن هذه الساق القصيرة تستطيع بسهولة أن تحمّل السنايل وما بها من حبوب. في الوقت الذي تنحس فيه الساق الطويلة عند التضج وتكبب المشاكل. كانت النتائج مذهلة حقاً. حتى لقد وصلت المكسيك. وكانت تستورد القمح، إلى الاكتفاء الذاتي عام ١٩٥٦، وعلى عام ١٩٦٤ كانت تصدر نصف مليون طن من القمح!

إلى الهند وباكستان

في عام ١٩٦٣ أقامت مؤسسة فورد والحكومة المكسيكية المركز الدولي لتحسين البذر والقمح (السيميت CIMMYT) كاتاماندو للمشروع الأصلي، ثم رأى بورلوج أن يتحول إلى الهند وباكستان لتجريب سلالاته الجديدة من

من يملك خبرة بوجه الكثير من المشاكل أما من لا يملكه، فلن تكون أمامه سوى مشكلة واحدة! مثل يزنطى

نشأت الزراعة. أول أعداء للإنسان على الطبيعة، منذ نحو عشرة آلاف عام. ومنذ ذلك الحين والإنسان يحاول دائماً تحسين محاصيله، باستخابه ما يلائم من نباتات، من البيرة أولاً ثم بعد ذلك من حقله التي زرعه. كان يتسحب النباتات سريعة النمو متميزة الإنتاج المقاومة للآفات والأمراض وللطروف الجوية. أصبحت عشائر النباتات التي انتخبها قدامى الملاحين في محاصيل اليوم التي تعدينا جميعا الحاصل التي يعمل عليها مربو النبات من علمائنا. كان القمح هو أول نبات اهتم به الفلاح القديم، وعليه نشأت الحضارة قبل ظهور العلم والعلماء، والهندسة الوراثية في عبور ما حينيات يتحلى الحواجز بين الأنواع. أجرت الطبيعة تهجيناً بين ثلاثة أنواع مختلفة من النجيليات، كل يحمل جينوما من سبعة كروموسومات. ليظهر قمحنا بحجوم من ٢١ كروموسوماً. ولقد تطلب الأمر عشرة آلاف سنة ليصل إنتاج العالم من القمح وغيره من الحبوب إلى بليون طن حدث ذلك عام ١٩٦٠. ثم تطلب الأمر بعد ذلك أربعين سنة لا أكثر ليصل هذا الإنتاج (في عام ٢٠٠٠) إلى بليون طن. كانت في الثورة الخضراء

من يملك ثمن الخبز؟



أُتِسَّتْ الجوع

إلى بلادهم التي لم تكن تستقبل منهم الكثير. عندئذ اكتشفوا أن تحسين الأوضاع في أفريقيا ليس بالفكرة السيئة على أية حال.

نجحت الثورة الخضراء بلا جدال في زيادة الإنتاج الزراعي. ارتفاع الغذاء الكلي متاح للفرد في العالم في الفترة ما بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٩٠. المقدس اللذين أجزن شيما الثورة الخضراء أكبر نجاحاتها. بمقدار ٢١١، وانخفض العدد المقدر من الجوعى نسبة ١٦٪ من ٩٤٢ مليون جائع إلى ٧٨٦ مليون. هذا ما نقوله الأرقام.

في كل دقيقة يموت من الجوع في العالم الثالث ٣٠ شخصاً. الجوع يحصد أرواح ١٨ مليون إنسان في العام. الأطفال يتكونون أكثر من النصف، ونسبة الإنث منهم تفوق نسبة الذكور (أنث الجوع). إن توحيد الملايين الـ ٧٨٦ من الجوعى؟ نهبتهم وسائل الإعلام الغربية منذ بداية الثمانينيات إلى الجماعات في أفريقيا. لكن عدد الجوعى بأفريقيا لا يتجاوز ربع هذا الرقم. قيل لنا إن الهند وإندونيسيا قد بلغتا مرحلة الاكتفاء الذاتي من الحبوب بل وتصدران. لكن، في آسيا هذه، وبالتحديد، حيث أجزت الثورة الخضراء أزمى نجاحاتها، يوجد ثلثا الجوعى. إن مخازن القمح بالهند مليئة بالحبوب بسبب نجاح الثورة الخضراء في زيادة غلة القمح والأرز. ورغم ذلك، يموت هناك في كل يوم خمسة آلاف طفل من الجوع وسوء التغذية. فمما كان المقراء لا يستطيعون

استنزاف المواد الغذائية من التربة، مما يتطلب ضرورة تزويدها بالأسمدة الكيماوية. فالأسمدة العضوية تحتاج إلى تربية حيوانات أكثر تستهلك الحبوب. وكان من رأيه أن محاصيل الحبوب غزيرة الإنتاج، والأسمدة غير العضوية، ونظام الري الحكم هي أمور قد غدت واجبة مع الأصحاح السكاني الذي بدأ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. وكان هناك من المعارضين من القترح، للعجب، أنه من الخطأ أن نرفع إنتاج الغذاء في العالم النامي، فالأطفال أن تترك الطبيعة تؤدي دورها القبيح في الحد من تزايد السكان.

سوى أن الإحصائيات تقترح أن المحاصيل عالمية الإنتاج تكبح النمو السكاني، لا تسرع، فمما يقول أحد النقاد، إن التنمية هي أفضل وسائل منع الحمل. الأطفال في زراعة الكفاف أبداً عاملة تستحسن زيارتها قليلاً ما توفر الغذاء فيسرحس الأيأ على إنجاب عدد أقل حتى يمكن تعليمهم. ثم حدث، للعجب أيضاً، أن بدأت الحركة البيئية تتحول عن موقفها الرافض لاستخدام الأسمدة الكيماوية في الزراعة؛ وإذا بيوتر بليك ورئيس لجنة الزراعة لاستدامة المعارضة يقول فجأة إنه قد اتضح له أن هذا الموقف الرافض ليس أمراً واقعياً، وأن دورهم كان على كل طول الوقت، أما السبب في هذا التحول، في رأي نورمان بورلوج، فهو أن أحزاب الخضر في أوروبا قد أزعجتنا تلك الموجة المفاجئة من المهاجرين لتدقق

الحصول. بدأ المناوون يسرون إلى مؤسستي فورد وروكفلر وإلى الحكومات الغربية سأن تقنيات الإنتاج الوفير مستخدم العالم الثالث

إذا لم يحسن الاستخدام المكثف للمخصبات والمياه، فسندت آثار سلبية خطيرة على الأنهار والشرح، كما قد استندت موارد المياه الحوفية. ويسجل تصحيح التربة يمكن على أية حال بالإدارة الرشيدة تقليل هذه الآثار، كما أن زيادة غلة الغذاء إنما تعني اختصار الأرض المخصصة للزراعة والإبقاء على مساحات أكبر من الغابات دون أن توجب الإفصاح للجمال للمحاصيل، فلما أراد يورلوج أن يتوجه إلى أفريقيا، بعد آسيا

قررت بعض المنظمات، الحصر، أن توفضه أصيب جميعه الخضر، بالمجنون، ليضبط على الدول المخافة والمجانين الكبرى حتى لا تدعم أفكاراً مثل المخصبات غير العضوية في أفريقيا. لجأوا إلى أرقام عن ثلوث المياه بالأسمدة ماخوذة من الولايات المتحدة وطبقوها على أفريقيا. وهذا في الحق تطبيع خاطئ شاماً لأن استخدام هذه الأسمدة الكيماوية في أفريقيا قليل للغاية، حتى يمكن استدامتها عقوداً طويلة قبل أن تستبهي الآثار الجانية التي ظهرت في أمريكا. وفي النهاية قررت مؤسسة فورد والبنك الدولي الانسحاب من معظم المشاريع الزراعية بأفريقيا. وانسحبت أيضاً مؤسسة روكفلر. قال بورلوج: «إن غوف البنك الدولي من الصفوط السياسية للخضر هي واشتعلوا. قد أصبح هو العقبة الوحيدة الكبرى في تنمية أفريقيا». ثم تمكنت أحزاب الخضر في أوروبا من إقناع معظم حكوماتها بأن توفض تويرر الأسمدة لأفريقيا. كان بورلوج، في دولة النرويج، غصب بورلوج، إن بعض المناوون في دول العرب هم ملح الأرض، لكن، الكثيرين منهم يؤمنون بحكم النخبة. هم لم يجربوا يوماً الإحساس بالهوع. يناوون من مكائهم المخيمة في واشنطن وبروكسل. لو أنهم عاشوا في العالم الثالث شهر واحد، ولقد عشت أنا هناك خمسين عاماً، إن لم تطالبوا بإجارات والأسمدة وقنوات الري، ولغضبوا إذا برهن مثل هذه النخبة في بلادهم بتركوتها عليهم.

كان الفصح الهادي طوره لا يمتطي إنتاجه العزيز إلا مع التسميد الكثيف والري الغزير، الأمر الذي يعنى

شراء ما ينتج. فقد صرعت الحكومة تحزن ملايين الأطنان من الحبوب، ليفسد البعض منها، ويتزايد القلق من أن تصل الحبوب الماسدة إلى السوق، رفعت الثورة الخضراء إنتاج الحبوب، نعم، لكنها لم تقلل الجوع. وما لنا نذهب بعيداً، نقول الجملة الأخيرة من المقرة الأولى بهذا المقال إن إنتاج الحبوب في العالم عام ٢٠٠٠ قد وصل إلى بليونى طن. فإذا كان تعداد البشرية ملايين، فيكون نصيب الفرد، طفلان أو بالغاً، هو ثلث طن في المتوسط، أى نحو كيلوجرام يومياً. العالم بأساه ينتج ما يكفى كل سكانه من الطعام؛ المشكلة هي التوزيع!

إذا نظرنا إلى الأرقام لنظرة أكثر عمقاً، وأخرجنا الصين من المعادلة، فسنتكشف أن عدد الجوعى في بقية العالم قد ازداد بنسبة أكثر من ١١٪، من ٥٦٦ مليوناً إلى ٥٧٢ مليوناً. في أمريكا الجنوبية مثلاً ارتفع متوسط الزاد الغذائى بنسبة ٨٨، وازداد عدد الجوعى بنسبة ٢١٪. وفي جنوب آسيا ازداد الغذاء المتاح بنسبة ٢٨٪ على عام ١٩٩٠، لكن عدد الجوعى ازداد ٨٠٪. ولا يمكن زيادة السكان في السبب هي زيادة عدد الجوعى، فلفق ارتفع الفقر الكلى منذ من الغذاء للفرد هناك. لكن الفقراء لم يتمكنوا من الحصول عليه. لم تجد الحبوب طريقها إلى بطون الجوعى. وجد البنك الدولي في دراسة له عن الجوع نُشرت عام ١٩٨٦ أن الزيادة السريعة في إنتاج الغذاء، لا تعنى بالضرورة تقليل الجوعى، الجوعى الحالى لا يمكن تخفيفه إلا بإعادة توزيع القوة الشرائية والموارد. نحو أن يعاين من سوء التغذية، ببساطة، إذا كان الفقراء لا يمتلكون المال لشراء الطعام، فإن زيادة الإنتاج لن تفيدهم.



أما في الصين، فقد انخفض عدد الجوعى في هذه الفترة (١٩٧٠ - ١٩٩٠) من ٤٠٠ ملايين إلى ١٨٨ مليوناً، الأمر الذى يجعلنا نتساءل، أكان السبب هو الثورة الخضراء أم الثورة الصينية؟ إن نجاح الثورة الهندي كان غيرهما من استراتيجيات زيادة إنتاج الغذاء، في تخفيض عدد الجوعى، إنما يتوقف على

في كل دقيقة يموت من الجوع في العالم الثالث ٣٠ شخصاً. الجوع يحصد أرواح ١٨ مليون إنسان في العام. الأطفال يشكلون منهم أكثر من النصف، ونسبة الإنث منهم تفوق نسبة الذكور



كتاب الزراوية



مذكرات الأميرة جويدان

٣. الخديوى واللورد كرومر

جلس الخديوى عباس حلمى على العرش وهو فى الثامنة عشرة من عمره، ولم تكن الظروف حسنة، فقد خلف أبوه توفيق باشا، وكان حاكماً ضعيفاً.

ولما تولى العرش لم يجد فى بداية حكمه تضيقاً كافياً، فإن اللورد كرومر لم يكلف نفسه عناء الاتصال بالخديوى الصغير، فكان اللورد كرومر لا ينظر إلى الخديوى إلا كرئيس عنيد الرأى، وريب له غير محبوب منه، لأنه كان مضطراً لمخاطبته بلقب «يا صاحب السمو» وهو يعلم أن الخديوى ليس له من الأمر إلا هذا اللقب، على حين أنه كان يشعر بأنه هو الحاكم الحقيقى وكان هذا كافياً لأن ينظر اللورد إلى الخديوى كدمية يجب عليها الطاعة، ولكن الطاعة كانت غريبة على خلق الخديوى منذ الصغر، وكان قوى العزم عنيد الرأى، وهو ذلك كان محباً للكفاح.

وليس من المعقول أن خديوياً، ولو كان نصف وطنى فقط، يتقبل صداقة ديكتاتور أرغم على قبوله من قوة معادية، فكان أصعب وقت مر على الخديوى هو الوقت الذى امتد فيه ظل كرومر فى مصر، فإنه كان يعامل الخديوى باعتبار أنه فى الثامنة عشرة غير عاين بحدته ولا احتجاجة، ولما حضر المير الدون غورست تنفس الخديوى، ولو أن غورست كان فى مصر عندما جلس عباس الثانى على العرش لكان ذلك أصح لتطور أخلاق الخديوى، فإنه اتهم اللورد كرومر بأنه السبب فى بعض خيب الخديوى.

القوانين الاقتصادية والسياسية والثقافية التى يصنعها الشعب، فهى التى تحدد من يستفيد من زيادة الإنتاج، من سيحصل على الغذاء، وبأى سعر.

الفقر يدفع أكثر ويحصل على أقل. فقراء الفلاحين لا يستطيعون شراء الأسمدة وغيرها من مستلزمات الإنتاج بسعر الجملة كما يفعل كبار المزارعين، فقراء الفلاحين لا يستطيعون أن يبيعوا محاصيلهم بأفضل سعر متلما يستطيع كبار المزارعين، صفار المزارعين لا يستطيعون توفير المياه اللازمة لرى سلاطهم الممتدة إلا بأعلى التكاليف، هم يلجئون إلى الاقتراض محلياً ويديفون من فوائد القروض أضعاف ما يدفعه المزارع الثرى، القروض التى توفرها الحكومة مدممة نفيد كبار أكثر مما تفيد الصغار، الفقراء يدفعونهم السلطة، والحكومة تفضل الثرى، لا يجب أن يضطر الكثيرون من فقراء الفلاحين فى الهند إلى بيع أراضيهم، ولا يجب أن يقدم الكثيرون منهم على الانتحار.

شوة خضراء جديدة؟

بحلول القرن الواحد والعشرين يواجه العالم احتمال ظهور أزمة فى الغذاء جديدة طاحنة ومعقدة، تتطلب وسائل لتوفير الغذاء الجماعى أفضل من وسائل الشوة الخضراء، سيحصل تعداد العالم عام ٢٠٢٥ إلى ٨.٣ بليون فرد، ويترجم أن يزداد الإنتاج بأكثر من ٥٠٪ لإطعام الأفواه الجديدة، الأمر يحتاج بلاشك إلى قوة، مستديمة الخضرة، تحتاج المزيد من العلم الجاد لمواجهة تنويعاً أعرض من المشاكل، لابد من اللجوء إلى البيوتكنولوجيا الجديدة

والهندسة الوراثية، جنباً إلى جنب مع طرق تربية البسات التقليدية. يمكن بالبيوتكنولوجيا اختصار الزمن وتقليل النضبات اللازمة لاستنباط سلالات نباتية جديدة عالية الإنتاج، نباتات تقاوم سمية التربة والأمات والجفاف والموت، نباتات عالية المحتوى الغذائى، ثم لابد أيضاً أن يستغل النظام الهائل لشبكات الاتصال، الذى تم فى الستينيات الأخيرة، لتخزين نظام زراعى عالمى متكامل، تنتقل فيه بسهولة ونسر المعلومات عن السلالات المحلية وانتقائات الزراعية المختبرة محلياً فى مناطقها غير الأجيال، لتجد طريقها إلى العلماء فى كل مكان لتضمنوها أعمالهم. وفى عصر الوقت، علينا أن ندرس غول الزيادة السكانية، وأن نطوّر الإنتاج الزراعى راسخاً، ولا فيشهد القرن الواحد والعشرون مسألة لم يمس لها مثيل، كما قال بولوج بحفل تسلمه جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٧٠.

لكن هذا موضوع طويل يحتاج مقالاً آخر. ■

القوانين الاقتصادية والسياسية والثقافية التى يصنعها الشعب، فهى التى تحدد من يستفيد من زيادة الإنتاج، من سيحصل على الغذاء، وبأى سعر. الفقر يدفع أكثر ويحصل على أقل. فقراء الفلاحين لا يستطيعون شراء الأسمدة وغيرها من مستلزمات الإنتاج بسعر الجملة كما يفعل كبار المزارعين، فقراء الفلاحين لا يستطيعون أن يبيعوا محاصيلهم بأفضل سعر متلما يستطيع كبار المزارعين، صفار المزارعين لا يستطيعون توفير المياه اللازمة لرى سلاطهم الممتدة إلا بأعلى التكاليف، هم يلجئون إلى الاقتراض محلياً ويديفون من فوائد القروض أضعاف ما يدفعه المزارع الثرى، القروض التى توفرها الحكومة مدممة نفيد كبار أكثر مما تفيد الصغار، الفقراء يدفعونهم السلطة، والحكومة تفضل الثرى، لا يجب أن يضطر الكثيرون من فقراء الفلاحين فى الهند إلى بيع أراضيهم، ولا يجب أن يقدم الكثيرون منهم على الانتحار.

إن إدخال التكنولوجيا الزراعية الحديثة إلى نظام اجتماعى مكرس لصالح الأغنياء ضد الفقراء، دون معالجة اجتماعية، سيقود مع الوقت إلى زيادة تركيز ثمار الشوة الخضراء فى أيدي الأغنياء، وستكون النتيجة التراجيدية فضاء أكثر وجوعاً أكثر.

يقول جبال الشوة الخضراء إن مهمتهم ومهمة بطونهم المعززة فى رفع إنتاج المبوب، فهذا هو المفتاح الأسمى لتحقيقه على الجوع فى العالم. المحصول الأعلى، يقولون، يعنى دخلاً أعلى للفقراء من الفلاحين، ويساعد على خروجهم من دائرة الفقر، الطعام الأكثر يعنى جوعاً أقل، ومعالجة الأسباب الجذرية للفقر السبب للجوع سيستقر وقتاً طويلاً، والناس الآن جوعى يموتون من الجوع، علينا إذن أن نعمل ما نستطيع، أن نرفع إنتاج الغذاء، أن نشترى الوقت الذى يحتاجه العالم الثالث لمعالجة الأسباب الاجتماعية الحقيقية للفقر، ولخفض معدلات الولادة، ولا يمكن لعمالء الشوة الخضراء ومستشارى سياساتها أن يطلبوا من أية دولة فقيرة أن تضحى بنظامها السياسى والاقتصادى، إن كل ما يستطيعونه هو أن يسموا بخبرتهم فى إنتاج الطعام، هذه مهمتهم، لم يكن

■ قال الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه: «هذا حق يراد به مائل، ومن الممكن القول هنا بأن هذا مائل يراد به حق».

في مقال في الميوزيول تأييز يناقش ستيفن هال Stephen S Hall كتابا لذلك ترسي Dick Teresi بعنوان: اكتشافات مفقودة Lost Discoveries، عن الأصول غير العربية للعلم. يقول كاتب المقال أن ترسي ذهب إلى يورتلاند (أوريغون) بتكليف من مجلة لمخص مقرر مدرسي عن الأصول «متعددة الثقافات» للعلم. كان المقرر يحتوى على مواضيع تتحدث

ولكن ترسي، فيما يرى كاتب هذه السطور، قد ارتكب نفس أخطاء المقرر المدرسي في محاولة إثبات قضيتته، فاستعمل أدلة باطلية في استنتاج الحقيقة كما سنحاول أن نوضح بعد أن نتمق على التفرقة بين «المعرفة» و«العلم» و«التكنولوجيا».

يتفق أغلب المهتمين بشئون مجتمعاتهم أن أهم وسائل القوة والصحة هي عصرنا الحالي هي «المعرفة». وقد أصبحت المعرفة الآن تتضاعف كل بضعة شهور، ويرجع الفضل الأول في هذا النمو السريع إلى إحدى وسائل المعرفة وهو

المختصون، وليس في المحلات التي انتشرت في جامعاتنا ومعاهدنا التي لا تقرا والتي لا يتقبل النشر فيها إلا دفع بعض الرسوم المالية.

ويزيد من احترام العلم قائلته القياس والتجريد الرياضي السليم، ويتطلب العلم الصحيح القابلية للتطوير والتطبيق، إن قوانين كبلر Kepler (١٥٧١ - ١٦٣٠) عن مسارات الكواكب تستعمل الآن لحركات الفضاء الخارجي، وقوانين ماكسويل Maxwell (١٨٣١ - ١٨٧٩) الأربعة عن الموجات مازالت هي المصدر لتعدد من التطبيقات في

بين المعرفة والعلم والتكنولوجيا الحديث

في استعمال القدماء المصريين لطائرات شراعية معقدة التركيب، وعن مقدراتهم الفائقة على تحريك الأشياء عن بعد Telekinesis أو Psychokinesis، وعن استعمال قبائل الإنكا في أمريكا الجنوبية لبايولوات مائية بالهواء الساخن للطيران فوق سهولهم ووديانهم دفعت هذه البراءة ترسي إلى تحرير كتابه السابق الذكر، ويقول ترسي في كتابه «من العجيب أن هذه الحشرات التي شكلت (كما يزعمون) الطائرات والبالونات قد استعملت السيف والرمح في حروبها».

«العلم.. ولستأ نزمع هنا أن «العلم، هو الوسيلة الوحيدة للمعرفة، فلن يستطيع أحد أن يحده علمياً، أسباب روعة السيمونية التاسعة لبيتون، أو جمال شمائل، القليلة، لبرون، أو تفوق رواية أولاد حارتنا، لنجيب محفوظ، ولكن وكما أوضحنا، فإن العلم أصبح يمثل الجبهة النامية سريعاً للمعرفة ويدونه تصبح المجتمعات مهددة بالاسقم والضعف والانهيار وجدانياتها ومقدساتها.

وإذا كنا نعرف ما هو «العلم، دون أن يكون لدينا تعريف مائع، فإنه كذلك ليس لدينا تعريف مائع جامع للعلم، ويصاعب من صعوبة هذا التعريف في مجتمعاتنا العربية أن كلمة «علم، تستعمل عادة بمعنى، معرفة، فاسم الفضل منها Scientist (وقد كان صكه

تخليصه من بعض ما الصق به من شوائب، ومنها مثلاً أنواع العلم الزائف Pseudoscience، الذي يصل إلى حد الدجل والنصب أحياناً، ويشكل عام فإنه من أخطر العلوم؛

العلم الخاص للتكذيب Flusification واجتياز اختبار التكذيب، وهي القولة التي تذكرنا بها دائماً المفكورة بمعنى طريف الخولي أحياناً عن كارل بوبر، وكمثال، فإن أغلب المكتشفات العلمية مثل اكتشاف علاقة سرطان الرئة بالتدخين، تتم بالفشل إحصائياً في إثبات أن ما نراه هو مجرد صدفة، أي الفضل في التكذيب.

النشر العلمي، فالعلم مثل الزواج لا يصبح ضرباً إلا بعد العذبة. والنشر المطلوب هو في المجالات العلمية العالية المعترف بها والتي يفحصها ويحكم فيها

مبايدين التليفزيون والميز والضمه وغيرها.

ولكن، لعل أهم ما يواجها في كتاب ترسي، وفي تعاملنا مع العلم في مجتمعاتنا العربية هو الخلط بين العلم والتكنولوجيا.

لو اعتبرنا أن العلم هو مجرد ابتكار طرق جديدة للتعامل مع الطبيعة (كالتزراعة وتدجين الحيوانات والطيور النائر)، فإن العلم وتاريخه سوف يكون خط سيرهما متصلاً عما نظن أنه «العلم» الطريق الأجدى لتنهض ظاهرة «العلم، فإنه من الأجدى والأفضل أن نعتبر أن أهم خواص العلم هي استخراج قواعد معينة قابلة للتعميم في أي مكان وزمان، لقد ندى المصريون الأهرامات بتكنولوجيا رابعة دون استخدام قوانين الزوايا، وقام الصينيون بصناعة الصرعات دون دراسة الكيمياء وقوانين الغازات، وقام مجهولون باختراع المجلة دون دراسة الاحتكاك والجاذبية، ومائلنا لذهب بعيداً، إن العديد من الكائنات الحية تستعمل التكنولوجيا، في حياتها، ولعل أوضحها استعمال الشبائيزي لفرع الشجر في القتال وفي استخراج الحشرات من جحورها، دون معرفتها بالعلم، ولا ينبغي أن نبالغ في التمييز بين العلم والتكنولوجيا من أهمية الأخيرة، فقد عاش الجنس البشري (Homo Sapiens) وأجداده (Homo Erectus، Homo Habilis) ملايين السنين بالتكنولوجيا وبدون العلم، لقد أنتجت التكنولوجيا في غياب العلم وقبله الزراعة، وصناعة المعادن والزجاج، وبناء المعابد والأضرعات، وصناعات البارود والطباعة، ومنذ خمسة آلاف عام بدأت صناعة المعادن ولتكن

العلم أصبح يمثل الجبهة النامية سريعاً للمعرفة ويدونه تصبح المجتمعات مهددة بالاسقم والضعف وانهيار وجدانياتها ومقدساتها

ولكن ترسي، كاتب العلم الجاد كما يقول ستيفن هال، لم يوجه كتابه فقط نحو نقد هذه الخزعبلات، فقد اكتشف، على حد قوله في دراسته لتاريخ العلم، أصولاً مهمة حقيقية للعلم الغربي في بلاد العرب والهند والصين، ويقول ستيفن هال، كاتب المقال (إنها لأشك جرأة من الناشر طبع هذا الكتاب بعد أحداث ١١ سبتمبر، فهو يؤكد تفوق الكفاء العربي والعلم الإسلامي في القرون القديمة والوسطى،

(Lost Discoveries), The Non-Western Roots of Science، اكتشافات مفقودة الأصول غير الغربية للعلم Dick Teresi Simon& Schussee 2002

الإنسانية والحلقة السام بين التكنولوجيا والعلم يؤدى الى انتشار النشاط الحسى المحرد هذا ثم ذلك هابا تحطم حدود المعرفة لتعلمه لكم رأينا فى المؤتمرات العلمية قادة لم يقولون ،التكنولوجيا على العبيد والراس ،أما العلم فهو ليس من 'صولت وتقابلينا ، وهو موقف خطر يتهددنا متحلب جسم

واقع الخلط بين العلم والتكنولوجيا ديك ترسى ومعه سنيون هال فى الخطاء جسمية فى تاريخ العلم ،ففى رأيهم أن الباطنيين قد اكتشفوا نظرية فيثاغورس

تمكن عالم الكيمياء الالماني لايبج Julius Von Liebig من صناعة الصغاف الصناعية والمتفحرات والالباف الصناعية وهكذا تم التزاوج ، فلا يوجد مصنع يحترم نفسه لا يحتوى على مركز Research and Development (R&D)

ولكن لا ينبغي لهذا التزاوج أن يممينا عن أهمية التمييز بين العلم والتكنولوجيا ، فإذا كانت التكنولوجيا حاليا هى إحدى ثمار العلم ، فإن العلم ثماراً أخرى لا يمكن تجاهلها مثل علوم الرياضاسة والعلوم

Bacon أهمية العلم فى التعامل مع الطبيعة ولكن هذا التزاوج بين العلم والتكنولوجيا كما اقترحه يكون ثم يتم على الوجه الأمثل ، فلقد ضاع الصناع وعلى مدى قرون من الزمان يسمون ويصنعون الآلات وينسجون الأقمشة بدون أى لحوه لبادئ العلم ، وظل العلماء فى الجانب الآخر يقومون بأبحاثهم دون أى اعتبار لآى تطبيقات عملية لها ولكن فى عام ١٦٦٠ تم التزاوج بإبداء 'الجمعه المكيبة ، هى المجالس التى بدأت بتحسين طرق الملاحة ، ونشأت فى بلدان أخرى فى أوروبا حينما مماثلة ، هنى ألمانيا مثلاً

عمال حضارة بين التهورى من صناعة النحاس والبرونز ، وتوجد آثار بحوار بغداد من عام ١٦٠٠م تدل على تمدد فى صناعة الزجاج ، وكانت هذه الصاعات تستجدي تدخل ومساعدات قوى ما فوق الطبيعة لصمان جودة المنتج ، فتكتب لها التمانم وتثلى عليها التعاويد ، وهو موقف عرّف عنه العلم تماماً ،

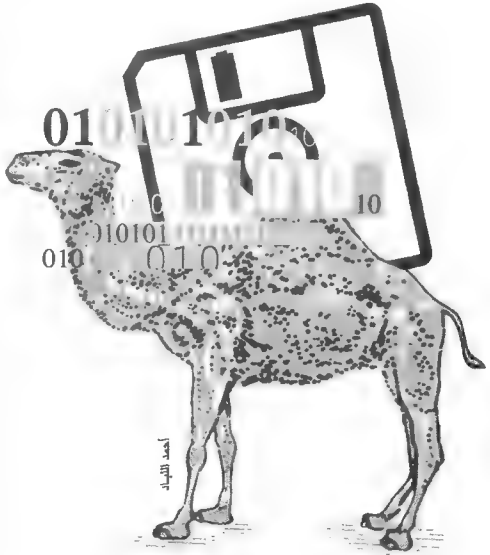
ولكى المسافة بين التكنولوجيا والمعرفة العلمية فى العرب بدأت تصيق فى عصر النهضة ، وخلال القرن السابع عشر أدرك فرنسيس بيكون Sir Francis

الأصول في الفكر الغربي للعلم

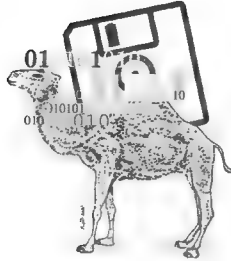
قبله بألف وخمسمائة عام ، وأن 'النهود قاربو من اكتشاف التفاصيل والتكامل قبل أوروبا بألف عام ، وأن ابن الشاهر قد وصف مسارات الكواكب قبل كوبرنيكس بمائة وخمسين عاماً ، وأن الصينيين صنعوا خرائط جيدة قبل ميركاشور Mercator ، وأبعد قد اقترروا من قوايين نيوتن للحركة فى القرن الثالث قبل الميلاد ،

ويواصل ديك ترسى سرده للحليط ، وصفه هو نفسه بأنه ، شعث Unkempt ، من تاريخ مزعوم للعلم ، فيتحدث عن صناعة الارتيك للمطاط المقصى بالكبريت Vulcanized rubber قبل شركة جوديرير Goodyear مقرون عديدة ، وكيف تمكن الصينيون من صناعة الصلب التى ابتكرها بيسمر Sir Henry Bessemer وكيف أن الاختراعات الثلاثة التى غيرت شكل الحضارة ، وهى البوصلة ، والبازورد ، والطبيعة ، قد وجدت فى الصين قبل أن يشمر بها الغرب بمئات السنين وتحدث فى الصليبيين فقال ، إنهم واجهوا أسلحة عربية مسلحة مصنوعة من صلب استجلب من مناجم أفريقيا وقسى فى جنوب الهند وطرق فى هارس وشرق الأوسط ، وتطورت الأمور بترسى حتى زعم أنه وجد مشاهبات فى الثقافة البودية للجربيات الميزانية الحديثة الاكتشاف ، كذلك أشارت إلى أن الثقافات القديمة كانت تبحث على إحساس أحياناً متحدتها عن نظرية الكم ،

وتحتوى خزانة ترسى ، كما يصمم ستيفن هال ، على العديد من الأشياء المثرة للمعجب مثل اكتشاف الجيولوجى تشانج هنج Chang Hung الذى اخترع فى عام ١٣٢



أحمد التليد



ميلادية جهر سيزموجراف يكتشف الزلازل ويحدد مصدرها، ثم يتحدث عن الحوارزمي وبيت الحكمة في القرن التاسع في بغداد والمهندس الذي بنى المأمون ويصف قطره ٢٠ قدماً، وهو ما يريد كثيرا عن مرصد ليكو براهما Tycho Brahe الذي صنع بعد سبعة قرون، ولا ينسى ترسي الحديث عن مراحيض مريحة التصميم في الهند بل ويذكر بأن المصريين قد صنعوا علأجلاً لقشرة الشعر من دهى فرس النهر! بهذه الأمثلة وبغيرها من الماثبات لها، حاول ترسي، مؤلف الكتاب ويده في أغلها ستعزم هال كاتب المقال، أن يشهد الأسس غير الغربية للعلم، ونحن نشعر أنه ارتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه أصحاب المقرر المدرسي في بورتلاند وإن كان بدرجة أقل.

وتبين الخطأ الأساسي فيما كتبه ترسي في أنه خلط بين المعرفة والعلم والتكنولوجيا في مزيج وصفه هو نفسه بأنه، شعيت كما ذكرنا من قبل واصطنع بذلك تاريخاً غير صحيح للعلم، وهكذا حاول أن ينسب الحق لاستعمال الباطل

ويرى العديد من فلاسفة العلم ومؤرخيه أولاً أن العلم مشروع إنساني خاص، له شتاتة الخاصة وتياره الرئيسي الخاص، وأن ساهمت فيه بعض الأديانات العربية في أنحاء أخرى من العالم.

ثانياً: إن هذه النشأة في مكتبة الإسكندرية التي كانت أول مركز للبحث العلمي في العالم وأنه انتقل بعد ذلك إلى الإمبراطورية الإسلامية ثم إلى العرب (إندونيسيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا)، ثم إلى جميع أنحاء العالم ومنسوخ بعض تفاصيل ذلك فيما بعد.

أما ما يقال كثيراً عن فيثاغورس وأرسطو، فإن الأول اقتبس نظريته المشهورة (مربع وتر المثلث قائم الزاوية) من إقليدس (مربع الضلعين) من إقليدس، فعلى أنها الحبل الذي استعمله قدماء المصريين في رسم الزاوية القائمة، والذي ينقسم إلى ثلاثة أجزاء، طول أولها ٣ وحدان وآخر

من العلماء والمكتشفات ومن أهم علمائها.

إقليدس (٣٠٠-٢٧٥ ق.م) أبو الهندسة الإقليدية الذي تعلم على يديه كل علماء العالم حتى القرن العشرين عندما اكتشفت الهندسة غير الإقليدية.

هيروفيلوس Herophilus (٣٣٠-٢٦٠ ق.م) أول علماء التشريح والذي وصف البروستاتا والإنثى وعصر وأصغى اسماءها والذي أثبت أن الملح وليس القلب أو الكبد مقر المشاعر والتفكير.

أريستارخوس Aristarchus (٣١٠-٢٣٠ ق.م) أول من تحدث عن مركزية الشمس Heliocentricity وأيضاً مركزية الأرض Geocentricity سابقاً كوبرنيكوس بقرون عديدة.

أرخميدس Archimedes (٢٨٧-٢١٢ ق.م) الذي ابتكر (إلى جانب قاعدته المعروفة عن الطفو والطبوع الذي لا زال يستعمل حتى الآن) أسس التفاضل والتكامل وكربس، Pi، إلى أقرب مائتين.

أيراتوستينس Eratosthenes (٢٧٦-٢١٥ ق.م) الذي أثبت كروية الأرض وحسب محيطها بطريقة بسيطة بغرفة لا تختلف عمك ثبات الآن إلا بحوالي ١٠ ميلاً، والذي رسم خرائط الأرض على كرة ففتح عصر الملاحين العظام.

غيرهم، وغيرهم.

ثم جاء دور الإمبراطورية الإسلامية، فسقطت الإمبراطورية الرومانية.

ووصف الحالة جيون Gibbon Edward صاحب الكتاب المرجعي، اندحار وسقوط الإمبراطورية الرومانية، بقوله، «على مدى عشرة قرون لم يسجل اكتشاف واحد يجلب الكرامة والتسادة والصحة للنفس البشرية».

ولكن شعلة العلم التي أوقدها مكتبة الإسكندرية انطفأت، إلى أيدي الإمبراطورية الإسلامية وقعت قمة ازدهارها في عصر المأمون الذي أنشأ بيت الحكمة والمرصد السابق ذكره.

وقد عمل التاريخ بعد المرحلة المهمة في تاريخ العلم ونتج هذا من عاملين:

أولاً: التراث العربي للإسلام الموجود بالغرب منذ أيام الحروب الصليبية والذي

موجودة على الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى (تركيا الآن) وكان من أهم نجوم هذه المرحلة طاليس (٦٢٤-٥٤٥ ق.م) الذي صال وجال في علوم الرياضة والهندسة واكتشف العديد من النظريات منها:

١. إن قطر الدائرة يقسمها إلى قسمين متساويين

٢. إن زوايا القاعدة في المثلث متساوية الساقين متساوية.

٣. إن الزوايا المقابلة في خطين متقاطعين متساوية

٤. إن أي مثلث يمكن تحديده بتحديد طول خط القاعدة والزوايتين

الموجودتين عليه.

وهكذا، ولأول مرة على مدى معرفتنا وجدت قواعد وقوانين تسري على جميع المثلثات والدوائر في أي مكان وزمان من الكون.

بل وهكذا بدأت استمرارية معرفية من طاليس إلى إقليدس الذي وضع كتابه الأول Elements إلى بقرون التي أتبع هذا الكتاب (مترجماً من العربية) من سوقي في ستوربريدج Stourbridge عام ١٦٦٣ فغير مجرى حياته.

ثم جاء بعد طاليس صفيته تالكسيمندر Anaximander (٦١٠-٥٤٧ ق.م) ثم

تالكسوجوراس Anaxagoras (٥٥٠-٤٢٩ ق.م) وأيميدوكليس Empedocles (٤٩٠-٤٣٠ ق.م).

ولكن هذه البداية الجينية اشتد عودها في مكتبة الإسكندرية القديمة التي لم تكن مجرد مكتبة بل كانت مركزاً للبحث العلمي، فطلى مدى سبعة قرون قدمت هذه المكتبة مئات

١. والثالث (مربع ٩ - ٤ = مربع ٥، ومربع ١٦ - ٩ = ٢٥). أما أعمال فيثاغورس الأخرى فكانت أقرب، كما وصفها بروتاند راسل، إلى صناعة ديانة سرية تأمر بالاستئذان عن اكل الفرو وتحكم بالإعدام على من يتبع أسرارها

أما عن أرسطو فقد كان مثالا للمعرفة غير العلمية، إذ يعتمد العلم في استخراج قوانينه في أغلب الأحيان على قديمين هما المشاهدة (استقراء Induction) وإعمال العقل (استنتاج Deduction). ولكن أرسطو وقف على قدم واحدة وهي الاستنتاج؛ الأرض مركز الكون لأنها مقر الآلهة، ومسارات الكواكب دائرة لأنها شكل هندسي كامل (١٤). وإذا

الفيثا حجراً فإنه يهبط إلى مكانه الأصلي وهو الأرض، ومن الطبيعي أن سقوط الحجر الكبير أسرع من الحجر الصغير، وإذا صنعنا مثلاً فإنه يصعد

إلى مقره الأصلي وهو السماء، وعند استأن السيدات أقل من عدد استأن الرجال لأن أغلب الآلهة من الرجال فهم

أرقى من الإناث (وأكثر استأناً). وكل هذه الاستنتاجات خاطئة.

ولكن ما هو التاريخ الحقيقي للعلم؟ يتمك أغلب مؤرخي العلم على أن للعلم ثلاث مراحل أساسية مع بداية

حديثة.

فالبداية الجينية كانت في أيونيا، وهي مجموعة من الجزر والمدن كانت

كتاب الزاوية

مذكرات الأميرة جويدان

٤. الحريم في مصر

لا يكاد الرجال، وعلى الأخص الأوروبيون، يسمعون كلمة الحريم، حتى ينصرف خيالهم إلى الرقص والفناء أو بركة من الماء المعطر تتواهب حولها العذارى والفتيات.

ولكن الذي وقفت عليه عين الحريم في مصر ليس فيه شيء من هذا الخيال. فالجوارى فيها فتيات يلبسن ملابس بسيطة نظيفة، ولكنها غير مفرية، فالحريم بلبسته بسيطة عليه امرأة، وهي زوجة السيد أو أمه أو رئيسة الجوارى. وفي كل هذه الحالات تحرص صاحبة السلطان على ألا تبدو الجارية أمام سيدها جميلة فالزوجة تفعل ذلك بدافع الفكرة، والألم حرصاً على ألا يتزوج ابنها من جارية. ورئيسة الجوارى طمعاً في أن تصبح هي السيدة

وعلى هذا فالجوارى في مصر لس أداة للتمتع ولهم. وإنما هن خادما، وإن كن أقل من الخادما حقواً، هن لا يتناولن أجراً على خدمتهن، ولا يستطعن مفاداة بيت المخدم إلى بيت سواء.

وكلما علا شأن البيوت زاد عدد الجوارى فيها، لأن التقاليد في الحريم المصري تقضى بالآ تقوم السيدة بعمل ما، بتقديم القهوة له نظام خاص، وحمل الملابس على البدة له نظام خاص، وتقديم كأس من الماء له نظام خاص أيضاً، ولهذا قد يرى الإنسان كثيراً من الجوارى منهكات ولا يرى عملاً يؤدي، فهناك مثلاً «مفرجى كلفة» ووظيفتها الخدمة على مائدة الطعام فقط، وهنا «فهوجى كلفة» وعملها تقديم القهوة فقط، وهنا «شمورجى كلفة» ووظيفتها تحضير الملابس للسيد، وعملها ينحصر بين الحمام وغرفة الرينة وغرفة النوم.

وكان من أهمها المجاسطى والقانون لابن سينا. ثم حرقت كتب ابن رشد في الغرب واصطهد المفسرة وأخوان الصمما في الشرق. وانتقلت شعلة العلم إلى الغرب وصاروا إلى ما صاروا إليه وصروا إلى ما صاروا إليه.

ولكن ما أهمية تصحيح التاريخ؟ أولاً: إثبات أن لنا تاريخاً أصيلاً في العلم، وأكثوية أن الغرب مادي وعلمى وأن الشرق روحاني ووجداني، لا أساس لها من الصحة، بل هي خرافة رعتها في نفوسنا أمثال قصيدة كيلنج Radv and Kipling الاستعمارية ثانياً: لعل أخطر أهمية لعملية التصحيح هذه هي أن نتذكر ما تذكرته أمريكا في بيان ريجان عن «أمة في خطر، وما تذكرته كل دول شرق آسيا، إن أساس العلم هو العلوم الطبيعية والرياضة والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء والفلك، وأنه على الدولة أن تهتم اهتماماً شديداً بهذه العلوم وتاريخها وعلمائها. أما التكنولوجيا فهي كميعة بنفسها.

وقد ابتليت في عالمنا العربي بالخلط بين العلم والتكنولوجيا وبالأحرى بالهروب من العلم إلى التكنولوجيا، فكم حاولنا التقدم علمياً بعمل خطط وهمية هي في الحقيقة خطط لتخمينية تكنولوجيا تحت زعم أنها خطط للعلم النافع، وهكذا طغمتنا علاقاتنا بالعلم وانحدرت كليات العلوم بعد أن كانت من كليات القمة إلى ما صارت إليه الآن. وإرتكبتنا في هذا المجال أخطاء فادحة، ومنها إلغاء السنة الإعدادية في كليات الطب ومنها التخلي عن الفقه في إلغاء قسم الرياضة في بعض كليات العلوم. ومنها الحديث المستمر من «تعليم، مغررات الدراسة بهدف تفاصيل العلوم الأساسية وهو خطأ فادح، فالعلم مثل شجرة باسقة، جذورها هي العلوم الطبيعية وثمارها كثيرة منها التكنولوجيا. ولا تقلم الأشجار بقطع الجذور.

لقد حرر ديك نرسى كتابه في محاولة لإثبات الأصول غير الغربية للعلم وهي حقيقة تاريخية، ولكنه ضل الطريق في تقديم أدلته والدفاع عن الحقيقة. ويقول ستيفن هال في آخر مقاله إن كتاب Lost Discoveries يمكن أن يكون أساساً لحرر خاص عن تاريخ المعرفة يسمى «التواضع Humility».

يدفع المارسين إلى تجاهل ما يدين به الغرب من فضل للعلماء المسلمين. وهو موقف فكري يزعم أن الإسلام لم يملك إلا السيف وأنه لم يكن للفكر أو للعلم أي دور في بناء الإمبراطورية الإسلامية.

ثانياً تجاهل المؤرخين المسلمين أنفسهم لدور العرب في تطور العالم، فقد سادت القيادات الإسلامية تيارات معادية للعمل واشعلت موجات هستيرية لتثيت الكراهية له، واتهم العلماء المسلمون بالإنحاد وجلدوا وضربوا وأحرقت كتبهم.

ويسجل العالم الباكستاني الأصل بيرهيز هودبهي Pervaz Hoodbhey في كتابه الرابع، الإسلام والعلم وال Science، أن العلم والمفلسية قد أصبحت مفروضة من القيادات الإسلامية جميعاً بعد ابن رشد إلى الآن ما عدا فترات قصيرة حدها هو أيام محمد علي ومحمد علي وعالم عبد الناصر. وقد تسببت هذه الكراهية في تجاهل إسهامات الإسلام في العلوم.



قام اهتمام الإمبراطورية الإسلامية بالعلم على أساسين، الأساس الأول هو الترجمة، قام بذلك مترجمون كان يجزل لهم العطاء وأهمهم حنين بن إسحق وولده إسحق، وقد قدم هؤلاء تراجم كانت هي المصدر الأساسي لحفظ تراث علماء مكتبة الإسكندرية مثل كتاب العناصر لإقليدس وكتاب المجاسطى لفيلسوف.

أما الأساس الثاني فكان الإضافات الإبداعية الجديدة في ميادين العلم، فمن القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر ازدهرت أسماء علماء مثل جابر بن حيان، الكندي، الخوارزمي، الرازي، ثابت بن قره، البيروني، ابن سينا، ابن الهيثم، عمر الخيام.

ولما بدأ الغرب اهتمامه بالعلم كان المصدر الأساسي للمعرفة هي الكتب العربية، وكانت اللغة العربية مطلوبة من أي عالم غربي يحترم نفسه، وازدهر المترجمون من العربية إلى اللاتينية وكان من أهمهم جيرار Gerard of Cremona الذي عاش في طليطلة وترجم ما يتيف على ٨٠ عملاً من العربية إلى اللاتينية

“خليها على الله”

من يحيى حتى إلى ابنته

علاء الدين وحيد

[٢]

يحاطبها على الورق، فيدبح خطاباً لها يستوعب بعض لفته الزائلة إليها، عزيرتي نهي، صحيت وأفطرت وحليت الكلمات المتقاطعة في «الأهرام»، وعلى بالي قال لي أكتب لك هذه الكلمات القليلة لأشركك بجانبى وأنا بجانبك، وإذا لم تصحب هذه الكلمات بشكل كاف، لا يحمل الأب الحنون لفتاته من حب غامر، ففي رسالة أخرى تعرض بعض هذا الحب،

«هرك فبك وأحلم بك وإنجابك وتصل ذهنك بك، وقلبي وأعصابي ونهديات أوتاري ورنة طفليتي وجريان ريقتي ومصمصنة لساني وبربرة ميولي، وحك رأسي، وقولة استعمر الله، اللهم اجعله خير..»

وفي رسالة أخرى بتاريخ ١٩٨٢/٩/٤ يكتب

«..هم أو أشواقى إليك وتفكيرى فيك وأحلامي بك، وأشغالى عليك وإنجابي، نحوك وتطيرى لك، يبخور لست من فوقك لتتحرك، أما حشو هذا الدعاء من أخبار فقل حشو ولأنه هو العنب بالحب، الحشم قليل جداً لأنه نادر وكذلك الأخبار التي أحشو بها كل هذا الدعاء فادرة أيضاً فالأيام تمر متسabeeه، وهكذا تتحول السطور إلى مناجاة عاطفية، تتبع خاص من القلب يتبع متدفق بالغ الصدق والحنو، في الخطاب المورخ إلى الأحد ٤ أيار ١٩٨٢، توجه هذه الكلمات

«الحقل، والمعرك والقلب واللب والنض، والتفنس والشوم واليقظة والأحلام، عندك..»

التخذ يحيى حتى الأسلوب غير المباشر في تربية وحيدته منذ طفولتها، ولذا جاء النصح الصريح قليلاً، كما عرفها منذ وقت مبكر فضيلة الاعتماد على النفس والاستعانة بالخالق، وفي إحدى رسائله يكتب لها، «فلي تكالك على الله ولازم تشدى حيلك علفان مواجهة كلك، كلك فضيلة لا تفزع، المهم ذلك بنفسك تشدى حيلك وإرادتك وشجاعتك، افوض تصدى إن حد ينفعك رى ما تنفعى نفسك بنفسك، وهو يتألم كثيراً لا تعرض له فتاته من مهم وندبات الناس التي كتبت له، عن بعضها ويحاول أن يخفف عنها، وعندما تقبل عليها وتزول الترسون وتكتب له بذلك سرى كثيراً، «فحطاك، الأخير ألتج صدرى لأنه ربما كان أول خطاب لا يذكر شيئاً عن المتابع التي تأتي من داخل النفس، وهي خفيفة.. أو من الناس وهي المظط، شرت بعبادة كبيرة ودعت لك من كل قلب أن يديم عليك الصمانية والراحة والهدوء والسكينة والاستقرار والأمان والإيمان والتوكل على الله..»

والرسالة بين أفراد الأسرة تنقسم عادة إلى جزئين: الأول يمسح من الصحة والأخيار والثاني يمسح صاحبها بما عسده من خاص أمره وما يهيم، وهما قسمان غير متساويين، بل يتراوح كل منهما بين القصر والطول حسب ما تحمل المناسبة

يكتب الأب في القاهرة إلى وحيدته التي تصطف بالإسكندرية: رسالة بتاريخ ٢ يولية (بلا تحديد للسهة) يستهلها بعبارة التقليدية، «نتي الحبيبة نهي..» ويبدؤها بوصف الفطوف الذي يمانية في عز الصيف، «الغد حار جداً هنا.. ويسال عن الجو عندها وهل نزلت البحر، وهل تعرفت على أصدقاء؟ ويجد أن ليس عنده أخبار كثيرة.. ثم يعسى بما يشبه

ويبعث على تسطير الرسالة عامل من الشين: البدء بالكاتبة أو الرد على أخرى ولكن هناك هدفاً ثالثاً.. كان يدفع يحيى حتى أيضاً إلى أن يعمل.. وهو مجرد شوقه إلى ابنته والأسس بلقائنها وهو

الروح العطرية، وعلى العكس من نجيب محفوظ تماماً، فله من الأدباء العرب الكبار مثل يوسف الساعى ويحيى حتى، فالمتعل المتروح والقلب المتروح يعضيان إلى الأحاسيس الفسوحة التي لا تقيم شيئاً، وقد انهارت كل السدود الحقيقية والمتعلقة بين الصار والتلقى، ومن هنا يتبع الهدف والحب والثقة بين الجانبين، وتكون الرسائل الخاصة التي يكتبها الأديب إلى فلهة كده.. لوفاً آخر من هذا البرح الصادق غير المتعل.

وقد قدم إبراهيم عبد العزيز «رسائل يحيى حتى» إلى ابنته، تقديماً جيداً طويلاً، حوالي ٧٥ صفحة، شأنه فيما سبق من رسائل طه حسين وتوفيق الحكيم، أحاط بالآب والام والأبنة، مختصراً كثيراً من موقع زوجة الأب، ورسائل يحيى حتى أكثر خصوصية من الرسائل التي كتبها أحمد حافظ عوض في «من والد إلى ولده.. أو أحمد أمين في «من ولدي، لآل كلا من الرسائل الأخرى كتبت كمقالات للشر، توجه إلى الآن وكل الأبناء، العام فيها أكثر من الخاص، بينما رسائل حتى على العكس

«دعاء للمولى سبحانه وتعالى أن يسعدك وأن يهلك صحة البدن والروح والعقل، أن يجعل محبة الناس لا تنقطع وأن يحبك شرار الناس وأزهد الدين، تنهشهم العيرة وحسد النكد، وأن يجعل المولى حبيلك دائماً عمراناً ويذك لا تحنو من النقوط وأن لبقى مع ذلك كريمة على الضفراء.. (وعلى والدك أيضاً!) وأن لا تعارق الانتماءة بمرك ولا الدعاء إلى الله فليكن وأل ترى الدنيا حولة هي الصباح وفي المساء وأن لا تشعري بما لا طاقة لك به كل نعد أو رفاق أو مل أو إنياء وأن تسعي في مطالك وأن تسري الهونية كالك في نزهة فلا جرى المدل..»

يحيى حتى رسائل يحيى حتى إلى ابنته ص

١٦٢

[١]

الانصمام هي شخصيات كثير من الأبناء العرب يحلمهم مع كل ما يكتبون من إبداع يتحول شتى المجالات بحرية وسعة وتحير، يعفون تماماً من قرائهم ما يتصل معهماتهم الخاصة، ربما لأنها على نفيهم ما يسطرون ويبدون على الورق، ومن قول هؤلاء هي بلادنا نجيب محفوظ، الكتوم يهدد الخصوصيات كأنها نوع من الأسرار الحربية، ولذا لا تدهش أن يجعل أصحابها ورملاؤه الوظيفة، وقد ظل طوال عمره موظفاً إلى أن أملى إلى الخماش، طوال مصف قرن عنوان منزله ورغم تليقونه وأى شيء عن أسرته، بل وأكثر من ذلك، هل هو متروح أو أعزب؟ إلى درجة أن يقول رئيسه في إحدى هذه الوظائف وهي مصلحة الفنون، وكان يحيى حتى: يا نجيب.. ألا توجد مرة تخطئ فيها وتتحدث عن الميت والست المرفوعة والأب الذي يشعل سالك، فكان رد نجيب محفوظ صيحة من ضحكاته المميزة دون أن يعلق بكلمة.. (إبراهيم عبد العزيز مقدمة رسائل يحيى حتى إلى ابنته، ص ١٦١)

وهذا الانصمام أو عدم الصدق وإخفاء المشاعر الخاصة حتى المشروعة منها، له تأثيره السيئ على الإبداع، فيتسبب في جماء العالم القس الذي يقدم، وهو يعتقد أهم خصائصه وهي الصراحة والعفوية وسلامة الطوية المبيعة من

رسائل يحيى حتى إلى ابنته إبراهيم عبد العزيز القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠١

اتخذ يحيى حتى الأسلوب

غير المباشر في تربية وحيدته

منذ طفولتها، ولذا جاء النصح الصريح قليلاً.

كما عرفها منذ وقت مبكر فضيلة الاعتماد على

النفس والاستعانة بالخالق، وفي إحدى

رسائله يكتب لها:

«خلي تكالك على الله،





فقه خليفها على الله



وفي رسالة أخرى يؤكد هذا المعنى بقوله: «كنت عاير الت واعم معاك لكن والله العظيم ما عنديش أخبار وكل الأيام متشابهة...»
يكتب في رسالة ثالثة: «وانا قاعد على حافة السرير... واللثة سلك مشخوخ وحتت اللصمة عشان أشوف... أكتب لك بيدي وعقلي وقلبي كادى أحس بأن سلكى كوريليا ممدودا بين مصر والبحريين، وعازو أرشى والثرش وأحكى من هنا لعناية بكرة سرى رونا يندرنى الآلهي أخبار. منين ونحن، أنا وجان (زوجته) وأخوتي، على العماش تحركنا تنضيلة واصلنا لانتنا محبودة، وخرجنا ودخلنا بالحساب...»

[٤]

ويؤكد يحيى حتى في رسالته لا يذكر متابعيه الصحبة في سنواته الأخيرة، يذكر قلقت عليه ابنته وكتبت له عنها سارح بالإنكار أو التخفيف منها... حامداً له، وشاكراً لعمه، في أحد خطابات راسل إلى انتظاره لعودة طبيب أسنانه لتتركيب طقم جديد، فلا يجيبه الجديد أقل ردةً لشوخي... بل على العكس... يستمر صاحب «الأسنان» على الله...
«أعرف ناس ما يكونون بدون أسنان ويدون طقم... كأنهم يقولون ليس لهم ناكل بإيه، بل إيه اللي ناكله ومادام كليلنا نحمد ربنا، فأيهما أتمس... واحد عنده طقم ومش لاقى حاجة ناكلها وواحد بدون طقم وربنا فاتحاه عليه»

يقابل قلقة الزائد عليها قلقة الزائد عليه، خاصة بعد بقلوع الأسنان والعمر عليه، والصحة ولتصير التمر والأضراس تتناوبه، يحاول أن يزِيل هواجسها عليه باستعارة، مؤثراً بإيهاض على ما فعلها... مستحاجلاً أيضاً بعض البسطة في خدمة الحساسية ودوايين العاطفة... يكتب إليها في أول فبراير ١٩٨٢ مهوياً من فزعها على وجع أسنانه،
«الآن كتبت تشوفو الأيام دي أحلام زى الوافع الإنسان وإمسانك ذلك، لك لاداعي مطلقاً للقلق، بسنة لبثة أو تسبب ضرس أو غلغ ضرس، وفيه ناس كثير عايشين راسلانة لا يعرفون إنهم بضمضهم عمره أشهر ويضعفهم ٦٠ سنة وما فوق زى حالتي...»
وكان يحيى حين يبلي على في ذلك الوقت ٧٦ سنة، كما يشير في نفس الخطاب،
وفي رسالة أخرى بعد المباشرة بخوالى ثلاثة أسابيع أي بتاريخ ١٩٨٢/٢/٢٢، يكتب إليها مبتدئاً مخاطبها،
«ومن هنا الصحة كمان، ولعم الله طامع الإنسان الجديد لا يحسن حاله في جيبه وسافر أمريكا وسيرجع أول الشهر، واطمئني والأهلي ولا يكون عندك أي فكر ولا انشغال أبداً والليالي والحدائق على يمشك بطيخة صمير، وخليفها على الله والصبر طيب وكل شيء بيد الله وبإيه أنا أجرى جرى الوبوش مش رزقك ما تحوش»

«أنا كان لكل ليلى صمير، فهوومه التزلية الخاصة، فله أيضاً فهوومه المنزلية العامة، التي يتعرض لها هو وبغيره...»
العند الثاني والسبتون، مارس ٢٠٠٤ م

حاشي إزاي مقي، أعمل إيه يا رب أعمل إيه يا رب، لك الكلام مش نافع وكنت اتعظم فيك ولو ١٠/١ من قوة الصمود و١٠/١ من قوة التوكل على الله، ولكن كل هذا ضشوش في ضشوش، مش لاقى كلام أقوله لك يا رب، لاني مخموه عني يا رب قوي قوي...
وبالرغم من أن ناس كانت الأكثر تأخرًا في الرد على الرسائل، إلا أنها الأكثر شكوى من ألبها التي يتباطأ في الكتابة إليها! أن توصي كل من تبعته بالمرور على والدها أن يطالبه بذلك... لاني هذه الجملة يا ربى لا تتغير بقت أكشيه»

ويصور يحيى حتى في إحدى رسائله ما يصيبه من الألم حين تتأخر خطابات له... «أخبروا واحد لله وعلمني أول خطاب وإبادر بالكتابة إليك راجياً أن تنظم المراسلة، لاني أحس بأنى جعاش وعظمان ويردرا حرار وحقاروق وغليان من يتأخر حضورك مني بالكتابة، أياها نهي، تعمل إيه، وفي إينها إيه، السعادة والرضا من عند الله، وبهيات لخلقك حتى أقرب الناس إن يحس ما يحس به الوجوع... لاني لا تحصل على ١٠٠٠ من مطالبتي أولاً، لاني ريمى كل شيء في الهوا وبنيكى على روحنا بدلا من مساعدة الآخرين، ويشعر الله إن يتناقض مع عواطفه، وربما خرج من الحوض، فيكتبك مسجلاً، الفلسفة لارلة على اليوم رى المشى الواحد ما عندوش قوطة... يضلل بشر ومناخيه تقرر»

إلى حينته الصميركة ويعرفها أيضاً في إبداءه على الله، لا يفتخر، ويبدو جالب أخبره كره التثرة... ولذلك فهو في راسلته لا يطيل... وإبنته تفتك هنا جيبه، تعرفه يفضل دائماً الاختصار أو أسلوب ما كل دول... لا جيب، «أنا والصمير، في الكلام، وهو بتكره مرة بذلك، لافتاً إياها أن عدم الإطالة في رسالته مرتد، بتغضب أولقة الأخبار، يقول لاني في أحد خطابات، لا يدل بعد خطابات على قلة الأبرار، ولكن على قلة الأبرار قايامي متشابهة وأصبح التفرق لتليل من الجحيم، أصبح أوصى مستحجلاً وحتى في مصر الجديدة»

وتتصاعد الحاجة إلى الله والائتكال عليه ساعة الأزمات... فهو نعم المحين ومخفف الآلام ومزيل الكروب... في رسالة أخرى يكتب: «أنا... طوب إله العمل؟ فيش غير ربنا تزوكل عليه وتترك كل شيء له ونسأله أن يحكم علينا بالعدل بل وبإلحاح وهو عارف ما لقلب والنيات وإن الصورات تبيح المحظورات»

لقد كتبت رسائل يحيى حتى إلى ابنته... أن الرجل ظل طوال عمره وفي حياته الشخصية وليس في أدبه حبس... شديد الصلة بالسماء والإيمان بالله... رغم كل ما لهن من الثقافات الأجنبية وماش الحياة الفرنسية للغات، وإيه يميز في ذلك كل أضرابه الذين سافروا إلى الخارج أو تعلموا هناك، وتغير موقعهم كثيراً... قبلًا من الدين ومن الله... ثم عادوا إليها بعد ذلك... وليس ادل على استمراري كائنات في عقيدته... استغاثته بالقرآن والسواى للنفس والعبد والروح القلقة والمواسى أو الأوهام التي تترهب بالإنسان أحياناً... فتزعجه وتقله وتعرضه... وكانت هذه الأعراض قد مرت بإبنته وفي في الحرية... يكتب في ١٩٨٢،

«وتصيحني لك حين تقومين من النوم وأنت منزعجة أن تتعودي (أعود بالله) وأن تعملي (باسم الله) وتقرنى سورة من القرآن (يا رب اشرح لي صدري) وتزكوكي على الله في يومه وحده الرحمة والشفاء ولا ينعلم مخلوق... هلمى من ربهك وتعلمي الصبر والائتكال على الله يا نهي»

ويقرب متألاً... «فمشت في آخر عمرى أن لا أطع ولا أنجح في إيهادك عن الواسوس، والهواوس والأضرابات ولا تعلمين كم أنا حزين لذلك... ولكن الأينة لا تقاوم بما فيه الكفاية ولا تصمد لا يجتاحها من أوهام تحطم أعصابها... بل تترك نفسها لها تعبت بها كما تشاء مما يزيد أزعاجها... وتكتب سدلك كله في خطاب لاحق إلى أيبها... فيرات أوتلى الحزبون... قلت لك إننى قلت فلما بدأ بعد أن وصلني اليوم فخطب الخطيب الكتوب، قيل العبد والذى تصفين فيه حالته للصحية بصورة مزعجة جداً ومخيفة جداً وتصورى

ولأن روح الرسالة الشخصيه هو منهى الصدق واستمره، والصبر وطرحه هو على الصحة... فهي تصم في أعطافها أيضاً الحياة العامة وما يتعرض له المجتمع من هرات وتدهور ونكسات تصيب الناس جميعاً... فهيهو الألاق واستفحال الانانية تزيد من التكالب على المائدة وما يصير من شجع وشتر... في كل يوم أسمع حولى من يقول لى إيه الناس بتاكل في بعض وكل فنان في الإذاعة يقول الوسط النفس اليوم مليان سكاكين تصرف في الظفر»

على المجتمع متدهور القيم معلوت العيار الذي يكثر فيه الفاشلون، يصبح التناج مدعاة للضحك والمقصد... وتعرض نفى في عمله لتخلفون الجبرين لغيره الآخرين وعداههم وتشويه أفعالها... فتتألم وتحزن... وتكتب بذلك إلى أيبها... ويرد عليها... لا مهدها محققا عنها إحرافها... منددا بغيث الناس فحسب، بل أيضاً نفضها في نذاتها... فهو أعرف البشر بتكونيه حيداً... أو كما يقول في إحدى رسائله إليها، عاجلها وخايزها، فهو يتركها بواحي مصعها التي تضاعف من الخطر الذي تشكو منه

يكتب يحيى حتى إليها، كأنه يحدد لها دستوراً واقعياً للحياة العملية... ثم استعرب الفكرة حولك وما قلت لك هذا من قبل... وهنا طبيعى ولكن يحد منه إنك تغشلى من مخاض الضحور بالتموق والهمة... وطلب الثناء من الغير... اعلمى صعلك مدون حرق، أفسدك شتر من عملك لا تفعلك... وإن شرت رهم ذلك الباعرة فلا تكونى متطرفة في الحساسية أو خلي كل حاجة تروح بعد ولنة واحدة من النوم... وكل صباح يوم جديد وهم جديد ومشغل جديد حتى لا تكون هم الأرض على ظهرنا طوال الوقت... وأن الأب يصرف ضيق النفس بالتصميم... لأنه أيضاً يقوم بهذا الدور مضطراً... فهو يعقب على كلماته بقوله بأسلوبه المرح: يا عيني يا عيني على النصح الأيوبي التي لا تنفع أبداً!

ويقول في رسالة أخرى من النصيح الذي لا يحد أيضاً وبالنسبة إلى وجيئة سادات... هل تذكرت كلاماً قلته قبل مائة مرة فوقع على أدن من ملين وأدن من عجب»

[٣]

من الطبى على أن يكون أبى البلد الصميم يحيى حتى شديد الإيمان بالله ورسوله... يعتمد على الخالق في الكبرية والصغيرة... مستشعراً قدرته ورحمته وعظمته في كل أن وتعكس رسائله شكل واضح هذا الإيمان المبني في السراويل والخطاب بتاريخ ١٧ أبريل ١٩٨١ يستهله بهذه الكلمات، بنيت العزيزة نهي، قيل أن أبداً أتوجه إلى الله سبحانه وتعالى في كل قلبي لادعاء... لا يشتمل أنت وأنا معناه ورضوانه ويسئل علينا الستر ويهدى السر... ويعلمنا كيف نشكره على نعمائه ونصبر ما يختاره لنا من قدر...

وتصيب المجتمع أو الحي أو الشارع.. وهي مسؤولية الحكومة في المقام الأول من تغيير مصدر مياه الشرب التي نجى في الماسير، وتصبح مألوفة بعد أن كانت صلبة ويكتسب الأب إلى ابنته ضاحكا.. عن تكفيره في مطاوعة صاحب البيت بتوضيحه، لأنني استعنتت عندنا.. إلا لقيت المبة حلوة وتولفت بفت مألوفة فيقول لي طبيب، وأنا أعلم إيه ما هو حالى رى حالك، المصابة ما تريغش على مائلهاش طعم ولازم تقعد كام يوم صال ما تعود عليها وكل حاجة ننى ادم تعود عليها...!

والرسائل أيضا مجال موح، نتيج الفرصة الصالحة لاستعادة المكتريات القديمة، يذكر يحيى حتى لا يئس منه بمناسبة مصادية الشهر العربى كم من المتقين العرب يهيم بذلك، عندما كانت أمة كعادته أمهات زمان في الأحياء الشعبية تصعد به إلى المطبخ، وكانت هناك سلطع، شاهدة الهلال الوليد، متعلقة إلى السماء وإلى وجه ابنتها، داعية له بالتوقيف، منظره على وجهه السعد للأسرة.

أدمن رأيت هلال المحرم أول السنة، وكل مرة أدعو الله من قلبى أن يجعله حبرا، وكانت أرى رحمة الله عليها تحب أن تغمض عينيهما بعد رؤية الهلال وتفتح عليهما وجه واحد من أوالدها وتقول له، لا تشوف وشك علينا الشهر ده يطلع إيه؟!

ولا يكتفى يحيى حتى بتسجيل الملح القديم من أيام طفولته، بل يعرض أيضا آثاره بالمشهد الفولكلورى سلبيا وإيجابيا، ويكتب كل مرة أخاف لا تشوف الهلال على وشى أياكم تطلع حاجة وحشة تقول ده ولا شى بحسب!

والهمة الرسائل أنها تعرض لخاصية الخاصة في جانبها الإنسانى، الذى يكشف أعماق شخصية صاحبه في ناحيتها الفنية والصعبة وإيجابيتها وسليبتها، كما تفسر دواغ طالع الفنى، بجانب ما تعرض من دقائق دقيقة غير معروفة لأنها غير معلفة، ومن هذه الدقائق المستوى العيشى أو المالى، فيجيب حتى الماس المشهور الذى يعمل بوزارة الخارجية، والموظف الكبير مدير مصلحة الفنون، والأديب الكبير الصيت والمخرج من قرصية إلى ريف، من المنظر من هذا كله أن يعيش أن يغدو من ريفه وشراهة، ولكن الصورة في الدال على الخبير.

يحدث أن الصيت زوجته جان بالم فى الصبر وسعلا، لا يلاش صيف الفاهرة الحار الرطب، ونوصلا لسافر حرة طرية بس من رطبة، ولما بعد دولت شى عارفين إيه فعل، ولكن الصاحبة يحتاج إلى مال وهو لا يملكه، مما أحزنه وأثر عليه حتى وهو يناقش كتابا في دولة ثقافية، وحياته التواضعية الكروية تعرضت

خليفة على



أحد خطاباته وهو هبات شعر كى محب العبد ودهانه فلم يحس به كى بعد كده يوم كمنه لأدم ت صاع وسن لرحم والامام فى الأيام والأخلاق فى الحلال والشكاوى فى الشكاوى^١

وفى رسالة أخرى سألخ ١١٠ غشلى ١٩٨٥، يتحدث عن أن الصدف من ريادة فرنسا لم يتحقق، وهو أراحته زوجته وأساعدوا وتصيبة وقت طبيب فى ريوها، والأخط مع الألف الشديد أن أقامت فى ملها فى أهلها لم نصلح فى نهدة اعصابها رنا يستر،

وهذا الرسائل المشورة لا تقتصر كلها كما يشير عنوان الكتاب، أنها مرسله إلى شخص نهي حتى وجدنا، يتجاوزها وهو قليل جدا، إلى غيرها، مثل روجها الأول إلى الناس، ويتطلع تحلف الأجرء فى كل منها فى المردج، وإن ظلت الروح سائلة والاعتماد والروح فى هى، فالإخلاص والحنو والتضح وهو ما يهيدى كاتسا لروح الألفة، فما كثر لروح الأول ويكش لروح العبد لثرايه وقبويه، يستزيد من الأولى مشيرا بولا، وما يمكن أن تقدم موهبة، من الكنية السياسية فى تاريخ مصر بعد يولية ١٩٥٢، وفى الثانية يظهره بالتخلف من الدفاع، وتلقب فائدة الاستماع على فائدة الكلام، وكملت بعض الصوت، إن الصوت الخفيض يقى من الزلل أكثر من الصوت الجهور.

وإذا استوعب النصب الأول من الرسائل صالغ روح الامة، بل يفهمها من هموم يحيى حتى نفسه فى ذلك الوقت، الرسالة غير مؤرخة، وما يتعل به وهو فى آخر العمر من وحدة نشاط والنزوة عن مركز الحياة الأدبية والاحسان لأصواء عنه كما كان فى السابق، وه شكل كات تعرض لحال صاحب الخلف عندما يتبع.

أما أنا فقد أصبحت ومنذ ٣ سنوات تقريبا لا شلة لى ولا مشغلة، وأحاول أن أحاسب نفسى وأعلمها وأقول، يحق أن بلغ السنين وكانت حيدته نوعا من الجهاد ينقطع أن يخلد إلى الراحة يفرها الرجل وفى نفسه أشياء من الزمن والناس والجمع ونفسه أيضا ويكر كدنيا أنا كات جيسى يوما يجاب المذكرة بنات الشاكن (عاشة عبد الرحمن) فى سيارتها، كانت أيضا كات قدمت الاستاذ فى فاشة له، بحس أصحاب الافلام إلا أنا حوا بسألو السار بأنفسهم على مسرحهم صوا لهم من أتاح أعمال صانه بالحدف والسعال والرومانتر.

وبالرغم من أن الصضية عامة، إلا أن يحيى استعمر أن رصيته تصمده هو شخصيا، ويشير أدبيا الكبير أيضا فى نفس الموضوع، إلى أن اشتغال المفكر وفزارته ونشاطه، يستمر بعد العيص طوال العمر وإلى آخر دقيقة فى تسميه، والمثال لذلك عندما ذكرى صبي فوري، وكنت بعدت أن سئل من ملته فى أحبابه ونهني كلمته بقوله، ويقيى السوال الذى حسير الإنسان منذ مدة الحولية هل يستطيع أن يتحكم فى القدر؟!

لصمة يوما، عندما دعا محمد جبريل فى جريدة «الساء» إلى الاحتفال بعيد ميلاد يحيى حتى الـ ٨٨ احتفالا كبيرا سعاديا وكان ضمن الكتاب الذين أدلو بأقارهم النقاد فأروا كيف القادر الألى طالب، تجعله محتاجا قبل أن تطالب بتكريره، خاصة أن المسئولين عن النافذة لا يدركون أنه يحيا حياة مادية متواضعة بالقنصر إلى مستوى الحياة التى يجيهاها أى كاتب سملايات التليفزيون، ويتألم الرجل لما شديدا وهو يحس أنه أودى به كرامته ويكتب إلى أخته:

الانس يايفانى صمغيتش عصرية وأركب ساعات، المخر، فاكرسى محتاج لحسنه أو موعده، مش عارف أودى وشى فى.

ويستأثر الحيوان المستأنس باحتفال يحيى حتى على المستوى الشخصى ويظهر ذلك فى خطامته، فهو زوجته يهوى تربية الكلال، وفى إحدى الرسائل يتحدث كاتبا عنه فى الزواج من وفاة كليهما الأخير، حزنا عليه كثيرا، فى رسالة بتاريخ ١٥ يناير ١٩٧٦ يقول فيها، بعد أن عالجت فيديل من القروح لاحظنا أنه يعشى بصعوبة يوم الأحد الحامى ولكنه طلع السلم وحده، وأكل قليلا، ثم عندما جاء الجماء إلا أنه يلهث يشدة ويهتز رأسه وظل على هذا الحال حتى أخذته جان على حجرها وبين درائعها، فإذا به يلعب الفمسة الأخيرة فى منتصف الليل، وقد رأيت بطوقه كانه ننى آدم، لا نساى عن طلع وموعها ونواحيها ونهنتها وزفراتها وأهاتها، وقد أحسبت جيد شديد زرق قلبى وأحسنا بموجب بعد غريب صديق عاشرنا ١٢ سنة وأغب نومه معنا فى فراشنا.

وفى رسالة أخرى يتحدث عن حماسين، كالمصورة فتية بارعة، إنسانية واقعية شديدة المعنى وإن عولجت بالعامية، زيج المحام الألى يريده، أخصته الذكر منذ أيام، «هل هو حى أم ميتة» والسبت تاتعه ضلعت وحدها وكانت أودى كى بصة واحدة كفسرتها وبعد كام يوم طارح فى كمان وأخفت، ه وهجست الظنون التى استهدت الجبران، الذين لاحظت اقتنصوها وكلوها، ويفعلك والى

باليقين، البحث عن عظماء الحماصة خاصة فى مناسبة العيد التى لا ياك فيها الناس إلا الجمح، ويستفتش صناديق القمامة وجد آثار الحمرة، عظام مصر النفاق وأوليت الأثرة أن يتحرك ولا يترك الجريمة بيمر عاب، ولكن الأدبى الكبير يتجاهل مع غضبه، كاتوا فى البيت عازمين على عمل خافقة، لكن أنا صهييت، ولا تشنى القصة فيعد أيام رجعت الحماصة! وهذه المرة أقبل عليها فى النفس، لكن صعبت علينا وقتها لها، فطارت... لها أصبح هل بيتان؟ هل وجدت وجها جديدا؟ هل سمود ألىنا؟ أسئلة ظلت بلا جواب، أو على حد قوله الله اعلم!

وأغلب خطابات يحيى حتى التى يعدها إلى ابنته هو فى الفاهرة وفى إياها فى الإسكندرية أو فى البلاد وفى التى تعمل فى تليفزيوناتها، وعندما نتاح لأدبينا الكبير الفرصة فى بعض الأيام وينجح فى ادخال المال اللازم للسفر، يصطحب زوجته جان إلى موطنها فرنسا، والمكوث هناك لوقت قصير، ورغم اختلاف الأجواء تماما بين الفاهرة وإيمان المدينة الفرنسية التى ينزل بها، أحال من بعضه إياها قلة الحركة والمكوث فى البيت وعدم الخروج إلى الشارع، كاتر، والاستماع إلى الراديو ومشاهدة التليفزيون، وذلك كله بفعل الشيخوخة، خاصة أن إيمان مدينة صغيرة ليست ذات ثقل ثقافى تسمح على المذاكرة يكتب من هناك إلى وحيدته بتاريخ ١٩/٧/٧٢،

وفى رسالة أخرى لفرنسا، يوبية عام ١٩٧٢، يكتب عن المتصاعه عن المرأة العربية معطرا، لأن الصحف المصرية لا تصل إلى المدينة، وأحيانا يقع فى يده عند قديم من جريدة «الأهرام، فيطالعها، وفى

تتميز ربايات الخيام إلى واقع الأدب العالي، وهي واحدة من الأعمال الشرقية الكبرى التي عرفت طريقها إلى معظم آداب العالم، واكتسبت في كل أدب مديداً خاصاً من خلال هذه هائل من الترحمات التي كان يحصر أصحابها غالباً على أن يتحرروا قليلاً من جاذبيتها قيود المذبلات الحرفية، لكي يصلوا إلى المدار الذي ارتقى إليه الشاعر عمر الخيام ومن هناك يحاولون أن يتمثلوا جوهر هذه الروح الإنسانية الخالدة كما تمثلها وأر يتقلدوا إلى قارئ لغاتهم مصفاً من حميا الخيام التي ما تلبث أن تفسر في عروق كلماتهم.

كان الأدب الفارسي قد قدم للعالم الوضوأت الأولى لهذه الربايات في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس للهجرة، في شكل شعر غنائي حائر يثير لاد سؤال وسؤال وكان قد قدم قبل ذلك نصوص قريبن أو يزيد عملا هصصياً رائعاً. فمن له كذلك أن يجتاح العالم الوسيط والمعاصر حاملاً معه ألف حكاية وحكاية تروى في ألف ليلة وليلة، من خلال مصحات الكتاب الفارسي، هزاري الضامة، الذي حمل قدر من الخرافات، الشائعة إلى الرواة العرب، فطوروها وقلبوها نحو ستة قرون، قبل أن تستقر على أيدي الرواة للصيرين في شكل ألف ليلة وليلة. في صياغتها الأخيرة في

كان التاريخ يكاد أن يرض بالتصليم يستنسا إلى مؤلف واحد بعينه. وأحياناً إلى جيل واحد بعينه. وكأنها نتاج للروح الإنسانية أكثر من كونها ساجا للديمورية الصردة، فكيفية ودمية أقدم هذه الآثار تستند جذورها الأولى إلى الفلسفة السفسوكريية في الهند ممثلة في كتاب «البادجا تانتر» أو الحكايات الخمس التي ينسب لحكيم الحكيم القديم «بيدبا» وهو شخصية نصف أسطورية تسرد حكاياتها بين القرن الثالث قبل الميلاد متبياً والقرن الثالث بعد الميلاد صياغة. ومع ذلك فكتاب قد فقد. بعد أن قيل إنه قد ترجم إلى الفارسية في عهد كسرى أنوشروان على يد طيبة، برزوية، الذي فقدت ترجمته كذلك. بعد أن نقلها إلى العربية عبد الله بن المقفع، فحيد بيدبا الذي أصبح أباً شرعياً لكتاب اسمه واسم الأصل العربي معه إلى أفاق العالم دون أن يعلم على وجه التحديد ما الذي أضافته هذه الترجمة الزائلة إلى أصول بعيدة ربما كانت أقل عمقا وأكثر ديوغا. وكذلك كان الشأن في أمر الكتاب الثاني، «هزار اسمانه» الذي أشار المسعودي في القرن الرابع الهجري إلى أنه «حكايات باردة، ترجمت من الفارسية دون أن يشير إلى اسم المؤلف أو المترجم، وسوف نضيف هالة الغموض المتصلة بهذا الكتاب، أشد ويبقى النص فيه مفتوحاً ينتقل من

الحكايات المترجمة عن الفارسية إلى الحكايات البخسانية وليالي حارون الرشيد إلى الحكايات، القاهرية مع أبو حير وأبو صير ومروفر الإسكافي وغيرها وعندها تغلق دائرة النص المفتوح، فإنه لن يكتب على النص اسم مؤلف أو مترجم بل سيترك متسبياً للروح الإنسانية التي أبدعتها ويكتفى له بأن يحمل عنوان «ألف ليلة وليلة، أما مظاهر هالة الغموض الموهض الهيمية فيما يخص «ربايات الخيام، فتحقق على نحو قد يحتمل قليلاً ولكنه يلتقي على كثير من النفاذ مع الأدبيين السلفين، هتحصية، «الحيام» شخصية تاريخية عرفت باسم «غيث الدين» أو الفتح، عمر بن إبراهيم الخيام، المتوفى في القرن السادس الهجري، «الثاني عشر» الميلادي حوالي ١١٢٣م، لكن هذه الشخصية عرفت بالنبوغ والتفوق في كثير من ألوان المعارف والعلوم، ولم يكن التشر في مقدمة هذه الألوا، وإنما يكاد ان يختص من سيرته، ويحيى في بعض الأحيان في ذيل السيرة عرضاً أو تعرضاً، فلم يكن الخيام يحسب من كبار شعراء العصر كالغردوسي أو فريد الدين العطار أو جلال الدين الرومي، أو عبد الرحمن جامي أو غيرهم، وإنما كان يحسب من كبار الفلاسفة والفلكيين والكيميائيين، وقد عرف بأنه من أنجب

تلاميذ الشيخ الرئيس ابن سينا، وأنه ربما يكون قد التقى بابي حامد الغزالي، وأنه كان من أبرع علماء الفلك والنجوم في عصره، وقد أشاع له صفته حكماً الملك، رجل الدولة المارح مرصداً فلكياً كبيراً، استطاع من خلاله أن يصنع التقويم الفارسي الجديد الذي ينسب إلى عصر السلطان ملكشاه، ويحمل اسمه بدءاً من شهر مارس عام ١٠٧٩م، وأنه كان إلى جانب ذلك صاحب مؤلفات علمية شهيرة منها رسالة في الجبر والمقابلة كتبها باللغة الفارسية التي كان يكتبها في جانب الفارسية إضافة إلى رسائل أخرى في المساحة والمكعبات والعلوم الطبيعية وما وراء الطبيعة، واعلم أنه كان تلاميذه يعرفون به، كما فعل تلميذه الشاعر خواجه نظامي، كانوا يجعلونه في المرتبة الأعلى بين الحكميين وأساسيل العلم وينفونهم بحجة الحق، أن يتحدثون عن كنهانه وقوة حفظه وبراعته في علوم الطبيعة والفلسفة، ومن هنا، أطلق عليه في عصره عدة ألقاب، منها الإمام، والسنور، وفيلسوف العالم، وسيد حكماء الشرق والحرب، وتلك ابن سينا، وعديم القرنين في علم النجوم والحكمة، إلى غير ذلك من الألقاب التي تأتي في كتب البيهقي والنعطي والعماد الأصمغاني وغيرهم من مؤرخي الفرس والعرب.

ربايات الخيام.. روحٌ شرقيةٌ

القرن السادس عشر الميلادي، وهي الصياغة التي اجتاحت ترجماتها أداب العالم، حاملة معها ألف حكاية وحكاية، كما تستحلب الربايات لأحفاً فال سؤال وسؤالاً.



أحمد درويش

كانت الإشارة إلى شعر عمر الخيام باللغة الفارسية أو العربية تأتي على أقلام العربيين به، لكن في مرحلة تالية لصفاته العلمية الغالية، فلم يشر عنه ديوان شعر مكتوب، وإنما أبيات متفرقة ولعل العماد الأصمغاني صاحب كتاب «خريدة القصر، والذي ألفه بعد نحو نصف قرن من وفاة عمر الخيام، لعله أول من أشار إلى الخيام شاعراً، بل وأورد له بعض أبيات كتبها من الشعر العربي مثل قوله،

إذا رضيت نفسي بمسور بلغةٍ
يحصلها بالذكى كفى صاحبي
أعنتُ تصاريف المودات كلها
فكنْ يا زماني مودعي أو مودعي
وحتى الذين يظنون أنني كتابة
هذا العالم الفلكي الرياضي لبعض
الربايات باللغة الفارسية، كانوا يدركون أن الكتابة على نظام «الربايات» لا تدخل صاحبها في مصاف الشعراء الكبار فقد كان ذلك اللون شبيهاً، إلى حد ما، من حيث القيمة الشعرية بوزن الرجز، في القصيدة العربية، الذي يندج الشعر الذي يكتب عليه في باب «الأراجيز» لا في باب «القصائد»، ومن هنا فإن الربايات كانت أقرب إلى تسجيل الخاطرة في قالب مكثف محدود الحجم،

ولم تكن أداب العالم، وهي تتمتع بمداد هذين العمليين القادمين من الأدب الفارسي وهما يرصدان حيرة الروح الإنسانية شعر، ولخالات هذه الروح فثرا، لم تكن هذه الأداب قد نسبت مداد عمل ذات كبير قدم من نفس دروب الحكمة الشرقية الهندية والفارسية والعربية وهو كليله ودمية، التي لم تتوقف عند رصد روح الحرية والأحلام والطموح والإحباط إلى روح الإنسان وعقله وأمره امتد إلى عالم الحيوان كي تتحرك الرموز على مرآته في أفق أكثر رحابة يتجاوز لغات إلى الإنسان، ويثقل المجال لما لا نهاية له من التأويلات والتمتع التي تكاد تبلغ، ألف متعة ومتعة.

ومن اللافت للنظر أن ترى هالة كبيرة من المفوضات المهيب، تحيط بمنازع هذه الأعمال الكبيرة، وصلتها بمؤملها حتى

الى الفارسي العربي من خلال فارس
تفتس جوهر العمل وروحه لتكمها لهم
لمسها بعض الحرية في توسيع المدى
امام جاسحي لترجمة الحرز لكي
تستطيع التحليق في فضاء جديد
ساعدوا على الانتشار في كثير من افاق
اللغات الأخرى



وما صنعتها ترجمة أنطوان جالون
الفرس مع الف ليلة وليلة في أوائل
القرن الثامن عشر، صنعه فينجرير، له
الإحليزي في أوائل النصف الثاني من
القرن التاسع عشر مع ربايعات الخيام،
كان الاديب الإحليزي ادو رد جون
دورسيل (١٨٨٣ - ١٩٠٩) لدى أشهر ملقب
فيتزجيرالد محبا للأدب الشرقية. وقد
تعلم الفارسية، وترجم عنها قصة
الامام واسال، لعبد الرحمن جامي
١٨٥٩، قبل أن يشرف في ترجمة بعض
لربايعات التي حصل عليها لعمر
الخيام، وكان المستشرق، وليام كوفيل، قد
عثر في مكتبة موديليان بأكسمورد في
اواسط القرن التاسع عشر على نسخة
حديثة فارسية لربايعات الخيام، فنشر
مقالا حولها، ثم كتب إلى صديقه الشاعر
والمستشرق فينجريرالد، عن هذه

تكون حفيظة وفيه في وقت واحد هي
ون الإبطائيس وعسما يوجد بعض
الإنشاءات فاهما قد تذكر لقاعد
ويصرف السطر عما يقابل فإن الترتيب
العملي لترجمات هذه الأعمال الكبيرة
لايف للأطمار في هذا المجال فكليلة
ودعته عرفت أكثر من سبعين ترجمة
مباشرة أو غير مباشرة للأدب الوسيطة
أو الحديثة، لكن أكثر الترجمات تأثيرا
كانت تلك التي عمدت الفصلة بين اس
المفرد والافولتين، وهي صلة تمت على
مرحلتين الأولى في شكل «ترجمة حرة»
من العربية الى الفارسية قام بها حسين
فاير كشت في القرن الخامس عشر
الملاي، وخملت عنوان «نوار سيلي،
والثانية «ترجمة حرة» كذلك من
الفارسية الى الفرنسية قام بها داود
الاصفياني في النصف الأول من القرن
السادس عشر ويعد حلالها ترجمة كاشف
إلى الفرنسية تحت عنوان «كتاب الانوار
أو مرشد الملوك، وهي الترجمة الحرة
التي وقعت في يد جون دي لا فونتين،
فأعجب بها واستعاد منها في حكاياته
على لسان الحيوانات (Les Fables)
إن نفس الظاهرة تكاد تتكرر مع الف
ليلة وليلة، في مطلع القرن الثامن عشر
حين يقوم الطوان جالون بنشر ترجمته
الفرنسية لهذا العمل الكبير فقلبي
نحاحا كبيرا في نقل شمة العمل الشرقي

هناك ظاهرة أخرى لاهة للسطر
في مرحلة انفعال هذه الأعمال الادبية
الكبرى من النطاق المحلي الى النطاق
العالمي، وقد رها على التعليل على
الحوار الفاصلة بين اللغات والتي
تحول في كثير من الأحيان دون نقل
الإحساس بجانب كبير من مدته النص
في خلال الترجمة، ذلك أن الترجمة في
مجالات مثل علوم الرياضيات والفيزياء
وما شاكلها يمكن أن تصبح إلى حد كبير
في بوسيل رسالة بين لغتين مختلفتين.
لكن الترجمة الادبية والتعبيرية خاصة،
غالبا ما تصطدم بعقبة «شكل المعنى،
التي يحمل مدافا خاصة في كل لغة
ويشكل حدا رئيسيا من متعة النص»
فكيف يمكن هذه الأعمال الكبرى من
احتياز هذه العقبة وحفقت في خلال
الترجمة «حاحا ناعرا جعلها مصدر
قوائم المطبوعات في اللغات التي ترجمت
اليها؟ ولقد سئل بالفعل أحد الناشرين
في لندن عن أكثر الكتب رواجاً بعد
الكتاب المقدس فأجاب دون تردد ربايعات
الخيام.
إننا يمكن أن نلاحظ أن ظاهرة
الترجمة الحرة، يمكن أن تقدم جانباً من
الإيجابية عن هذه التساؤلات، فقد كان
يقال في المثل الإيطالي «إن المترجم
والخائن وجهان لعملة واحدة، وكان يقال
أيضا «إن الترجمة مثل المرأة يصعب أن

ليست لديه فرصة الاسترسال والنسج
لطويل اللحى، كما كان شأنه في
الأعمال الكبيرة في الأدب الفارسي مثل
«الشاهنامة» وغيرها من الأعمال
المشهوراً^(١)، ويبدو أن عمر الخيام بالفعل
كان يكتبه الربايعات أو الخواطر
لنفسه على فترات متباعدة بعد كد
العمل الفلسفي والرياضي والملي، وأنه
قريبة منه، حيثما حل أو ارتحل، ولقد
كان أمر هذه المخطوطة وإرتحالها
وعقدائها والبحث عنها والعثور عليها
موضوعا لعمل روائي جميل كتبه
بالفرنسية أمين معلوف تحت عنوان
«سمرقند، وترجمه الى العربية الدكتور
عفيف دمشقية عام ١٩٩١ م، ولقد ساعدت
هذه الحالة من العموض المهيب، هي
علاقة الخيام بالربايعات على نسبة مئات
من الربايعات التي لم يكتبها الخيام
إليه، وعلى رسم صور له، من خلال ذلك
شديدة التناقض تنتقل من قمة الصفاء
والتصوف، إلى قمة الإلحاد والجحود
مروا بصور اللذة والخمر، والتشاؤم،
والتماؤل، والسمو والتدني، ولقد بدل
العلماء المستشرقون والفرس إنشاء من
القرن التاسع عشر على نحو خاص
جهودا مضنية، لحل مشكلات التناقض
والتناقض وكشف العموض المهيب في
ربايعات الخيام.

تجري في الأدب الفارسية



السنة. وقدمها له. فاجاب بها، وقرر ان ترجمها، وكان الخيام قد اكتشف شهرته باعتباره عالم علم في الرياضيات، انطلاقاً من مؤلفاته العلمية التي كان يكتبها باللغة العربية، التي كانت لغة العلماء والمسلمين عروباً أو غير عرب. في هذه الفترة، وبهذه اللغة أيضاً، كان يكتب بعض أشعاره التي اشارت إليها المراجع لعربية. أما الخيام فهي ملامات خاصة، كان قد أثر كتابتها باللغة الفارسية ولم يكن يتحصى لإعناها وشعرها، ومن هنا أول ما ترجم له إلى اللغات الأوروبية كان كتابه في الجبر، وقد صدر عام ١٨٥١م. وعندما أتم فيترجيرالد ترجمة مجموعة من الرباعيات المختارة عام ١٨٥٩، وأتى له بشأن أن يكتب عليها اسمه مترجماً، وتروك هذه المهمة لأصدقائه الذين اصافوه فيما بعد. لم يتحصى الشارون لها، ووافق أحدهم بعد عشاء على إصدار طبعة محدودة من مائتين وخمسين نسخة. ومع ذلك فلم يرح الكتاب إلا في أيدي المترجمين القليلين الذين تلقوا نسخهم على سبيل الإهداء، وظلت بقية النسخ راكدة عند الشارح حتى بعد أن خُفص منها بعض من شغل، إلى بنسب واحد، ومات فيترجيرالد عام ١٨٨٣، وترجمته لا تكاد تعرف، غير أن الشاعر الفريد تينسون أشاد عام ١٨٨٥، بهذه الترجمة الرائعة، وأهدى ديوانه إلى المترجم الذي كان قد وافق، وتعاقدت الأيدي النسخ القليلة. وأعيدت طباعة الترجمة مرات عديدة، وسرت موجات الإعجاب بها، في إنجلترا وأمريكا، حتى بيعت إحدى النسخ بعد نحو خمسين عاماً من موت المترجم نحو ثمانية آلاف دولار، كما سرت كذلك موجة من ترجمة الرباعيات إلى اللغات الأخرى انطلاقاً من ترجمة فيترجيرالد، التي كان فيها قدر كبير من الحرية، سواء في الانتقاء أو التعبير والتصوير، مع المحافظة على الروح الأساسية، حتى لقد قيل إن عمل فيترجيرالد لا يقل روعة عن عمل الخيام نفسه، وسوف نرى أن هذه الترجمة كانت مصدراً مهماً من مصادر تعرف اللغة العربية على رباعيات الخيام على امتداد الربع الأول من القرن العشرين، بل ومن أسبابها ظهور الخيام شاعراً في اللغة الفارسية ذاتها التي كانت شهرة الخيام فيها تصب على مؤلفاته العلمية والفكرية والتي كتب معظمها بالعربية.

وقد عرفت المدرسة بدورها اهتماماً مبكراً بترجمة رباعيات الخيام، وكان الإمبراطور نابليون الثالث هو الذي رغب في إصدار ترجمة للرباعيات، فدعا جون ناتيس نيوكولا عام ١٨٦٧، وبوالت جون ذلك ترجماته كثيرة للرباعيات إلى الفرنسية أمثال ترجمة جون مالوك بوزان،

وكلود أني وشارل جرولو وارنوس جي وغيرهم.

وفي خط مواز لحركة ترجمة الرباعيات في الأدب العلمية، وجدت حركة واسعة لسمعة الخيام، انتصت الترجمة، وبين مدى ثقة انتسابها إلى الخيام أو انتحالها عليه، وقد كان من أوائل الدراسات في هذا المجال، ما كتبه المستشرق جوفسكي Zukowsky عام ١٨٩٧، محاولاً تجميع الرباعيات التي وردت في ترجمة نيوكولا الفرنسية، والتي ملغ عددها ١٢٤ رباعية، وقد استطاع أن يخرج منها ٨٢ رباعية ردها إلى شعراء آخرين من الفرس، وحاول التآمل في هذه الرباعيات المختلفة من خلال تقسيمها إلى حقول معينة، فوجد أن كثيراً منها يجمد التزممة الأيقونية (الميل إلى الانحسار في الملمات) أو التزممة التجديفية، وهي رباعيات كان يتصبها بعض المتصوفة أو أصحاب العلوم الدينية إلى الخيام الذي لم يكن ينيه وبينهم وفاق من أجل تنويع صورته في أذهان الناس.

وقد تنبه إلى هذا، بعض مترجمي الرباعيات إلى الحرية وامسكوا هن ترجمة بعض ما ينسب إلى الخيام من رباعيات، يقول الأستاذ إبراهيم العريض لقد اقتصرنا على تلك الرباعيات التي تشهد على نفسها أنها للخيام لا سواء، وأعرضت عن الهزليات المدسوسة في شعر الخيام، التي هي أبعد ما تكون من روحه.

ظلّت مشكلة التناقض

الظاهرى بين بعض الرباعيات

وبعضها الآخر قائمة، حيث يقترب بعضها

بالخيام من شواطي الإيمان والتناجاة، في حين

تدفعه بعض الرباعيات والأخرى

إلى بحيرات اللذة والتجديف

ومعنى ذلك أن العدد الأصلي يفوق ذلك الرقم ولم تكد تكتشف هذه المخطوطة، حتى اكتشمت مخطوطة أخرى في إيران أقدم منها، تعود إلى ١٠٤٠هـ، ١٢١٦م وتحتوي على ٢٥٢ رباعية.

لكن ظلّت مشكلة التناقض الظاهري بين بعض الرباعيات ويدهمها الأخر قائمة، حيث يقترب بعضها بالخيام من شواطي الإيمان والتناجاة، في حين تدفعه بعض الرباعيات الأخرى إلى بحيرات اللذة والتجديف، لكن العرصرى بيبر سالى Pierre Saley وهو مثل الخيام، فلكي وعالم وأديب ينظر إلى الرباعيات من منظور آخر، فلا يرى فيها تناقضاً، وإنما يراها تعبيراً عن مراحل متتمة متعاقبة أو متداخلة، مثل ما بها حياة عمر الخيام، وقد يقسم هذه المراحل إلى تسع مراحل هي:

١. الشاعرة والإله، وهي مرحلة إيمانية سادت في بدايات حياته، وإليها تنسب معظم الرباعيات.
 ٢. الحب وموعد.
 ٣. وحدة الأديان، وفيها يتقنن الخيام بالمسجد والكنيسة والبيعة، كما كان يفعل ابن عربي أو أبو العلاء العمرى.
 ٤. مرحلة القلق والوح، وهي مرحلة القضاء والقدر وإليها تنسب كثير من الرباعيات.
 ٥. مرحلة التشاؤم العدمى.
 ٦. مرحلة التآمل في الخلق والإبداع.
 ٧. مرحلة الفلكية والاهتمام بالنجوم.
 ٨. مرحلة الخمرات الخالدة.
 ٩. مرحلة الحلول والاتحاد.
- وكانت هذه هي المراحل الأولى التي يقف فيها أحد العلماء الدارسين أمام المراحل المختلفة لحياة الخيام وانكاساتها على رباعياته.



وإلى جانب موجات ترجمة الرباعيات وقد انتصت، وتحصوها، سرت موجة أخرى من التأثر بها في إبداعات الأديباء الغربيين، ومن بين الأعمال التي تأثرت برباعيات الخيام ديوان الكاتب الفرنسى السكندر أرمو Alexandre Amous الذي نشره عام ١٩٤٣م بعنوان «مالة وسبع رباعيات»، وظهر فيها بعض بوضوح شائره بملفحة الموت والخلود، وموقف الإنسان أمام مظاهر الكون، ومقارنته بها على النحو الذي وردت به عند الخيام، وتردد كثيراً في رباعياته مقولات خيامية مثل: «على مواجهة الفتاة يتساوى البحر العتي الذي يرمزمز، والإنسان الصميف الذي يتحسر، أو قوله: «لقد خرجنا جميعاً من الأرض والله جميعاً نمود، وسوف يعطوننا منها كما قريب، كأننا وحلنا



مد الآلاف السنين (فقد تساوى في الشرى راحل، غداً وماضى من الوقت السنين) وقد يمر ذات يوم أحد أمام قبرها، فيفهم بعض الكلمات العابرة، أو قوله، «إننا منذ أن نتج عيوننا على الحياة نبحث عن الموت دون أن ندري، حتى نموت أياديها، وإنما، وتشتد حيرة اردو وفورته في بعض المراحل فيستأمر، لا، ثم كل هذا؟ ألم يكن هي المكان وجود عالم الفصل من هذا العالم يستطيع الإنسان فيه أن يحس لحظات أكثر سعادة، ثم تهدأ فورته بعد حين فيقول، «ربما ينبغي أن نثني طرق السؤال، لماذا؟ لأن أحداً لا يستطيع الإجابة عليه، ولأنه يهدد بتعطيلهم سماعتنا ذاتها، ثم إن الموت لن يتصير أبداً على خلود الروح، وسوف يأتي يوم تنطفئ فيه النجوم، وتذرك السماء، وتضمحل الأرض بأكملها، ويعد الموت جناحه على كل شيء، لكن خلود الروح لن يتوهم أبداً».

إن تأثير الخيام يمتد كذلك في الأدب الفرنسي إلى صناع الحكايات الشعبية على السبيل الحيوانيات Les Fabulistes ومن هؤلاء الأخوة تارو Tharaud في المجموعة القصصية التي صدرت وهم عام ١٩١٣ بعنوان، «حكايات نوتردام» حتى عن حمار مزبد مطيع كان يحرس على أن يمضي هادئاً حتى لا تسقط حمولته المرفوعة من الأواني الفخارية الطارئة. لكنه يسمع أثناء سيره أواز الأواني وهي تسالل فيما بينها، لماذا يقتل البشر من شائنا ولا وصفاً إنساناً بل بألفاظ شبيهة بالإنسان الفارع، فأجاب بعضهم، لأن الإنسان نفسه فارغ يعلو غلته وجوفه بأشياء مختلفة متنافرة. والإحسان كأي صاعمة فأصارت إلى أن وجدت أن يستطيع أن يحس بلحظاته سروره إلا من خللها هي وأخواتها، ومن خللهاهن يتمكن المدحون من بنسب البشر أن يصلوا إلى أجمل أسرار الحياة، ما جرت مهمته بين الجميع، ما الفرق بين الخرف والخفاف؟ بين الإنسان والآنثى؟ أسأنا جميعاً من الطيور؟



وعلى نفس الطريقة الخيامية في محاربة نوازع الشر والمرض في الإنسان، وسير شاعر فرنسي آخر هو «جون كوبي» Jean Kobs في مجموعته «ورود الليل» Roses de la Nuit، التي يجعل درات التراب تتحدث فيها، وهي ترقب خطى قافلة بنى الإنسان وهي تسير في صحراء العالم، وأفرادها يهتدون بالكتب والنجوم ليستريحوا من تعب الرحلة، لكن الواحة الوحيدة التي تقابلهم ويؤمنون الراحة فيها، يكتشفون أنها واحة الموت،

ويكتشفون أن الحياة حلم يتعكس في مرة ليست إلا وهماً، وأن الإيمان يدور حول نفسه يبحث عن نفسه. في عام ١٩٥٩، احتفلت الأوساط الأدبية في العالم، بمرور قرن كامل على ظهور ترجمة فينيزجرالد للرباعيات الخيام، وأعطت هذه المناسبة قوة دفع جديدة للروح الخيامية في الأدب الغربي، ففي هذا العام جيو دي سايكس Guiflot de Saix وهو أحد كبار دارسى الأدب العارسية في فرنسا، قدم تأملات في رباعيات الخيام ومحاكاة لها في مثل قوله،

لماذا جئت إلى هذا العالم؟ وإلى أين اضئ لماذا يتوكل الربيع عن مواسلة الأبتسام لماذا تملق شعاعه الرقيقة المضمعة بالمعزور لماذا صممت العنديل الذي يعنى لأغصان الشجر في أبريل من أين كان قد جاء؟ وإلى أين فر واختم؟ من يستطيع أن يجيب؟ وفي هذا العام كذلك، قدم إميل ديزرون Emil Desron، وهو مستشرق كان يحسب العربية والفرنسية، ترجمة جديدة لخسارات من رباعيات الخيام، وأهداها إلى فينيزجرالد، كما قدم كذلك، ريف جير، لودونستيك Yves - Gerard le Danec للرباعيات صدرها بمقدمة من أعمية ترجمة فينيزجرالد التي كشفت للعالم عن وجه هذه الصفة الشعرية الجميلة.

إن تأثير الخيام يمتد كذلك في الأدب الفرنسي إلى صناع الحكايات الشعبية على السبيل الحيوانيات Les Fabulistes ومن هؤلاء الأخوة تارو Tharaud في المجموعة القصصية التي صدرت عنهم عام ١٩١٣ بعنوان، «حكايات نوتردام»



وتركيز التفكير وهوفاً كثيراً أهدم السمة الرياضية لعمار الرباعيات، وهو «العمار» الذي اعتد اكتشافاً ثامناً للشعراء الغربيين بصفة عامة، وحاولت دراس كثيرة مثل دراسات هير ماسي وغيره أن تقسم المراتب من سيرة الرباعيات والعكر الرياضى والمفلسى لعصر الخيام، ومن هذه الناحية فقد استقبلت الرباعيات على أنها إبداع شعري وتاملات فلسفية في وقت واحد، وبصفة عامة فإن رباعيات الخيام، جعلت الأدب الروسى، وهو أدب حاليين انتمائه الغربى والشرقية، يفتح على لغة وصورة وأفكار وشاعرية أكثر شرقية، وساعدته كما يقول فيلوتونيكو على أن يطور شاعريته في مواجهة العالم، كما أن المستشرقين الروس كانوا من أوائل من فتحو باب الحوار حول قيمة الإصالة والانحلال في الأدب الروسي، وفقاً للمنهج التاريخى، أن ٨٢ رباعية منها مشكوك في نسبتها إليه ويمكن نسبها إلى شعراء آخرين، وفهمها إلى حقول معبوءة تترن نحاتها عليه من قبل أعدائه في عصره والصور اللاحقة عليه.

إن العسكرية التي تسقطها الأدب الروسى وطورها عن، حداثة، الرباعيات وفابليتها لآل تحمل أفكار التطور الهائلة التي عايشها القرن التاسع عشر والعشرون، بل تكن غائبة عن الأدب الأوروبية الخيامى من إنفا في الواقع شكلت مرتكزاً من مركزات النظرية الفرنسية التي اختلفت درجة أو باخارى عن النظرة الإنجليزية للرباعيات والتي شكلتها ترجمة فينيزجرالد، أولى الترجمات العلمية له، ومنذ ترجم فصل فرنسا القديم في روسيا وسفيرها في إيران جون داتيتش نيكولا عام ١٨٧٧ برعانة وخمسة وعشرين رباعية لخيام، انطلاقاً من مخطوطة مكتبة طهران، تنه الدارسون الفرنسيون إلى القيمة العسكرية الكبيرة لهذه الرباعيات، وكتب كبار الأدباء والعلماء الفرنسيين يحفون بهذا العمل الرائع، هكذا عبر تيوفيل جوتييه Theophile Gautier مقال نشره في ديسمبر عام ١٨٧٧ في جريدة المرشد العنصلى Moniteur Universel معنون، «هل قرأت صمر الخيام»، عن إعجابه الشديد بما تحمل الرباعيات من فكر حديث سبق عصره بقرون وهكذا شاركه النظرة المستشرق الشهور إرنست دي ريكان في مقال له في الجريدة الأسبوعية Le Journal Asiatique، عام ١٨٦٨، وطلت نظرية المفكرين والمترجمين الفرنسيين، في كثير من الأحيان، إلى الترجمة الإنجليزية الشهيرة لفينيزجرالد، فأنه على أنها ترجمة ناجحة شهيرة، تقيت دون شك في

ترجمة لاثني عشر وخمسين مترجماً من بينهم ١٤ مصيراً و١٠ عراقياً وخمسة لبنانيين وخمسة إسرائيليون والذين الأربعة سوريا وفلسطين والبحرين والسعودية والعمان، ويعدو ما يقرب من ثلث هذه الترجمات إلى الترجمة العربية الفلسطينية لفيوتزوير، على حين تبدأ موجة الترجمات التي تعود إلى الفارسية مباشرة بالترجمة الشعرية الجديدة (عامة) عام ١٩٧٤م، وتؤرخها هذه الموجة بدءاً ذلك خاصاً من الشعراء والأدباء العراقيين من أمثال جميل النجفي، والتمواري وأحمد الصافي، والصبغ، وأحمد حامد الصمد، وعالم الحيدري، وعبدالحق فاضل، ومهدي جاسم حين تبذل الترجمات من الفارسية مباشرة نحو إحدى وعشرين ترجمة، وهناك ترجمات كانت تتم من خلال لغات أخرى وسبغت لها التركية أو الإيطالية. وكما تبوءت مصادر الترجمة في الرياضات ترويض الأشكال الفنية التي تجلب لها الترجمة، وكان من الطبيعي أن يستل الشعر باقائه المختلفة مركز الصدارة حيث جاءت أكثر من ثلثه من خلال الترجمة سواء كان ذلك من خلال الترجمة الشعرية المباشرة، أو النظم الشعرية المترجمة شريطة سادته أو الترجمة من خلال شعر القصيدة ودخل هذا التنوع اللغوي، فتتوزع على خمس حيث تنقسم الترجمات إلى الفصحى، وعبد الأبيات التي قل ما قل شعر شعري، وهو العدد الذي لا يشكل نشأ المصطلح الرباعية في الأصل، وعلى النظم بالعناية الواحدة أو التوزيع بين الفصحى عيسى إسكندر الطوسي عام ١٩٠٤م، ثم رعايات جاءت بأسلوب الترجمة في شكل كتابات أو ثلاثيات، ولوح فيها بين محور الكامل والجزء والرميل. أما البيستيات التي طرحها شعائير رباعية فقد اختارها بعد السبعيات ما بحر الحليف مع طرطن في القوافي ما يقرب من نظام الوضوحات، وقد أطلق بالفنم مصطلح الوضوحات، على الأناشيد الرباعية في الجيزة.

وقد تابع عبد الرحمن شكري في الروايات الثلاث نص ترجمتها، تابع مستثنى في اختصاره لبعض الخفيف، ولكنه اختار لكل رواية قافية موحدة.

أما محمد الميماني الذي بدأ أول من تجاوز المائة رواية في ترجماته الشعرية عام ١٩١٧م، فقد اختار قافيةً واحدةً طويلاً، تمثل في فن والمضامين على طرف الرجل، فامتدح كل رواية من خمسة أشطر على هذا النحو:

قال قوم أعصوا الدنيا نصيباً
هذه الدنيا اشتاق حبيباً
وغيري قل الأعرشى سلوباً
نلة للدم وسلب عاجلاً

[illegible]

عن رياضيات الخيام شيعاً، وإن كان اسم عصر الرياضيات يتقدم في هذه المصنفين من علماء الحضرة العربية الإسلامية لأن أكثر مؤلفاته في الفلك والرياضيات والعلامة تتجلى بالعربية، ونشر بها قليل من شعره كما أشهدنا في قبل.

وعندما استأنف الأديب الحرس الحديث في مطلع القرن العشرين الانسلاخ إلى رياضيات الخيام كان متأسراً بأصداً اهتمامات الأديب الغربية بالرياضيات ورجعتهما إليها، خاصة الترجمة الإنجليزية لفوتيربول التي تأثرت بها حركة ترجمة الرياضيات إلى العربية كثيراً، خاصة في الربع الأول من القرن العشرين، وبما كانت مقدمة وبيع الاستساخنة لترجمة الشريعة الرياضيات التي ظهرت عام ١٩١٢ مصرية من هذه الأنهار التي أحاطت بالأديب العرب من جراء الاعتماد على المكيبر بالرياضيات يقول (البناسي^(٢))، وإذا أردت الإسراع إلى سرمار الإنجليزي الأمريكي بالرياضيات، إن لم أقل ولوعهم وبهاهم فيها، وأخبر بما واجهناهم بها، بحسبي أن أخبر بما قضيت ورائته وعرضه بنسب أشعثاً فإشاعت منه وجيزة في لندن... دخلت مكتبة المتحف الإنجليزي... وتناولت مجموعة واحدة وفتحتم اسم عصر الخيام همدت بنا ثلاثة وعشرين كتاباً، بعضها طبعات مختلفة من ترجمة فوتيربول، بعضها مخرقة، بعضها مخرقة ومخرقة، وبعض غير مخرقة، والبعض الآخر ترجمات متنوعة لأدباء مختلفين من عصره، وفيها ثرية، وهذه مثقلة تصرف

لفت نظر العالم إلى هذه البرياعات، ولكنّها في الوقت ذاته عرفت، فصّاً شرقياً، أنّها قد كانت كثيراً من خصائصه الأصلية، وقد طُلّي الحواف حول هذه الخصية متجدّداً في العصر الحاضر

فقد صدرت عام ١٩٧٧ ترجمة فرنسية جديدة للبرياعات الخيام المفلّاحاً من مطبوعة أكسفورد وقد كانت جرولو Ch. Groleau في مقدمة الترجمة، يوجّه

التقدّر إلى فيزيقيبرالد وشيخه بأنه يرى من طبيعة روح هذه اللغة الفارسية، وأنّج بدلاً من نصّها غريبة، وأصبح من الخيام في نص فيزيقيبرالد شيئاً بالإنشءاء

والأوروبيين من أمثال، بن وسوسنيير ويودنيل، بل إلى أنه أصبح، كما يقول جرولو

أما عاقلت.

[illegible]

بدأت رحلة رباعيات الخيام مترجمة إلى اللغة العربية المعاصرة متاحة مرة أخرى. فقد عثروا على نسخة من الأدب البغوي. ولم تكن العربية في القرون التي تلت الخيام تعرف من ترجمة رباعياته شيئاً. ليبدأ عدا ترجمة رباعيات واحدة، فها هو فارسي كان في المعصن في القرن السابع الهجري يؤيد محمد بن إسحاق بن مطهر، المعروف بنظام الدين الأصفهاني والذي أفاضلنا لأصفهان وشاعراً اكتسب الفضل في عدد الخليفة المستنصر العباسي. ولم يكن معجباً بالرباعيات ولا بعباسي أنها، وقد أنجزت ترجمة الرباعيات واحدة في معرض تفسيره وأراد عليها أن يربط رباعيات من تأليفه ورباعيات الخيام ترجمة به:

الصانع إذا أحسن في التركيب
لم يخرج نظمه من الترتيب؛
إِنْ شاء فمن حق بالتثريب
أو أحسن ما الحكمة في التخريب؛
وفيما عدا هذه المحاوله صمت الأدب
لعربي أكثر من ستة قرون، فلم يعرف

في القرون التي تلت الخيام،

لم تكن العربية تعرف من ترجمات

قام بها فارسي من أصفهان في القرن السابع

الہجری هو محمد بن إسحاق بن مظهر،

المعروف بنظام الدين الأصمعي



من نعيم لسراب ذي شجاع
أما أحمد رامي الذي قدم عام ١٩٢٤م،
أول ترجمة مباشرة عن الأدب الفارسي،
اختر من خلاصاته مائة وثلاثين ومئتين
رباعية، قد شكلت ترجمة متممها
مهماً في اتجاه ترجمة الرباعيات. فمع
إن رامي قد بدأت صلته بالرباعيات في
مرحلة مبكرة عندما قرأ الترجمة
الشعرية لوديع البستاني، وأعجب بها،
وصلى إلى قراءة النص الإنجليزي في
مرحلة لاحقة فازداد إعجاباً، لكنه ظل
يتطلع إلى التعرف على النص في لفته
الأولى، الفارسية، لفها الخيام نفسه، ومن
المصادفات اللاحقة للنظر أن يتم إبعاد
رامي إلى باريس، لدراسة اللغة الفارسية
في مدرسة اللغات الشرقية هناك، ويتاح
له من ثم، تعلم الفارسية والأطلاع على
الترجمات الفرنسية للرباعيات بدءاً من
ترجمة جون باتيست نيكولا، ولواقع أنه
بهذا الأطلاع، قد أتبع له التعرف على
وجهة النظر الفرنسية في تأويل الخيام
وأنشئ لتفسير إليه على أنه مستصوب،
وتفسير عبرياته وتساؤلاته وشكوكه،
تأويلاً رمزياً في هذا الاتجاه، وهي نظرة
تقابل التأويل الإنجليزي الذي اختارته
ترجمة توماس جوردن، والتي أظهر الخيام
من خلالها مضموناً شاعراً، لا يجد
إلا في لفظة الخمر ملجأ من حيرة.
وقد اختار رامي التأويل الفرنسي،
ودعمه بالعودة إلى الأصل الفارسي الذي
لم تكن تتم العودة إليه في الترجمات
العربية السابقة، وهو يقول في مقدمته
ترجمته: وجدت نسخة رباعيات الخيام
التي قام بنشرها عام ١٨٦٧م المستشرق
الفرنسي ليفولاً عن نسخة طبرستان،
فاقتطعت لقرائنها، وتقرئت على درسيها،
حتى إذا انتهيت منها، دار بخلدي أن
أقلها من الفارسية إلى الشعر العربي،
في رباعيات كما نظمها الخيام، وشجعتني
على ذلك افتقار اللغة العربية في ذلك
العهد، إلى هذه الرباعيات منقولة عن
الفارسية^(٢).



ولا شك أن بعض الملاحظات التي
أحاطت بترجمة رامي للرباعيات، قد
ساعدت على شدة التحامه بها وتمسكه لها،
ومن هذه الملاحظات ما أشار إليه رامي في
المقدمة من نظرية نيا وفازة شقيقة محمود،
وهو في غرته في باريس ليليل شروعه في
ترجمة النص يقول: فاستمعدت من
حزني عليه، قوة على تصوير آلام الخيام،
وأظهر لعيني بطلان الحياة التي نسي
عليها في رباعياته، فحسبني وأنا أترجمه،
أنظم رباعيات جديدة، أودعها حزني على
أخي الراعي، في نظيرة الشباب، وأصير
نفسى، بقرضها، على فقده.

العدد الثاني والسون - مارس ٢٠٠٤ م

ولقد أثر رامي من ناحية البناء
الشعري أن يحافظ للرباعيات على
سمتها العددية الأولى، فصاغ الرباعيات
المائة والثمانين التي اختارها،
في شكل القالب الرباعي، فجعل كل
واحدة، أربعة أشطر من بحر السريع.
وجعل لكل رباعية قافية موحدة يلتقي
فيها الأبيات الأولى والثاني، والرابع،
ويصدر الثالث بقافية خاصة، وهو نظام
يسمى في علم العروض، بنظام الرباعي
الأرجح مثل:

لا تشغل اليال بجماني الزمان
ولا يأت العيش قبل الأوان
وأغنم من الحاضر لذاته
فليس في طبع الثالي الأمان
ولا شك أن جوانب القوة في الانتفا
من خلال الرجوع إلى الأصل، مع الإلمام
بوجهات النظر المختلفة في الأدب
العالية حول قوافيه، مضاعفاتها شدة
الالتحام بالنص وتمسكه، وتركيز على
جوانب الحيرة الخلاقة، وتأملات العشق
والجمال، والمناجاة للإلهية، لا شك أن
هذه الجوانب جميعاً أضيف إليها ما تفرّد
به النص من اختيار سيدة المعاء العربى
في القرن الثامن عشر م كلشوم. لترجمة
رامي، في لحن اعترع ملايين المستمعين
العرب، وعشق الفناء العربى، فعزوا
طويلة، وهو قابل بخلوده الفني لأن
يستمتعهم مقبوا أطول وأطول، لأنه
يستطيع لتكثرون من خفقات القلب
الإنساني، ويتجاوب مع أشواقه
وضراعاته:

أولى بهذا القلب أن يخفقا
وفي ضرام الحب أن يحرقا
ما أضيع اليوم الذي مر بي

من غير أن ألوى وإن اعشقا
وكم توالى الليل بعد النهار
وطال بالألجم هذا المدار
فاشرب الويتنا إن هذا الشرى
من أين ساحة الأحوار
♦♦♦

يا عالم الأسرار علم البقير
يا كاشف الضر عن الباسين
يا قائل الأعداء فتناً إلى
ذلك فاقبل ثوبة التالبيين
♦♦♦

إن لم أكن أخلصت في طاعتك
فإنني أطعم في رحمتك
ولما يشع لي أننى
قد عشت لا أشرك في وحدتك



اكتسبت ترجمة أحمد رامي هذه
المكانة المتميزة لآلائها المباشرة بالأصل
الفارسي ولعائشة المترجم للرباعيات
معاصرة فكترة ووجدانية، ولسمو المستوى
الشعري لرأي الذي كان يعد في طائفة
كبار الشعراء الفانيليين في العصر.
والحق أن معظم الشعراء البارزين في
العالم العربى قد ساهموا بطريقة أو
أخرى في تقديم ترجمات جزئية أو كلية
للرباعيات، بدءاً من ترجمة رباعية واحدة
على يد العقاد إلى ترجمة مائة وثلاثين
رباعية على يد جميل صدقى الزهاوى،
وصولاً إلى ثلاثمائة وواحد وخمسين
رباعية على يد أحمد الصافي النجفي
أو ثلاثمائة وأحدى ولثمانين رباعية على

يد عبد الحق فاضل سروراً بأبعاد
مماولة عند أحمد زكى أبو شاذى وبامر
يجرى وإبراهيم المازنى ومصطفى التل
ومحمد السباعى وغيرهم من مشاهير
شعراء العرب في القرن العشرين.
ولم يكن نصيب النثر العربى بأقل
حظاً في ترجمة الرباعيات التي كانت
تترجم أحياناً على يد المترجم الواحد،
مترجم آخر، كما حدث مع ترجمة أحمد
حامد الصراف للنثرية التي ترجمها
شعراً محمد الهاشمى البغدادي، وقد
تكون الترجمة الشعرية على يد الأدباء
الأكاديميين كان كما الشأن في ترجمة
الدكتور محمد شفيعى على ثلاث
وعشرين رباعية في مقارنته من الأدب
الفارسي.

ولم تقتصر ترجمة الرباعيات على
الشعر والنثر في اللغة الفصحى، بل
ترجمت إلى الشعر العامى في مصر
ولبنان والعراق، كما هو الشأن في ترجمة
حسين مظلوم رياض (إلى العامية
المصرية) وهما الترجمان إلى العامية
العراقية وأثر ضوى إلى العامية اللبنانية،
وهكذا، تسكن هذا العمل الشعري
الفارسي أن يصحبه بعدة ثقافة نعت
شعائرية قرون لكي يجتاح أدب العالم في
شرفه وغروره مؤكداً أن روح الأعمال
الخالدة تستعصى دائماً على الفناء^(٣).

الهوامش:

(١) تم طبع رباعيات الخيام باللغة
الفارسية للمرة الأولى في فيينا عام ١٨٠٤م
على يد المستشرق النمساوى في دومباي
Dombay. وكانت شعرة الخيام العلمية
قد سبقت شهرته الشعرية حتى إن كتابه في
الجهنم، ترجم إلى اللغات الأوروبية عام
١٨٥٩م، قبل أن تترجم الرباعيات للمرة الأولى
عام ١٩٨٩م.

Philonenko Les R obau d.B.S (٢)
Omer Khayyam et leurs Traductions
russes Luqman N 1, - 2001 - 2002
Paris

(٣) رباعيات عمر الخيام، الفيلسوف الشاعر
الفيلسوف الفارسي، مصر: نطقاً بقلم وديع
البستاني عربى، إنجليزية، فرنسي، فارسي،
أروني، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر،
ببيروت ٢٤

(٤) رباعيات الخيام (١٤٢ رباعية) ترجمة
إبراهيم العريش، المكتبة الوطنية وهروغها،
البحرين عام ١٩٨٤م.
(٥) أحمد رامي، رباعيات الخيام، مكتبة
غردم القاهرة ١٩٨٥م.



تهتم وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والمكتبات والمؤلفين الذين يساعدها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات.

العراق المعاصر

عبد الرزاق خليم رشيد
معلق دار أسنى للنشر والتوزيع
٢٠٠٣
١٢٢ صفحة



يتابع الكتاب مسيرة أنظمة الحكم والأحزاب السياسية العراقية لأكثر من نصف قرن، مما أفرزته هذه الفترة من دروس والعبر. سلطت أفكار وممارسات المجتمع العراقي بأفراد ومؤسساته ومنظماتها، كعلاقة مع أزمة الديمقراطية في العراق، كما أنه بحث في سبل تطوير الخطاب السياسي للأحزاب العراقية، بالتأخذ بالثقلية والشعالي السياسي والفسول بالشرعية الدستورية تحت مظلة الاستقلال الوطني، واستعادة تبسلي التقسيم والممارسات الديمقراطية في سبيل بلوغ أهدافها السياسية وتحقيق برامجها الاجتماعية. بدأ الكتاب بمناقشة نظرية موجزة لأنظمة الحكم والديمقراطية والأحزاب السياسية، من حيث مفاهيمها وأصولها وعلاقتها، ثم تضمنت القسم الأول المسيرة التاريخية للعصرنة لأنظمة الحكم والأحزاب السياسية العراقية، في العهد، الليبرالي الملكي، والشمولي الجمهوري وما خلفته من مواريت طبعته التعليمية السياسية العراقية تحت الوكيت الحاصر، وفي القسم الثاني عالج الباحث موضوع أزمة الديمقراطية ومكوناتها التاريخية والاجتماعية، بدءاً بدراسة الأزمة على المستوى العربي عامة، وحتى أزمة الديمقراطية في العراق في صورتها الموضوعية، وفي القسم الثالث كان مخصصاً لدراسة وتحليل أوضاع الأحزاب العراقية من زوايا ثلاث أثار المصرية التاريخية المعاصرة في مسيرورة هذه التنظيمات السياسية، من حيث صفاتها ومؤسساتها وممارساتها، وطبقته هذه التناقضات كما تجسدت داخلها الداخليه وبمزامتها الوثائقية السياسية الاقتصادية والاجتماعية، ثم راعى عبته من المتخصص العراقيين بالعمليّة الحزبية لسياسة العراقية، ثم جرت في القسم الرابع، الأخير، محاولته لاستثمار حصيلة هذه الاتجاهات الثلاثة، لتعبر مشكلات لأحزاب العراقية وبحث إمكانية تطوير خطابها السياسي لصالح التحول الديمقراطي.

هل تلاعب رشيد رضا بسيرة الإمام ليحلل من المناضل الليبرالي مثقفاً سلفياً؟

الشرققيس في إطار من الوجودية الوطنية، وفي ظل نظام نيابتي متدنٍ يتبع شتاً شتاً للمشاركة الشعبية بعد أن ينتشر التعليم والتثقيف بين الناس، ونخبة وطنية تحمل محل أهل الحل والعقد، وتزوّج عملية التسجيل والتثقيف، ونظام قانوني عرالي المصالح، وفي الأفكار داتها التي لينتها التثقيف الليبرالية انذاك، وهو ما يضع عبده ضمن المصلحين الليبراليين من مجابليه، أكثر مما يعيده إلى المصلحين المينيين وخصوصاً السلفيين منهم، «الروحانية المباشرة» هي التسمية التي يطلقها المؤلف على مشروع محمد عبده الذي عاش عشرين بين السياسة كما تمارس فعل، والسياسة كما يتجلىها رجل الأخلاق والإصلاح.

وبعزّ المؤلف بين مرحلتين في الخطاب الإصلاح في العراق، مرحلة الشباب وتشمل خطاباً فرجياً مابراً وحزواً، وشكلاً يتكلم واضح لعلّعلّعلّ الإمام على شرح الدواعي، أما المرحلة الثانية، فتشملها «رسالة التوحيد»، وتضمن القرآن، والحضرة فيها كتابات الإمام بين الثانية جدول أو تقرير، فهي سبب حيوية كتابات مرحلة الشباب، فهي أن محمد عبده كان متحرراً من وظيفة الإفتاء الرسمية، كما لم يكن مقيداً بمجسّل الظروف السياسية والاجتماعية آنذاك. يعكس كتاباته في مرحلة التضييق، ويعد عبده من الصدرات التي انشلت الحركة الوطنية، ما جعل ملحوظات الإمام أكثر تواتراً... «ويؤكّد» من مشرعه النقدي للثقويون الصلبي الكلاسيكي والصوفي، وعن الأنصار السياسي بضمه العراق، وربما كان هو الدرس الذي وعاد خلفاء عبده من المشايخ، خصوصاً الشيخ العراقي، وقد خصصوا جميعاً من صولات عبده الحديث، وتضمنت هذه الأثر أوشكو أن يجعلوه أنزواً خاصاً وخديوا أميناً. أما الخطاب الديني المعاصر فقد تبنى كتابات مرحلة التضييق، فترجمت رسالة التوحيد عبرت الأثر وترجمت إلى لغة لغات والبرجت في الحضرات الدراسية، فيما تم تهميش مؤلفات مرحلة الشباب، بما يعني أن الدوافع الأيديولوجية مازالت ضرورية مقدمة على ستمية الاجتهاد.

عند قنائف صدامية يعاينك بها مؤلف الكتاب، أولها أن مسيرة الإمام محمد عبده (١٨٩١، ١٩٠٥) تم التلاعب بها، فقد انتظر رشيد رضا عاماً بعد وفاة الإمام كي يكتسبها، وخلال هذه السنوات بوفى كل أعصاء اللجنة التي تشكلت لكتابة سيرة الإمام بعد وفاته سعد وعول وقاسم أمين وعبد الكريم سلمان وحسب عبد الرزاق. وجب رشيد فابه اضاف وحذف وحرف كي يبدو محمد عبده أكثر سلفية مما كان عليه في الواقع، وهو ما يتواءم مع اتجاه رشيد رضا نفسه الذي ضاع الوهابية بقوة حتى آخر حياته، وقد دسعي رضا أيضاً إلى التقليل من العادة التي كانت قائمة بين الإمام والحدويين عباس حلمي الثاني، وهي العادة التي دفعت الإمام إلى أن يكون في كثير من الأحيان على علاقة بالإنجليز أقوى من علاقته مع القاصر، وقد قام رشيد رضا بذلك مدفوعاً بعبدة دوافع، أولها ألا تصادم صريحته المثار، والا تلحقه نقمة الحدويين بعد أن فقد حماية الإمام بوفاته، وأبعد عن عرفة التاريخ في البلاد بوصفه غير مصري، وثانيها أنه كان يرغب في تأسيس مدرسة للدعوة وكان بحاجة لدعم الحدويين فتم له ما أراد وفتحت المدرسة أبوابها عام ١٩١٢ لكنها لم تعمر طويلاً، وقد خدمت الظروف السياسية رشيد رضا، إذ اشغل رفاق عبده بالأحداث السياسية المحلية انذاك، كما أنهم أثروا ألا يرتبطوا بسيرة الإمام بعد وفاته، كي لا يضار بهم بوصفهم، حزب الإمام، مع ما توحى به هذه التسميات من ميل إلى معاداة الأسرة الحدوية ومهادنة الحماية البريطانية، وهم الذين كانوا يطالبون باستقلال مصر عن بريطانيا باسم العرش الحديث، وتشكل عام راضاً لم يكن من تلامذة الإمام المثيرين، ولم يترافقه سوى ٧ سنوات فقط، جرحهم المؤلف أيضاً أن محمد عبده لم يكن سلفياً، فهو لم يجتزل الإسلام في مرجعية نصية صلبة، وكان قليل اللجوء إلى الأحاديث النبوية، ودعا إلى دولة قوية تنهض

محمد عبده
قراءة جديدة في خطاب الإصلاح الديني
د. محمد الحاد
سرد دار الطليعة ٢٠٠٢، ٢٤٠ صفحة

الخطاب الروائي عند غسان كنفاني

منار فتح الباب
القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة
٢٠٠٣، ٤٨٨ صفحة



تعتنى هذه الدراسة بالمصموم والبناءء الروائي لأشبهه السلفيتي غسان كنفاني، والدراسة أسلوبية تطبيقية تستند أساساً إلى المنهج البنوي في التحليل النقدي، مقترية من روح النص وعمله وفي محاولة لفك رموز عالم اللغة الشعرية المكتنفة وتيار الوحي المتدفق في الخطاب الروائي، عمدت الباحثة إلى تعميت دلالات النص وتنبيج خصائصه، وإلى جانب ما توصلت إليه الدراسة من نتائج مهمة، منها الشقاء نتائج الدراسة الأسلوبية الإحصائية للخطاب الروائي عن نسق الطابع العام المشكل لخصائص منطقة الهلال الخصيب، وهو النسق الرزاعي القائم على الجدول والدورن في ثنائية متميزة، حياة، موت، حياة أخرى، وكذلك كشفت الباحثة عن تطابق الخطاب البنوي للثقويون الكنعاني القديم مع مثله لدى غسان كنفاني، وهذا كشف مهم فيما يتصل بأدب غسان كنعاني، إذ ركز كل الباحث على سيرة حياة كنعاني كأديب وماضيل والدرجة داتها.

ومن ثم ترى المؤلفة أن دراستها تصب في بوتقة الخطاب النقدي المضاد لحركة الخطاب الصهيوني الذي يسعى حثيثاً لتقوية وتدمير التراث السلفيتي.



رسائل الأديبات
الصراعات والحدود للإصلاح
نبيل عبد الفتاح
الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣، ١٩٥ صفحة



تجدد هموم الإصلاح والتجديد غالبية على فصول الكتاب التي تدور كلها حول

عصاة القصر

عصاة القصر

أكنتة (دورية)

الأسبوعية - أكتوبر ٢٠٠٢ - ٢١٠ صفحة



لم نصل إعلان فرحتنا كلما صدر عدد جديد من هذه الدورية التي تنمى من تستمر بالقدرة دالة من الإلهام والتشويق والاستقلالية، ومبررة بعد الدورية وبين أبعثنا بعدها الخاص، ليس فقط موضوعها المريد ومباشرتها الترافقية وارتدادها لمساحات محمولة، أو كانت كذلك، وإنما في إصرار مجموعة الشباب القاصيين عليها أن تظل موجودة، وأن تواصل مع قارئها عبر انتفاها الحميم والحقوقي ثقافة الكائن.

يتضمن العدد الجديد حواراً مع النحات الراسل محمد مرسى، الذي رحل في العام الماضي عن ٨٢ عاماً، والذي ظل حتى الأيام الأخيرة من حياته، ورغم وهن جسمه، يواصل الحفر على الجرائد والرخام والخشب، حوار كلامه قليل، وفوقه إصرار إسلام الغزالي تترى بما يعنى عى أن قول.

الملف الرئيسى للعدد حمل عنوان «الطفل» ويتضمن مقالات، أبحاث عن الصغيرة، كتابات المرأة البحرية، حضور الطفل، البطول والمزاة في الزواج الكبير، البطول كات للطفل والمخاض، ملكة الكلام وغيرها.

يتضمن العدد أيضاً حواراً مع المخرج داود عبد السيد وآخر مع شاعر السيرة الهلالية السيد الصوى، وموضوعات عديدة وصورة تملئ جميعاً ثقافة المكان

فى غربة الشمس

سليم الرامسى

طرابلس - لبنان، المؤلف: ٢٠٠٢، ١٥٨ صفحة



تصوص من الشعر الكلاسيكى، إضافة إلى كتابات نثرية تتناول قصصاً عديدة سياسية واجتماعية وفكرية، يكتب المؤلف عنها روح فلسفية تشد الحكمة وتطلع إلى الكمال.

من أجواء الكتاب، هبة الفيل هل ستول حواراً صرخ العاشق الذي لا يدارى

مشاكل وأزمات وقضايا دور الأدباء في النزاعات الكويتية، والإسلام وشكاليات الحداثة، وشكاليات الاندماج القومي في البيئات العولمية والإقليمية المتغيرة، والحاجة، بالتالى إلى إصلاحات دينية وسياسية واقتصادية، وهى دراسات وأوراق بحثية، شارك بها المؤلف فى منتديات دولية وعربية، والكتاب يضم أقساماً ستة ناولات، بين ثلاثين فصلاً، بين نوازلها الأدباء والنزاعات الموشمية، الإسلام وشكاليات الحداثة هي عالم مسحول أزمات الاندماج القومي المصرى، نحو إحياء وإصلاح علوم الدين ويجمع الكتاب بين التحليل النطرى والتطبيقات العملية، أى أنه لا يمكنه حسب بانتقاد القائمة، لكنه يعارض دوراً أبعد بالتحاور حلول لحظم شكليات التي يعالجها بطريقة هيكلية قابلة للتطبيق.

توتى بوزان

أرياض - مكتبة حبر، ٢٠٠٢، ١٩٥ صفحة



فى هذه الطبيعة الأضمية لكتبات «استخدم دأكرتلك، الأرقام، قامت BBC الكلاسيكية بطبعه، ويتكثف توتى بوزان بطريقة مدلهة عن أصرار كيميائية تنمية دأكرتلك.

وهو يعلمك كيف تسمى دأكرتلك فيما يتعلمك بالأسماء، الأرقام، التواريخ والعواصم، وأيضاً الأحاديث، والمقالات، والنصوص والكتب، بأهمها يوجد فى الكتاب أجزاء، للإصيص الورق، وكل يتعلمون لغات جديدة ولؤلؤة، الذين يتذكرون استخدامات، والمحتاجات، وأيضاً تسمى عن كيف تتذكر أصلاً.

فى كتاب كيف تستخدم دأكرتلك سيكون ١٥ جدوى صفحة خاصة لطلاب الجامعات والمدارس خلال دراستهم، وخاصة خلال أوقات الاستحضار والمراجعة، وسيكون مفيداً أيضاً لرجال الأعمال ولؤلؤة الذين يرغبون فى تسمية قدرتهم الذهنية عندما تقدم بهم السن، ولأى شخص يتعلم الرياضيات الدنى الذين يريدون فهم بسرعة كبيرة، والذين يعدون أنفسهم لغزاً مشغولاً مشغولاً، وهؤلاء الدنى، هذه الكتابات تتناول بأشهر كل أنظمة الذاكرة الكلاسيكية، وبالطبع بالإضافة إلى تقنيات خرائط الذهن الشهيرة التي قام بإعدادها توتى بوزان.

النظام السياسى فى الإسلام بين برهان غليون وسليم العوا

تطبيق الشائعات، الإسلامية العمومية وهذا هو مجال السياسة لا الدين والتفكير، والحجج الدلالية فى هذا الإطار ليست قيماً على الدين وإنما «تحرير» للدين من استبداداته المسيئة من قبل السلطة والدولة، هذه مجرد عينة من اعتقادات غليون، على طرح «العوا» الذى يرد دعوة «ديمقراطية ملهه مصرقة من مضمونها السياسى والأخلاقى»

من حجة يلعب «العوا» أن الناصر بين اعتبار، غليون، القراس مقدساً ثم نرى فى تفسيره عنه فى السياق ذاته، كما يرفض استنتاج غليون، من أن اجتبهات العولمة وتفسيراتهم فى النص التاريخى، أوجبت نصاً موازياً طوى فى قنن تاريخية عديدة على النص الأصلى، وكذلك الحال فى اعتبار «العوا» وتشريع نصاً موازياً للقرآن ومختلفاً عنه، وكلامها مصدرة من القرآن، وأيضاً من هذه الموضيات التى رأى «العوا»، خاضعة فإن الحديث عن السور لمفسدات والعولمة لدى حكماء المسلمين استناداً إلى التأييد الرئاسى كما يقول غليون، تبدو من وجهة نظر «العوا» بحاجة إلى مراجعة ومطرح، وكذلك «العوا»، بالنسبة لقولات عديدة بردها «برهان» يراها «العوا»، انتقاداً واجهها الفكر الأوربى لأثار سيطرة الكنيسة على الإنسان المسيحي، ولا صلة لها بالمتحم ولا بالمرآة الإسلامى، ويعيب «العوا» على غليون، لترك عبارات تستقر إلى دلائل تثبت صدقه، مثل شعور جمهور كبير من المسلمين بالدين من بقة إلى بكر، ومن قبل هذه الجمهور لأهل البيت، أو أن عمر من الخطاب أجبر الجميع على الإقذام به، أو أن النبوة ولدت عند العرب بوصفهم حركة ثورية، فمحمّد بن وخاتم المرسلين وليس قائد ثورة (...) كما أن الحرب كلها لم تكن لديهم دولة لبواجها الإسلام بانثورة، حتى تكون النبوة محاربة لدولة، كما أن الدولة الإسلامية الأولى أقامها النسي غداً هجرته إلى المدينة، ولم تقم «بعمليّة» بعصرية من رجم الحرب الأهلية التى تمخض عنها أول حكم سياسى مستقل فى الإسلام هو السلطة الأموية، كما يدع غليون.

هذا بعض من جدل كبير مهم حول موضوع شائك لم يتوقف العمل بشأنه لقرون، وما يشير الفكر الكبريان أن هذه السلسلة الجادة، حوارات القرن، يتنى صالحاً يزيد من الاجتهاد فى «خرب شرقاً وغرباً»

بعد الشاء على ما يمتلك محمد سليم العوا من اجتهد عقلى حديث يدفع بالمرآة الإسلامى للحاضر نحو «إفاق ديمقراطية»، يبدأ برهان غليون سلسلة من الاقتضات تنسب الفكرة التى قام عليها من الأساس خطاب «العوا» عن النظام السياسى فى الإسلام مركّزة على ضعف الأسلاك النظرية الذى يميز هذا الخطاب، والهدف الساحة، تستنكش بإشارات سريعة لتحلح العوا فى هذا الموضوع الهام، أولها أن «العوا» يتخصص مسألة السياسة فى الإسلام فى مفهوم السلطة الإسلامية، دون أن يكون للشرد أو لتجسّص عسدى أى أثر، والديمقراطية الإسلامية التى يدعى بها لا تتألف من الاختلاف والتعدد لكن بشرط أن تبقى ضمن المرجعية الإسلامية وهذه الزوية، بحسب غليون، تلغى نظرية الدولة الحديثة وتقيم دولة دينية بالمبنى الحرفى للكلمة، دولة عقيدية كما كانت دولة البيت فى العراق وسورية، ويصعب «غليون» على «العوا» خلطه بين مفهومى الدولة والأمة، وخصوصاً أن الأمة التى يقصدها «العوا» ليست سوى «الأمة الإسلامية»، كما أن مفهوم الدولة المعروف والنهى عن السكر الذى يعبه القومية الأساسية فى السياسة الإسلامية يعصم تجربة غير متجسّمة (تواظيف)، فضلاً عن إمكانية أسداس استحضار من قبل الحاكم فى مواجهة معترضيه للإطاحة بهم، ونسب الشىء، يتخطى على التورى التى يدور نظام للدولة الحديثة، تبقى مرمونة بمزاج الحاكم وتصوراته، من ناحية أخرى فإن هذه الزوية تعيد الفرد المواطن، وحرية ومقدوره على شرط أساسى فى قيام دولة حديثة لا تتسنى إلى أسر أو مناهب أو طوائف حاكمة، وتحتى فكرة المواطنة المزمرة لحساب الجماعة المتحدة بالمدين، ويرى غليون، فى مطابقة «العوا» بين مصطلحات الشريعة والقانون خطراً، مثالاً، وإن كان «العوا» يخلف عن عديد من التكرار الإسلاميين فى أنه يتحدث عى «شريعة قانونية»، وهذا، برأى غليون، خلط كبير، فالشريعة موجهة للجماعة والقانون موجه للدولة، وليس صحيحاً أن المجتمع الإسلامى لم يعرف الفاصل بين الأحكام القرآنية بين الأعداء والدينى، والخطاف ليس هى مكانة الشريعة ولا مكانة القانون، وإنما

النظام السياسى فى الإسلام

برهان غليون - محمد سليم العوا

دشق دار الفكر، ٢٠٠٢، ٢١٢ صفحة

الرجل الثاني هي لتعطيم المعادة، والذي يضم أمريكا وإسرائيل وروسيا، أعلى الطواهرى هي وصيته، فربما تجد راية النبي، من خلف أصولي يجمع قوى ثمو وتتجمع تحت راية الجهاد في سبيل الله خارج قانون النظام الحالي الجديد، تتصحر ثلاثا لثقل من رؤوس التجمع الكفري العالي.

والثلاث يتابع في هذا الكتاب نشأة وتطور هذا الحلف في كتاب من ثلاثة أجزاء، منذ كان الحلف فكرة في ذهن مؤسسه الأول عبدالله عزام حتى تطور إلى واقع ملموس على يد أسامة بن لادن وأمين الطواهرى، حيث يقدم المشجع المعكري لهذه التنظيم الذي اصطلاح على تسميته بتنظيم القاعدة، ويناقش أكثر من ثلاثين وثيقة فكرية تنص على أهم ما استجده القادة الثلاثة للتجمع

التحديات التي تواجه العالم الإسلامي

توحيد الزهرى

القاهرة: دار الجليل، ٢٠٠٢، ٢٥٠ صفحة



اسباب هدية ثقف وراء الأمة التي يعانها العالم الإسلامي، بعضها يعود إلى خلل في البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلدان الإسلامية، وبعضها يمكنه زده إلى مسيرات الاستعمار الطويل الذي زحمت تلك البلدان تحته، والذي تسبب شوائبه وسدلت إمكانات التقدم فيها عثرات السنين

هذا الكتاب، ومؤلفه طيب بشرى فار مركز الأول في مساهمة افقيته تحت رعاية الأهر الشريف، يخلص إلى أن سر الأزمة التي يعانها العالم الإسلامي، إنما يكمن في علاقته العرصة غير السوية مع المشروع الحضارى للغرب، حسب تعبير المؤلف، الذي يشير إلى أربعة تحديات ينبغي على العالم الإسلامي أن يواجهها وهي: التنمية للغرب وهو تحدى الأزمات الإسلامية، التعرّب وهو تحدى الهوية الإسلامية، التمزق السياسي وهو تحدى الوحدة الإسلامية، وإسرائيل أو المشروع الصهيوني في قلب العالم الإسلامي والذي يمسد دورة الصراع المحتدم بين الإسلام والغرب، وهو يناقش معصيلاً عبر صفحات الكتاب تلك الإشكاليات ويقترح سبل الحلاص.

الأمم المتحدة بصورتها الحالية لم يعد أحد في حاجة إليها، لأنها أصبحت تابياً لا متوقفاً، ولأن كانت تريد البقاء حياً أصبأ على السلام العالي، فيجب أن تتوقف على كل الضمانات لكي تعود إلى موقع السابق، ولا فإن منطق القوة العمياء الباطنة هو الذي سيسود.

لا إكراه في الدين

إشكالية الردة والدين من مندر الإسلام حتى اليوم طه حابر الحارثي القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣



المادة الأساسية التي يعالجها المؤلف هنا هي الردة الفردية، أي تغيير الإيمان لعقيدته، دون أن يقرن ذلك بخروج على نظام الجماعة وإساءته وإيقادها الشرعية، ولم يقطع الطريق أو يرفع السلاح في وجه الجماعة ولم يعضد إلى أعدائها، وكل ما فعله هو تغيير لعقيدته، فهل مثل هذا شرع الله ما هو القتل بعد الاستنابة؟ ومدونه؟ وإذا قلته أحد أبناء الأمة فلا يتخس منه إكراه عقوبة الإفتاء على الحاكم، وهل يجب على الأمة أن تتركه، وأمانته على الرجوع إلى الإسلام بالقوة، وهل هو حدث هام من قبيل الإكراه في الدين الذي يراه القرآن المحيد، وهل جميع عليه في كل المعصور وهل إذا قيل بوجوب قتل المرتد، فهل يعني ذلك أن التفكير الجبر يصلح لأن يكون يعني إيجاب عقوبة الإفتاء شرعاً، وهل الردة تعد خروجاً من الإسلام أو خروجاً عليه هذه أسئلة الكتاب الأساسية التي يسعى المؤلف للإجابة عنها

حلف الإرهاب

عبدالرحيم على القاهرة: دار المحروسة ٢٠٠٤، ٣ أجزاء



في مواجهة حلف القوى العنصرية المعادي للإسلام و«التجمع العنصري العالي»، كما يسميه إيمان الطواهرى

الإدمان

عبدالهادي صباح القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ٢٠٠٤ ٣٠٢ صفحات



هل يمكن أن يؤدي التقدم العلمي المجل الذي نشهده، والثورة العلمية المتسارعة التي أتت إلى اكتشاف الخريطة الجينية للإنسان، إلى اكتشاف جينات مسؤولة بشكل مباشر عن سلوكيات الإنسان ومزاجه النفسي؟ هل يمكن أن نكتشف الجينات المسؤولة عن الإدمان والجريمة والعنف والجمل والسمسة والدكاء والميوقرة وأليل الجنس بألوانه، المؤلف يناقش هذه القضية ذات الطبيعة العلمية والفلسفية في أن معاً من عدة وجود، بالإنسان في هذا الكتاب

وفاة الأمم المتحدة

سعيد اللاوندى القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٤، ٣٥٠ صفحة



لم تعد الأمم المتحدة صوةً للمجتمع الدولي أو ممثلاً للشعوب الدولية، وإنما قصارى أمرها أن تكون أداة لإرضاء الضريبة على الفكرات الأمريكية، هذا يضم ما قاله الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة كورت فالدهايم، تعبيراً عما آل إليه حال المنظمة الدولية في أعقاب انتهاء الحرب الباردة وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على مقادير العالم. وواقع اليوم كما يرى المؤلف، يفرض على المنظمة أن تترك التغير، التي جرت فليس هناك سوى قوة عظمى وحيدة تمسح حراً بأداة جديدة ثق فيها هذه القوة في نجاحه، فيما ثق دول العالم أجمع في الناحية المقابلة. المؤلف يرصد ما آل إليه حال الأمم المتحدة، وهيأها الذي تأكد في عديد من المناسبات الدولية. وأخيراً هل بالإمكان إصلاح حال الأمم المتحدة، أم علينا أن نتفكر في نهجها فعداً أو بعد شد؟ الخلاصة التي يقدمها المؤلف أن

رافقت الإنسان المصري منذ آلاف السنين متكاملة مع حياته اليومية، خطر الانقراض، في شباب معرفة مرجعية لها مثقلة في مزاج أو موسوعات أو كتب أو أفلام تسجيلية في وقت انتهت فيه كثير من الدول إلى توثيق ما لديها من حروف وصناعات، على قلتها، بشتى السبل، وبأعلى مستوى من البحث العلمي والإخراج الفني، وفي استمارها كتابياً واقتصادياً، ما جعل هذه الحروف مصدراً مهماً من مصادر الدخل القومي. ومثل هذا الجزء الأول من موسوعة الحرف التقليدية بأربعة مهمة في أنحاء توثيق هذه الحروف التي أوتكت على الانقراض، وقد بدأ مشروع التوثيق في الشهور الأولى من عام ٢٠٠٣ بديوان الحرفاء المتخصصين في أربعة حروف، الحرف اليدوي والتطعيم في الخشب والحياكة والمصاغ الشعبي، بمساعدة مجموعة من شباب الباحثين الذين يقدم معهم في المناطق التي توجد بها ورش الحرفيين.

والى جانب الدراسة الميدانية، استعان الباحثون بمراجع تاريخية موثوقة بها، كي تكتمل الصورة حول العلاقة بين هذه الحرف والتطورات الاجتماعية والإثراثة الثقافية في المجتمع المصري.

الفنان وبيع شذوة

الإسكندرية: دار الشافعة، ٢٠٠٢

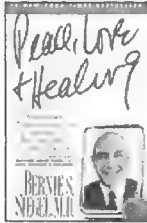


عصر حلة عمر قصيرة عاشها الفنان (١٧ نوفمبر ١٩١٣، ٥ سبتمبر ١٩٩٩)، قدم أصلاً رائدة برهنت على موهبته الأصلية ونشأه بهوم الإنسان في كل مكان. وقد وجد وبيع أن الأسلوب الأكاديمي الذي درسه في مدرسة الفنون الجميلة العليا التي تخرج فيها عام ١٩٥٠ يساعده في رسالته الإنسانية. فأخذ يبحث عن أسلوب بسيط يساعده في هذا الاتجاه، ووجده في التقاليد التي لا لها، وفي تقديم مساحة للوحة إلى مريعات ومثقات، وأن يمنح الألوان دلالات رمزية وليست أواناً واقعية. وهذا الكتاب التذكاري يضم إلى جانب الدراسات من مسيرة الفنان وتطور أسلوبه وإبداعاته بشتى الفئات، بعض ما كتب عنه من نقاده وناصريه وزملائه، ونوعه عنه شارك فيها كثيرون من محبي فنه.

الكلمات تستطيع أن تقتل .. وأن تشفى أيضاً!



وبغلاف الطبعة العربية



غلاف الطبعة الانجليزية

قرات مرنوكوكو العلاج، وأعرف أنه قد يقتلني

٢. أعرف مدى البرودة في هذا السرطان، فقد تحدثت على العمل في إدارة المستشفيات.

٣. أعلم أن جميع العلاجات لا تحلو من الأخطار، وهي تشمل الموت وبناء على ذلك

١. لا حاجة لإعادة ما سبق إلى الأفكار الطبية والصداقة والنصيحة والتشجيع والأمل والحب والنشاط والاشتغالات القليلة جميعها بالاعتناء

وأرجو أن تتخلى هند باب الدخول عما لديك من التناوب وعوامل التثبيت والحرارة والاسس والوظف السلبى كون أن تقتلى ما يطبع عن ماتكك

إلى أرجو أن تعلم عنى ما يلي:

١. أعرف فيركك على تقديم المساعدة الإيجابية إلا أرت، ولكنى أرجو أن تذكر مع ذلك أن حياتى لخصنى كما تخص الذين أبدأل الحب معهم.

٢. لى وروجتى نعرف أن تأثير الدواء الجيد يتوقف على المعلومات المهمة جداً والمهارات والفلاز الكيماوية وجيلة الخلايا، وكوس كذلك بالقدرة المعوية والشاعية للجسم، فضلاً عن القدرة الروحية

ونحن في حاجة إلى كل المساعدات الممكنة حتى نجعل كل هذه الموارد في حل مشكلتى وساعدك على تقديم العون لنا

٣. إن لدى أهدافاً كثيرة أحيا من أجلها، وأبذل جهدي بالغ المشقة كي أعمل كل ما أستطيع من الناحية العقلية والجسمية حتى تصبح إرثادك فعالة قدر الإمكان

٤. لى أعرف شخصياً لمساً من المصداقية، مرضى، حتى تحسنوا على الرغم من الفرص الضئيلة، وإلى أذى ذلك أيضاً باستعمال أسس ما مدنى من الزمن الطبي في قسم الخبر لى وأحيانى.

وذلك ما دعائى إلى المحصور هنا، ولولا ما جئت

٥. أن فى قلبى أملاً هناك، وهو أآمل تفعل شيئاً يشجع لى التشاور والمراة بدلاً من الأمل، لأن ذلك سوف يقلل من تهدئتي النفسية ويزيد حالتى سوءاً دون رعب.

وأود أن يقرأ الأطباء والمرضى جميعاً عقيدة إدوارد حتى يقلع الأمل عن كلماتهم المدمرة، حتى تصمد المنازع الممكنة لأدويةهم، وسوف لهم المرضى عصياناً، لأنك الأطباء الذين يصرون أحكام الموت عليهم

وأقول، أرى أن أتذكر إحدى الحكايات النادرة إذا دخلت في عيادتك، وإذا نجح الناس في إيجاد الأمور وهي تخالف معتقدك ذلك عليك أن تتفهم وتحميهم، ولو كنت تخالفهم في خياراتهم، وسوف يستريح المرضى ويستريحون بالعربية الطبية لهم على هذا النحو، كما يندرون على الإفادة من جميع الخبرات المتاحة أمامهم، وهي إسكانهم أن يحتسبوا الخلاف في الرأي لا التهمير.

ولا يرفض كلام الطبيب المدعى إلا مريض شديد الأمل بالغ الاعتماد على نفسه وكثير من الناس عاجز عن ذلك، فله سمعت من عبد قهريب . طريف.

خاصة، وقد ابتكرها واحد من الناس حتى يواجه السليات التي داب الأطباء والمرصات على منها في سبيله. وكان المرضى أملاً للاتحاق بأحد البرامج العلاجية التجريبية بالمراد (الكمبيوتر)، فقد كان مصاباً بترق نادر من السرطان، وقيل له أنه سيوت في فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وعام.

ويبدو أن الهيئة الطبية تجاوزت حدودها، فأكمت له أن الفرص ضئيلة في علاجه، وأن علاجه بالاشعاع عديم الفائدة، وأن الآثار الجانبية للعلاج الكيماوى قاتمة، وذلك بدلا من

تقصيه على كل حال، بل كروا هذه الآثار الجانبية قبل ظهورها وذلك لتحتمل إحدى المرصات عدم الإشارة إلى الزمن الطويل قبل ظهور الأعراض على بعض الناس أحياناً

وكتب المرصين بياناً للدفاع عن نفسه ثم الصقة بالاحكام

عقيدة إدوارد وهي موجهة إلى طبيب جديد يتبع حالتى، وإلى أعراف الأمور النادرة

الجهاز الجسمى وتكوين التعضلات الجلدية وضغط الدم والتغذية، وتشمل هذه القائمة من التغيرات جميع التغييرات في الجهاز الجسمى التفاضلى ونحن نعتبرها في الأحوال العادية خارج نطاق السيطرة الانجليزية، كما تشمل التأثيرات ما يحدث من التغيرات في الجهاز الجسمى الحركى، أن القائمة مشابهة من عمليات التفاضل موجودة في كتاب إيرنست روس Ernest Rossi: The Psychology of Mind-Body Healing ونصنوه السبولوجية السبولوجية النفسية نشاء العقل والجسم، وترجع القائمة إلى أبحاث ت. باربر T. Barber وهو إخصائى في العلاج بالتنويم المغناطيسى، ويروج أن تحدث كل التغييرات المبكرة نتيجة الاستجابة لأنواع من التصورات العقلية، وذلك عندما تطبق من العقل تصور الأحداث أو الأشياء (أو سماعها أو شعها أو لمسها أو توتفها)، ومما أتهد التغييرات نتيجة للإباعات غير واضحة، وربما حدثت نتيجة لأختلاف في سريان الدم كما نقل باربر، أو نتيجة لتغيير في مستوى التغيرات العقلية، أما أن التغييرات تحدث فعلاً فهو أمر لا شك فيه.

والعالم مع ذلك أننا نقتصر أخصائى بالرسائل السبولوجية الصادرة منا أو من الشخصيات التي تمثل السلطة، وذلك بدلاً من دعم أخصائى بالرسائل الإيجابية، ولا يأخذ معظمنا مأخذ الجد ما فى الكلمات من قوة التصور، وتستطيع الكلمات أن تقتل، كما تستطيع الشفاء ويحتاج كثير من الأملاء إلى إدراك تلك الحقائق.

فما الذى يجعلنا نحن الأطباء نقاوم النجاح، ولماذا يحدث علينا إنكار الحكايات النادرة إلى إطباب كل طبيب

هناك صور متعددة للتواصل مع أنفسنا من ألسنا على الوسائل الأولى في التواصل معها، فالشاعر التي يتبرها تلامس الأيدي ضد بعض الناس وصوت الموسيقى ورائحة الزهره والغروب لحنين للشمس واللعل لحنى والحب والصفك والأمل والإيمان كلها يؤثر على الحواس الشمورية واللاشمورية جميع في الجسم وللشاعر نتائج سبولوجية أيضاً، بل إن للحجونات لاليمه في بيوتنا بعض الأثر على سلامتنا الصحية، وقد لخص تقرير حديث من المعاهد القومية للصحة نتائج بعض الباحثين، ومن أن للحجونات الاليفية قدرة التأثير على سرعة القلب وضغط الدم عند استماعها، وربما كانت الكلمات التي توحى بها إلى أنفسنا هي أحد الوسائل تأثيراً هنيا من الناحية الأخرىة الباشرة.

ولكن كيف تصمد الكلمات التي أعماها، وكيف تتم ترجمة لغة الألفاظ إلى أحداث سبولوجية في الصور النفسية في جسر الاتصال وفقاً لما تذكره حين اختبر سيجر Jeanne Achterberg: Imagery in Healing، كيف تكتمل التصور وورده في الشفاء، ولتفقد الخبيرين أن كلمات الرسائل يجب أن يترجمها المخ في نصفة الفكرى الأيسر إلى مصطلحات غير لفظية أو مصطلحات صورية قبل أن يعدهم الجهر الجسمى الخاراذى أو التفاضلى.

إن هذه الكلمات التي توحى بها إلى أنفسنا تصبح مهمومة لفنية الجسمية الداخلية بعد تحويل معييات الألفاظ أو أوصافها إلى صور ذهنية وإدراكاً بدلت فى لنا نصيب كبيراً من السبولوجيا فى الصور الذهنية التي تخلفها في دعائنا نتيجة لإبنا الكلمات، ولعلنا دفما أن نناك من استخدامها في رسم لصور الذهنية التي تؤك الحياة وتريدها شاء، إن تحقيق نيواتنا حقيقة واقعة ويمكن أن نستعملها في مصالحتنا، وتستطيع أحياناً أن نجعلها حقيقة سبولوجية

وتشير أختبر سيجر تدعيها لرائها إلى دراسات تجريب أشر التصور على العمليات السبولوجية كاختلاف الغاب وسرعة القلب والتأثر العضلى ومقاومة الحلد ومستوى السكر فى الدم وشباب

صفحات من كتاب السلام والحد والشفاء تأليف د. بريس سيجل ترجمة د. عرب شعل المراجعة د. اسروق ٢٠٣

ومركز العلاقات السياسية والعسكرية للشعب لا في محاولته الوقوف على الحقائق التي أتت إلى الجزيرة، وإنما في نسخ الحقائق والفصل المزعج بينهما. فعلى سبيل المثال عندما هُزمت فرنسا أمام روسيا عام ١٨٧٠، احتجرت حينئذ سبيلته أكثر إرادة في الجمع الفرنسيون بمسهمهم ما حدث كان تراجع وليس هزيمة. وفي هزيمة نصيب يسهل السروج لظروبه أن شيئا راقيا، هزيمة عاديه عاتق، فعلا هزيمة الحروب الامريكى في الحرب الاهلية الامريكية في مقابل كفاءة الآلات الحربية في الشمال أو الروح الفرنسية في مقابل جمود الالتزام الألماني.

كذلك تطوع نظريات اخرى في ان الهزيمة تنشئ الامم، سيما ما حدث الانتصار غرور، يقضى إلى السقوط وعند هزيمة ١٩١٨، هزيمة تلحاح لام إلى تزيينها القديم وتزيينها الابسي الذي يجعلها لغوه وفي ذاتها فعلا هيكتور هوجو، شاع في ادمه المعاصر للهزيمة مفهوم ان فرنسا هي مرادف الحضارة، ولم تستعصا جان دارك من التاريخ القديم في لم يكن احد يتذكرها قبل هزيمة ١٨٧٠.

هكذا يرغم الكتاب الباحثين من الأسئلة التي يسوقها في فرنسا هي شيطوشوف الخائف، الاباسي المتخصص في التاريخ الإقطاعي، ليخرج منها تحليلات واستنتاجات سمحت لي التفكير ونعت الطارئ على الحضارة

World on Fire

(العالم يهترق)

Amy Chua
Heinemann, 2004, 346PP



طاهرة اثنية تصافه في دول العالم الناس وسماهاها العرب، تسلط عليها الضوء مؤلفه صينية، فلبينية في هذا الكتاب

في ترصد نموذجاً متكرراً في دول جنوب شرق آسيا ودول أمريكا اللاتينية. ويضفي الدول الأمريكية حيث تتمتع أقلية إسيية بأهمية الصغر في عالمية الدولة والعدو الاقتصادي في الدولة على سبيل المثال تشكل أقلية الصينية في الصين ما لا يزيد على واحد مائة من نسبة السكان، بينما تمتلك أكثر من نصف الثروة الاقتصادية

Cosa Nostra: A History of the Sicilian Mafia
(كوسا نوسترا: تاريخ المافيا الصقلية)
John Dickie
Hodder, 2004, 352PP



ظهر عجز الدولة عن فرض القانون والنظام في جزيرة صقلية منذ السنوات التي تلت توحيد إيطاليا عام ١٨٦٠. أصبح العنف والقدرة على استخدام القوة عصراً رئيسياً في أي مشروع أو مشاة تجارية في صقلية جرد من رأس المال الأساسي. وقد ولد تنظيم المافيا الشهير في تلك السنوات ولم تتغير مبادئه على مدار قرن ونصف.

يتتبع هذا الكتاب تاريخ المافيا الصقلية، وخاصة الحرب التي اشتعلت عام ١٩٨١ بين عائلة كورونولي الصقلية وممثلي الدولة من ساسة وفهلاء ورجال بوليس وحتى الصحفيين. وتنت تصفية كل من رفض استئصال وظيفته الخاصة لتخدمة المافيا بتنتي أفعال القتل. وإلى جانب معارك المافيا مع السلطات الإيطالية التي يتنازل، الكتاب حولولائه المثيرة. يحاول المؤلف الاقتراب من القيم العربية وواحد، الشرف، المرمية لأعضاء المافيا التي يعرفهم بعضهم، والتي قد تتضمن قتل طفل إن كان ذلك سوف يحمي أحد الأعضاء

The Culture of Debt

(ثقافة الهزيمة)

Wolfgang Schivelbusch
Trans. Jefferson Chase
Cranta, 2003, 403PP



كيف اثرت الهزيمة على مختلف المجتمعات؟ هذا هو موضوع الكتاب الذي وإن كان يقتصر على تناول الهزيمة في التاريخ الحديث للعرب إلا أن دروسه تصلح لكافة الأمم المهزومة. تكشف الدراسة كيف إن حياة الأمم كثيراً ما تكون فلتنة في الوهم، سواء أمام الهزيمة صادرة عن لشوء الانتصار أو نتيجة الهزائم التي تفسر بها الهزيمة. فالعلازمة يتم خلطها بالاعلازمة بنسبة قلب فيها الأخيرة.

نموذجها المؤسس بنية واسعة في فرنسا حتى أن المؤرخين يصفون نازول المكرين وفقاً لالتزامهم السياسية المحتملة.

Egypt In The Twenty-First Century: Challenges For Development
(مصر في القرن الواحد والعشرين، تحديات التنمية)

Routledge Curzon
Edited by Riad El-Ghoneimy
London & New York, 245PP,
£ 65.00



في هذا الكتاب يقوم محمد رياض الفهمي الأساتذة الراتب جيمس أكسفورد بإيجازاً، وبإشارة قيرق متخصصة في الجواب المتعددة للتنمية في مصر. بتتبع التجربة المصرية على مدار الخمسة سنة الماضية عن تجربة أخرى في فترة الإصلاحات الهيكلية في العشرين الماضيين. ويستكمل الفهمي ومن أسهم معه الدروس المستفادة والإصلاحات المكتملة لتحقيق خطة التنمية حتى عام ٢٠١٧ وما بعدها. وأن التحليل الشامل يتم تعريف التحديات التي تواجه مسيرة التنمية بوجهائها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع التأكيد على ضرورة إزالة العقبات المؤسسية التي أدت إلى القصور في الإنتاج والاستثمار والتجارة الخارجية بصفة عامة. وفي مقدمة الكتاب يحدد الفهمي ما اتفق عليه المساهمون من قضايا تنموية أساسية أوجزها في أربعة بنود (١) ضعف إستراتيجية الفرد والقطاعية بخلاف نظام الأجور وسعر العمل وبالتالي ضعف القوة الشرائية وإرباب عد الفقراء، (٢) الخلل في تطبيق الإصلاحات الهيكلية وفي تقرير نتائج تنفيذها مع إهمال إزالة العقبات المؤسسية، (٣) ضعف التنافسية في الأنشطة الاقتصادية والمشاركة السياسية، (٤) مشكلة التكامل والإصلاح السياسي والإصلاحات الهيكلية لاعتماد تحقيق التنمية على هذا التكامل الذي يجمع بين الحرية السياسية وتحرير الاقتصاد الوطني.

وكرر الفهمي الفخامي على هذا البند الرابع الأخير مستنداً بتجارب دول شرق آسيا في تكامل الإصلاحات السياسية والاقتصادية وتالياً في تحقيق معدلات نمو سرمد

La Marche Des Idées
Histoire des Intellectuels,
histoire Intellectuelle

(مسيرة الأفكار، تاريخ الفكرين)
François Dosse
La Découverte, SArmillaire,
360PP



رغم إتهامهم من جانب بعض الدوائر الفرنسية، لا تنطس، من ممارسة مهامهم وديمقراطية، وتعرضهم لوجع في الرض عن أكثر الأقسام وديكتاتورية في شباب الطلاب الفرنسيين. يبدو أن الفكرين أصبحوا، مع انتهاء ربيع عام ١٩٦٨ هدفاً لإرادة التشريعية ضدهم في عدة جوانب، فقد تزعزعت سلطتهم الأخلاقية بفعل مآثرهم، ولو من إتهامات بإثارة الفوضى وطلاب بعض شباب الفكرين بأن يمارسوا، بدلاً منهم، مهمتهم السياسية كحراس لعبد القيم والوعي الناقد بعد انكروا عليهم حقهم في التحدث باسم الجماهير، وأخيراً، وأجبت سلطتهم لاجتماعية المناصب من قبل الفكرين ليجد، أن التوافق إلى مثيرة، العقلاء الموضوعيين، لطيفة العمال أي الطلاب الجدد للتحولات الاجتماعية والسياسية المستقبلية

في فرنسا، يبدو الفكر شخصية مألوفة للفلاح حتى أنه من الصالح اعتباره تخصص من ينتمي لهذه الأرض. إنه الفكر على الطراز الفرنسي، كما يطلق عليه. إلا أن المؤرخين صرخوا إتهامهم عنه لأمد طويل، وقد يبدأ تاريخ الفكرين، في التطور حتى لا مع بداية المائتين من القرن الماضي، وهو لم يزل بعد يمثل معادة تعليمية شابة، كما أوضح مؤرخاً مؤلف جماعي متميز غير من الأوضاع الدولية، ونشر هذا المؤلف تحت إشراف ميشيل لوماري وجان فرانسوا سرنيلي. ويتركز المؤلف فرانسوا دوس في تذكره على نفس هذه التنافس الظاهر حيث يقول أن تاريخ الأفكار في فرنسا لا يتبع سمعة طيبة في حين تتم ممارسته بلا مؤاربة في أماكن أخرى.

وفيما يتعلق بتاريخ الفكرين الفرنسيين يشير فرانسوا دوس إلى نقطتين مهمتين تكتلن أولاً في الدور الحاسم الذي قامت به في هذا المجال مؤسسة مثل كلية العلوم السياسية، من أعطي جان لوشار وكويس بودان بداية استقلالها، الخاصة بها في عام ١٩٥٠ وحتى قيام الأكاديمية وكان فرانسوا سرنيلي بهيكله هذا المجال البحثي في المائتين من نفس القرن، أضف إلى ذلك المكانة المحورية لفضية دياغوس التي يحظى

الشء من خلال كتيبه السنة عن الجمهورية والتي نشرت في عام 1971 ولا يقول إنه يقول في كتابه أن يقوم بتحويل الواقع الاقتصادي للحلحلة والعبودية في مزارع اللاتيني ويؤكد ذلك وليامز رئيس الوزراء الأسبق لشرنيدارد وتوماجو في كتابه «الرسالة والعبودية» أن الرق كان وسيلة «من وسائل تمويل الثورة الصناعية في أوروبا».

The Big Ugly Monster and The Little Stone Rabbit (الوحش الضخم القبيح والأنيب الجعري)

Chris Worme, Cape, 2004, £10.99



تزرع رقوق المكتبات البريطانية والعربية عموماً الكتب الأطفال التي تعتمد أساساً على الترميز التوضيحية وهو أمر محبب ومطلوب للأطفال. ومؤلف هذا الكتاب كريس وورميل ربما ليس من أكثر كتاب تخصص الأطفال المشهورين في بريطانيا إلا أنه من المميزين في هذا المجال بشهادة النقاد البريطانيين. ويحتوي الكتاب قصة وحش قبيح الشكل لدرجة أنه عندما ينظر إلى السماء المرقرة فإن الطقس يتغير إلى الأسوأ، ويتأرجح من أن المخلوق من الحيوانات الأخرى تهرب فور أن تراه بسبب منظر شعره البشع إلا أن هذا الوحش سرعان ما يلهم خيال القارئ.

إنه وحش وعيد يعيش معزولاً عن الآخرين ويتمنى أن يتحد مع مخلوق آخر. ويصور الكتاب كيف أصبحت حياة هذا المخلوق التمس إلى الوحش سعيدة عندما لاحظ أن أرنبا جعرا لا يفر أو يشتر من راحته القدرة، ويصبح الأرنب رفيق الوحش بقاءة رغم أن استجابة الأرنب لكل ما يأتي به الوحش من أفعال أو كلام ضئيلة للغاية. ويؤكد القارئ أن الكتاب طريق للغاية ومفيد للأطفال لتسليط على هذه المخلوقات الغريبة كما أنه مليء بألوان والتصاميم وأهمها أن لا يحكم الإنسان على غيره بمجرد النظر إلى شكله وهو يتحدث عن الصداقة وكيف تنقلب الحياة الكئيبة إلى سعادة بهذه الصداقة.

حادثة العبودية، رسالة عن الرق في النظام الرأسمالي

DYves Benot, La Decouverte, 2003, 300PP, 22 Euros



إن الجنود الأطفال الذين يخوضون غمار الحروب الأهلية الأفريقية والأطفال العاملين في صناعة التبغ في شبه الجزيرة الهندية ليخدمون غير دوليل على أن العبودية لم تختف، حتى وإن كان شكلها قد بات الآن مغالماً عما كانت عليه في الماضي في العهد اليوناني الروماني أو في زمن النهضة الذي أفضى إلى موت آلاف الأفرقة في مزارع جزر اللاتيني وفي أمريكا.

يبدء الصارات، يختم إيفل دولو كتابه. فلقد كانت جميع الأطفال والبلدان شاهداً على الرق منذ بدء الخليقة. ويذكر لنا موريس في قانونه أن العبودية كانت شائعة في بلاد ما بين النهرين قبل ظهور المسيحية بعد سبوح أما أرسطو وصانوات أوجستين بعد قدها تقصيرها للعبودية دون أن يقصدا إقامتها من وراء ذلك.

فلقد كانت متوالة للغاية مع النظام السائد. ظهرت أولى نتائج الرق مع حلول القرن الثامن عشر حيث تمكن أنصار الإلزام من تحقيق انتصار لقضيتهم في جزر اللاتيني وفي الولايات المتحدة وأغبراً في البرازيل التي تعد آخر دول العالم الغربي حقلراً للعبودية. يستعرض إيفل دولو تاريخ العبودية كله عبر ما أثارت من جدل وكتابات بل وتورات.

فهو يحدثنا عن العديد من الثورات الأسطورية مثل ثورة الصغار سبارتاكوس الذي هزغ للخلّاص من آلاف الصقليين بطول الطريق الأيبيني، وثورة السود (الزنج)، وهم الأسرى الذين تم استخدامهم في مستعمرات البصرة في القرن التاسع الميلادي، وتم سحقهم بعد قتال دام ما يزيد على عشر سنوات وثورة العبيد السمر في العالم الجديد والذين قادوا المستعمر الرقائقي في العترة من 17٢٠ وحتى 19٦٤.

واختتم استعراضه بالثورة الوحيدة الناجمة والتي قام بها سكان هايتي في تواسان لوفرتور. وقد تعمق الكتاب في دراسة كتابات من أعلنوا بقوّة مناهضة للعبودية مثل جان بودان الذي خبت ذكراه اليوم بعض

لحركة ومبادئ وأهدافها مبيّناً الفارق منها وبين الحركة العنيفة التي يقودها العنصرى جوريه بولايه ضد ماكانوالدز ومطاعم الوجبات السريعة. ويصين يثيرني كيف أن حركة «العلماء البطة» مرتبطة أكثر بالعلم والثقافة والتهديد وتشميع الدوق المسليم وإحساس الرقبة.

Islamica Magazine (مجلة إسلاميكا) Amman Winter 2003, Issue 10



بعد فترة من التوقف تعود دورية إسلاميكا الفصلية للمصور مرة أخرى بعدد العاشر (شتاء ٢٠٠٣) لشاطب العالم بعد أعداد ١١ سبتمبر. تقول افتتاحية المجلة التي تشغل بالغة الإنجليزية أن «إسلاميكا، نتيج متبراً للأوضاع المتغيرة وتقديم وجهات النظر حول قضايا العبودية والعالم. وذلك بعد محاولة للحفاظ على الخطاب الإسلامي التقليدي من الحركات الهامشية سواء كانت، حرة، سلفية، أو حدائية.

هنا ترى المجلة أنها تعبر عن تيار «الإسلام التقليدي، كما تسميه ضد ما تسميه بالتبديل، الإصلاح، الحداثي» الذي تعتبره غربي المنشأ ذو أصول بروليتارية، وضد تيار «الحرفيين، السلفي المعلق وأيضاً ضد تيار «الإسلام السياسي».

يضم العدد مقالات من العالم بعد ١١ سبتمبر لكل من على مزروع وكريستوفر ألين وعبد الحكيم مراد وغيرهم بالإضافة إلى مقال عن المواقع القديمة في العراق والحب في الإسلام ومقال تأييدي من إدوارد سعيد المفكر والأكاديمي الفلسطيني الراحل. يقع القنود التجاري للحلحلة في لندن، ويقع عنوانها التحريري في عمان وتطبع في تركيا. يشترك في التحرير كل من سهيل ناجدة ويوس، زانيليا وسارة لوزر ناجدة وجبريل جميل.

La Modernité De L'Esclavage: Essai sur la Servitude au Cœur du Capitalisme

وتستمد العبيدونيون التجارة والصناعة، ويرجع جميع الأثرية العبيدونيون إلى أصول مصرية. ويعمل المليونير لدى العبيدونيين أعمال عديمة صبرة. هان العجم غير وارد ولا يحدث خللاً اجتماعياً أو تراوح بين العنصرين.

مثل هذا النموذج الصارح لموضع الميزر للأفليات الصينية يتكرر نمط متفاوت في كل من أندونيسيا وبورما وتايلاند ولاوس وماليزيا وفيتنام وهي دول أمريكا اللاتينية، تتمتع الأقليات البيضاء موضع شبيه وكذلك في دول أفريقيا الجنوبية.

تقول المختصة أن ذلك الانتمثال الحاد، والموضع غير المتكافئ إنشياً وقضائياً واجتماعياً يصبح معضدا لعدم الاستقرار السياسي، حيث تزداد الفراهية وتصل إلى درجة القتل، كما حدث في أندونيسيا وبورما وإلى حد ما، ماحدث لتوتسي في رواندا والكروات في صربيا.

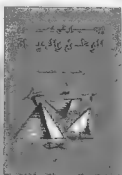
وتؤيد العولة وسياسات اقتصاد السوق والديمقراطية التي تدفع بها الدول الغربية إلى تمصيص تسلك المصوات. الأمر الذي قد يصل إلى حد الكارثة، لم تكتف دول الغرب إلى تباين ظروف دول العالم النامي عنها، فهو لم يخضع لنفس مراحل النمو الرأسمالي والتطور الديمقراطي الذي حدث في الغرب.

Slow Food: The Case For Taste (الطعام البطيء، دفاعاً عن الذوق) Carlo Petrini Transl: William McCuaug Columbia, 2004, 155PP



بدأت حركة الدفاع عن «الطعام البطيء» في شمال إيطاليا على يد مجموعة من اليساريين عام ١٩٨١، ولكنها ما لبثت أن أصبحت حركة مستقلة جمعت ما بين ألف من الأعضاء (١٧ دولة (١٧ مليون) يسارياً بالضرورة) التقوا حول العكرة وأسسوا لها ثلاث مجالات (بعض لغات) ودار نشر وجامعة وصلات وتقنوات تلفزيونية. إلح مهم الرئيسي إشد بعض أنواع الطعام المهددة بالانقراض، القديمة والوصفات وأساليب الطهي يكتب كارلو بتريني تاريخاً مختصراً

أحدث الاسدارات من دار الشروق



تطلب من

دار الشروق، ٨ شارع سيدي بوعبد المصطفى - زاوية الفلانية - مدينة نصر، كتيون ٢٠٢٣٩٩ ومكتبة الشروق، ١٠ ميدان طلعت حرب، كتيون ٢٠٢٣٨٠
ومكتبة الشروق، عيش فرست أمام حديقة الحيوان ٣٥ ش الحصرة محل رقم ١٩ كتيون ٢٠٢٣٠٣٥١

كما يمكنكم شراء الكتب من: www.e-kotob.com

فجرح وجهات نظر، بما يريد لها من رسائل تعلقية على ما ينشر بها من موضوعات ومقالات، وتحرص على نشرها، مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلها مثل المقالات ذاتها، لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها.

هيكـ.. والطرح الإسلامي

يسرني أن ابنت هذه الرسالة إلى الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل، عبر مجلتكم الحراء، الكتب وجهت نظر.

الأستاذ واحد من ألم الصعيقين على الفكر العربي والعالي، ومن أبرز منظري السكت القومي ومفكره. وقد حزلت له علمته من أن الأستاذ، اعتد على تأليف كتاب عن الإسلام السياسي وهو موضوع يحتاج إلى أن تعرف رايه فيه، لأنني أرى أن الطرح الإسلامي، خاصة الذي يشناه قيار الوسطية، قد تطور وتقدم بصورة تفوق بل ناقض ما رسخ في أذهان الكثيرين، من أنه تيار يدعو إلى الانعزالية، وتكمير المجتمع، ورفض الحضارة الغربية إجمالاً، وغير ذلك من الأفكار التي سادت مجتمعاتنا في ظل تحرية وطرفه خاصة، لا يصح أن تسحب إلى تعم على كل الأطروحات والأقوال.

ثم إن الحملة الأمريكية الشرسة، التي يشرع لها وطننا العربي، لا تفرض بين تيار قومي، وآخر إسلامي، مادامها يقام حجر عثرة في طريق إمبراطوريتها المنشودة، مما يستلزم جمع الكلمة، وحشد الطاقات، وإعلام شخصية الوطن فوق المصالح المصطنعة والاختلافات الفكرية، والتنبيه دائماً إلى أن الانفعال يمثل هذه الفروق وإعطاءها الأولوية في حياته، من نوع من الترف العسكري والسياسي، الذي لا يتناسب وضخامة المصير الذي نحن، جميعاً، مقلون عليه.

وعلى أن استرسل في الحديث عن تيار الوسطية الإسلامي، إنما أحب أن أشير في ذلك إلى كتابي المذكور/ محمد عمارة معالم المذهب الإسلامي، والجل الإسلامي، لماذا وكيف؟ فهو قد بين فيها رؤية الطرح الإسلامي لنحية التعليم والتعبدي العسكرية، وللنظام السياسي والشورى وتكوين الأحزاب، وللنظام الاجتماعي وتحقيق العدالة الاجتماعية، والحريات العامة وحقوق الإنسان وتحرير المرأة والدماء، والالتقاء والموقف من الوطنية والقومية والإسلامية، والسياسة الخارجية

والعلاقات الدولية، خاصة أن الكتاب الأول تحديداً، قد نوقش في ندوة فكرية قبل صياغته الأخيرة، ضمت أبرز مفكرى هذا التيار، ثم هو صادر عن الأزهر الشريف بالاشتراك مع المعهد العالي للفكر الإسلامي، الأمر الذي يجعله أقرب إلى الموضوع الفكري، والرؤية الجماعية، منه إلى الرؤية الفردية.

ولا شك أن السماح لهذا التيار بالمشاركة في العمل السياسي، وإتاحة الفرصة له لتحويل هذه الأفكار، إلى برامج، لا شك أن ذلك سيساعد في تصحيح ما قد يعتري هذه الأفكار من مثالية أو نقصان. غايية أنني أحب أن يكتب الأستاذ هيكـل رؤيته عن تيار الوسطية الإسلامي، وأكمل بذلك، الحوار القومي الإسلامي، الذي بدأ في أوائل التسعينيات تحت رعاية مركز دراسات الوحدة العربية، في بيروت، أملاً أن يسهم هذا في حشد طاقات الأمة لتصد المخاطر الخارجية وفي مقدمتها المشروع الصهيوني، وأن يعيد لأمتنا مجدها ومكانتها في الأمم. وليس هذا، بحال من الأحوال، استفاة لراى الأستاذ هيكـل، أو تحديداً له في إطار معين، إنما هو حرص على استطلاع راي مفكر، طالما عرف بتحرى الدقة، وشدائد الحقيقة، وإعلاء قيمة الإنسان، خاصة ونحن بصدد أمر، يتحدد به مصير عالنا العربي، بل وحيار، وباحترار إرضيه بزعمه أن يتشبه ويصدر الإيهام، وأنه عاجز عن متابعة تيار الحداثة، وقيم العالم الحرا!

السنوسى محمد السنوسى
باحث في الشؤون العربية
محافظه العربية

لا صوحة ضمير ولا يحزنون

اختلف مع قراءة الأستاذ أيمن الصبيح (عدد فبراير ٢٠٠٤) والتي يتعامل فيها مع مستقبل إسرائيل، منوهاً بما رددته وسائل الإعلام عن بيان

قائد الشين بيت الشهير وأود هذا أن أوضح الآتي:

عند تأسيس الدولة العبرية وصل تعداد رجال المخابرات الإسرائيلية إلى ١٨٤ شخصاً وقد شكل هؤلاء في حينه وحدة عسكرية تابعة للجيش قامت ببناء على أمر عسكري أسمته «الشين بيت»، اختصاراً لكلمة «خدمة أس»، ورأس الوحدة في حينه أيسر هرتزل حتى العام ١٩٥٢ وفيما بعد أصبح رئيساً للموساد. وكان الشين بيت يراقب في العقد الأول لقيام الدولة العبرية تحركات خصوم حركة العمل التي حكمت إسرائيل حتى العام ١٩٧٧. إبان صمود متناح بيني إلى سدة الحكم، وروى في غروب من يومياته أن أيسر هرتزل كان يشارك في اجتماعات سكرتاريا «المباي»، ويقدم تقاريره وتصوراته عن يومياته إلى أيسر استطلاع حزب العمل خلال هذه السنين الطويلة أن يحول «الشين بيت» إلى أسطورة إسرائيلية تخمين المبالى، الممارسات الدخيلية، (صعلاء السوفييت) ومن التسلل والتمديد العرب الذين بدأوا يعبرون الأسلاك الشائكة في الانتاجيات، كانت تحركات «الشين بيت» سرية للغاية حتى أن اسم رئيسها لم يعرف للجمهور، وعملت طوال السنين تحت مسؤولية مكتب رئيس الحكومة بعد أن كانت وحدة عسكرية وتحولت فيما بعد إلى وحدة مدنية تابعة لوزارة الأمن حتى تنصفت الخمسينيات، فالسرية التي حكمت في ظروف عمل الشين بيت ساعدت في صنع «الأسطورة» ما شوق الناس إلى معرفة ما يدور داخل هذا الجهاز الذي لا يحكم سلوكه أى قانون كان، وقبيلة

في الأدبيات والمفوضات المصادرة في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي عن عمل الشين بيت وبطولات رجاله، اختفت كلمة «شين بيت»، وصل محلها «شاياك»، وتعنى «خدمة أس» عام، أو شين بيت عام، بعد القضاء عدوانية رجالها على أمر الرأى العام الإسرائيلي في فضيحة ياص ٣٠٠ في عام ١٩٨٦، وقد أسفرت هذه الفضيحة عن استقالة رئيسها شاياك، ورئيس الشاياك، معها بدأت تنتشر في إسرائيل روايات عن الشاياك والموساد منها من

كتبها باحثون ومنها من كتبها رؤساء سابقون فقد قرأنا في السنوات الأخيرة ما رواه يعقوب بيرى في كتابه «الآتي ليقبلك» (إصدار كيشيت عام ١٩٩٩) عن أصوله «المبالية»، وقد بدأ عمله موظفاً في أرشيف المخابرات في أوائل الستينيات إلى أن أصبح رئيساً في عام ١٩٨٨ حتى عام ١٩٩٤. في كتابه تجد قصصاً «بوليسية»، عن علاقة المخابرات في الاحتلال وعمله في منطقة القدس في السبعينيات وتحقيقه مع معتقلي الخلايا الذاتية وكيفية التعامل مع المناقضة الأولى ومعضها أوصلو ولقاءاته الأولى مع السلطة الفلسطينية، ولا يخفى في الكتاب نقاشه مع إسحق شامير، لرئيس الحكومة الإسرائيلية الأخير الممانحيات، وذكر أن المخابرات ساهمت مع إيهود باراك وإسحق ريمزاني وموشيه يعقوب بتأسيس وحدات المستعربين التي اختطفت واعتقلت الفلسطينيين وقتلت بعد باز عشرات الطلوعيين، في المناقشة في هذا الكتاب تجد صورة يعقوب بيرى وهو في زى عربي بعد أن رجع من «عملة» محاربانية.

أما كرمي غلوت، والذي استخلص النتائج بعد تشكيل لجنة شفاخ الرسمية والتي حققت في مقتل إسحاق رابين فقد استقلته كرتيس للشاياك باعتباره مسؤولاً عن أمن الشخصيات العامة، فإنه يرى في الآخر روايته «الشياياك بين التمرزات»، (إصدار بدعوت أحرونوت عام ٢٠٠٠) من نشأة المبالية في رحاها في القدس العربية وبعطولاتها، منها اغتيال يحيى عياش وموقفه مع العرب في إسرائيل ويتأني أنه توقع من خلال أطروحة ما جاستر قدسها لجامعة حيفا عن «الإرهاب اليهودي» وعن اغتيال السياسي القادم في إسرائيل، يوجه سهامه نحو لجنة شفاخ التي لم تتوزع عن أن تند بدعا إلى مكتب المتهب (ويصعد الأجزاء التحريضية ضد رابين التي سادت في إسرائيل عشية مقتله. جاءت روايته أصلاً لجلن الصهيونية وموقفه موقفة أمام الجمهور من مقتل رابين الذي اعتبره «سكينا في الظهر». نسوق هذا الكلام عن رؤساء

كتاب الزاوية



مذكرات الأميرة جويدان

٥- أراميل إسماعيل

وفي فيش رأينا أرملى إسماعيل باشا جالستين في شرفة الفندق وعلى وجهيهما القباب الأبيض وهما تدخان وتستمعان إلى نغمات الموسيقى.

كان لإسماعيل باشا أربع زوجات. وعلى عكس المؤلف كانت هؤلاء الزوجات صديقات لا شغناء بهن ولا بغضاء. وقد ألف بينهن حين لرجل واحد.. هو إسماعيل.

كان إسماعيل إذا أحب لم يترك لمحب بعده مجالاً. وإذا أهدى أغدق حتى أغرق. وإذا أراد البناء فإنه يهدم حياً بأكمله ليشيد عليه ما يريد ويستعمل آلاف الأيدي في البناء. يعملون على ضوء الشمس نهاراً وتضاء لهم المشاعل ليلاً. وعلى هذا المنوال قامت سرى الجزيرة التي بناها خصيصاً للإمبراطورة أوجيني لتكون لها مقاماً أثناء زيارتها لمصر. ولو استطاع لأحال مصر كلها إلى روضة غناء تخطر فيها هذه الملكة الجميلة.

ولما أبدت الإمبراطورة رغبتها في الطواف بالقاهرة على ظهر حماز رافقها الخديوى في هذا الطواف، ولما رجعا من الزهرة كان حريم إسماعيل على استعداد لاستقبال الإمبراطورة ولم تشمر إحداهن بغيره أو حسد.

وقد احتفظت أراميل إسماعيل بمادتهن حتى في أوروبا، فكان دائماً متفعتها ويأخذن الجوارى والأغوات معهن، فإذا ركن عربة جلس الأغا دائماً إلى جانب السائق.

حال. التصريحات الأخيرة تطغى تحت سقف النقاش الأمنى الداخلى.

أحمد أبو حسين
رئيس مجلس الإدارة
Arabs48.com



العلمانية

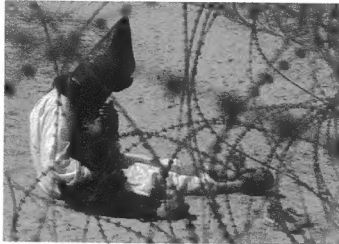
إصعابى بمجسكم بلا حدود! وأرجو أن يتسع صدركم لكى أدلى برأى فى قضية يجرى النقاش حولها كثيراً وهى العلمانية.. معظم المتحذرين يتفخون بها بطريقة تجعلها تشبه بان لها علاقة بالعلم.. أى يقولونها وكأنها مشتقة من العلم.. أى بكسر الميم وتسكين اللام وفتح الميم.. والواقع أنها يجب أن تنطق بما يجعلها مشتقة من العلم وليس العلم.. أى العلمانية تسكين اللام وفتح الميم.. لن نلغى العلمانية وكأنها من العلم وليس العلم يسر.. فهى لدى العامة ويجعلها ذات علاقة بالعلم وليس الروحانيات وهذا مفروض لدى ضمائر العوام.. لكن واقع الحال وحسب معرفتى المتواضعة بأن العلمانية من العالم هى تعبير كنسى أطلق على الناس خارج الكهنة لأنهم من العالم وليسوا من اللوكنوت.. ومازال هذا اللقب يطلق على رعايا الكنائس العربية.. أى كانت ومازالت الكنيسة تفصل بين الملوكنوت والناسوت.. أى تفصل بين أتباعها وبين كهنتها.. وقد استعير مصاراً ما أطلقت الكنيسة ليعلم فى مفهوم الدولة الأوروبية الحديثة للفصل بين الدين والدولة.. ليس أكثر من استعارة للمدلول وليس للشيء.. أى ليست النسبة للعلم.. وقد اختلط الأمر نتيجة لتفكك كلمة العلمانية دون تشكيكها وفى زمن ظهرت فيه النظريات المادية الرافضة للروحانيات.. والذى أربط اسم العالم بها لخدمة أهدافها ليس إلا.. وربما أن لفظ العلمانية من العلم أكثر سلاسة فى فمها على السمع.. وأكون سعيداً لو أصبحت أسمع كلمة العلمانية من العالم وليس العلم.

المهندس: أكرم فى عباسى
عمان، الأردن

الشبابك، ثلاثة منهم عملوا فى المؤسسة الأمنية منذ بداية حياتهم، تربوا فى أجواء سيطرة الحزب الواحد ونشوة انتصار إسرائيل على العرب فى العام ١٩٦٧، اعتقدوا دائماً أن الأمن فوق الديمقراطية، اشتركوا فى عملية جارية الاعترافات بالقوة والتعذيب ودون رقابة تذكر، ثقافتهم جعلتهم يتعمقوا لخدمة أمنية واحدة تربط السياسة بالأمن والحنكة المباشرة وفى وقتنا هذا نحن فى إسرائيل فوق كل شيء حتى لو تناقض مع أسس الديمقراطية (انظر قرارات حكم بشأن الإبعاد الجماعى فى الثمانينيات وأوائل التسعينيات). ويختلف هؤلاء مع شارون حول حدود القوة التى يمكن استعمالها ضامك عن الاختلاف السياسى فمعظمهم من مؤيدي أوسلو وهم معنيون بالتوصل إلى حل مع الفلسطينيين وفق شروط إسرائيلية. أما شارون فهو يملك حلاً واحداً، تدمير وقتل وتخويف وترهيب وضيق وجدار فصل عسصرى، وتناجيل الحل وفق شروط استسلامية مهينة، ما الذى جرى فى الإعلام العربى؟ لماذا التهويل والانفعال؟ لأن رؤساء الشاباتك قالوا بالعرف الواحد.. نحن متجهون نحو الكارثة، (يديعوت أحرونوت ١١، ٢٠٠٣، ٩)

لماذا يحتفل بعض المحللين العرب أن هناك صحوة ضمير البعض الآخر يهمل أن إسرائيل فى طريقها للانهايار، ضامك عن بعض المستعربين العرب الذين يتبنون بالسلام والأخوة فلم يخلوا فى وقع تحيات الإكبار لجرأة لقاء شخصيات أمنية إسرائيلية تنصير أنها فقدت السيطرة والفرار ولم تعد رجالاً مهممة.. لا حاجة للفرص والصفاء بالاول، لقد تجند هؤلاء المسؤولون لإنقاذ الأخلاق، الأمنية الإسرائيلية وفق تصوراتهم وتربيتهم. تفت انتهى الى ما قاله إبراهيم شالوم «علينا أن ندرك كمجتمعت أننا جئنا لكلام العربى وليس العكس»، هذا الكلام الذى قيل اضطرراً لمصرعة الأكيدة بما أنجزه غسيل الدماغ للمجتمع الإسرائيلى والذى استمر لسنوات. إنها ليس صحوة ضمير ولا بحزن، إنها صحوة متأخرة لحركة العمل الإسرائيلية للخروج من مأزقها ومحاوله إنقاذها من وحلها متواجحة اليمين الإسرائيلى، إنها صحوة متأخرة بعد خراب البصرة.. على كل

حاضر لا يرى.. ومستقبل يرتجف



اختيرت هذه الصورة كأفضل صورة صحفية لعام ٢٠٠٢. وهي لمصور فرنسي Jean-Marc Bouju فاز بجائزة بوليتز مرتين. وكان قد التقطها بالقرب من الحيف ٢١ مارس ٢٠٠٢ لتلقت غرضي يرتجف بين يدي والده الذي اعتقله الأمريكيون وغطوا رأسه وعينيه بكيس من قماش قبل أن يضعوه خلف الأسلاك الشائكة.

ثم يكفى إن نلاحظ ما يجري من تاجيح للصراعات العرقية والقبلية والمذهبية شرقاً (العراق) وغرباً (الجزائر) وجنوباً (السودان). تبدو الصورة غامضة وضبابية. وعندما تلجأ الأمة، كأي أمة وقت الأزمات، إلى مثقفيها، تجد «الاستقطاب» حاداً. بين من يرفض - مثلاً - كل ما تأتي به الرياح من الغرب كونها آتت من الغرب، وبين من يحاول أن يركب هذه الرياح «متنهماً» عنفوانها وطغيانها، وخافياً مراكبه فوق الموجة، تحت أشرعة براقة تتلون بأطياف المرحلة: من إصلاح وديمقراطية تطوير وتطوير للتعليم. وهكذا يتبدى الاستقطاب حاداً في كل مناسبة، وليست آخر تلك المناسبات ذلك «التراشق» حول تقرير التنمية الإنسانية الأخير.

وهكذا.. نتطرق الأمة من مثقفيها هادياً ومرشداً.. فلا تجد غير «الاستقطاب» حاداً ومتوزناً.

والحاصل.. يحكم قوانين الفيزياء: أن «البوصلة» ترتبك حتماً بين كل استقطابين، فيقع على المستهين الطريق.. وهكذا كان.



هنا نحن.. وهما الصورة.. جيل أعياه قمع ماضيه، وأرهقته مدلة حاضره، وأعماه تخبط نخبه ومثقفيه ومفكره.. جيل، بالطغيان والعدوان، حاصره زمناً، وحصره ظمناً، بين مطرقة المحتل وسندان الطاغية.

جيل غموا عينيه، فصار لا يتبين كنه الشبح القادم، ولا يدرك حقائقه، فضلاً عن معاني ما يدور حوله. أو بالأحرى «ما يمور حوله» بسرعة ربما لا تحتملها رتابة الصحره، فلم يعتددها قطعاً إيقاع الحداثة يشوش الهويته بالقلقلة إحداث ضوء الشمس.

هنا نحن.. وهما الصورة.. وما هي أيماننا. حاضر غموا عينيه، فلم يجد يرى غير خيالاته وكوابيسه وأوهامه. ومستقبل يكر، بين يديه يرتجف.

هنا نحن.. وهما الصورة. لابد أن ندرك ونعترف، تحاصرتنا الأسلاك المشائكة إذن. متشابكة ومتداخلة. والحركة بين الأفلاك تحتاج إلى حكمة وصبر. وقبل ذلك يجب أن نلزم، إرادة الخروج إلى الفضاء الفسيح. والبحث عن الطريق الثالث. بعيداً عن المبيجين بجمد «من كنهنا من الطاغية». وبعيداً أيضاً من من يتخلل أن البروزاتمة يمكن لها أن تعود إلى ما قبل الحادي والعشرين من مارس ٢٠٠٣ أو الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

هناك قطعاً طريق ثالث بين الانسحابين: ديمقراطية حقيقية، واحترام كامل لحقوق الإنسان، ومنع الرشوة والفساد والمحسوبية. ونشر التعليم «الحقيقي»، والمعرفة.

هناك حتماً طريق ثالث بين ما كان، وما يريدون له أن يكون. وكما أن الفيل لا يتبين أبداً الأسمى. يمكننا - إن توافرت حكمة الاختيار وإرادة العقل - أن نجعله حتماً افضل من اليوم.

تستحق الصورة.. وهي بأفكلمة كما يقولون، أن نخلي لها الصفحة كاملة. لتلخص - ربما - بظلالها والوانها وشخصيتها - المشهد العربي كله بين عامين: عام مضى (٢٠٠٣) اختيرت فيه من بين آلاف الصور لتصيح صورته الصحفية، وعام آت (٢٠٠٤) تتسول فيه «القمة العربية»، مكاناً لانقداها، وننشر فيه النوازل الأمريكية مبادرتها، للشرق الأوسط الكبير، لا لتسوقها. بل لتعرضها، ويصراحة دون مواربة، عبر ترويج مفاهيم يسهل ابتلاعها، أو تبليغها لأولئك الجببريين على ابتلاع المستنهم.

دعونا بدايةً نعترف بأن ليس كل ما جاء في مهباجة المبادرة (من انشا فتشتر إلى الحرية والمعرفة..) كفراً. رغم كل ما فيها من قصور وفوقية ويزعم كل من وراءها من اسباب إقليمية أو انتخابية. ولكننا كما نعرفها، نعرف بأن حسن الفنية غير مضمون، وأن القصد - وما وراء القصد - غير مبرر بالضرورة.

والحاصل أنه بين برقي المبادرات المنهارة، بوعدها ووعيدها، بدأ أن الأبطال قد زافت، وخفوا، وطمعوا. بداية من مبادرة باول إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير. مروراً ببرنامج الدعم الذي أطلقته تشينى (الآينة) وقمة التعليم المقترحة التي تستهدف حسيماً اعادوا، بحث بواعث القلق وراء نظم التعليم وسحتوا في المنطقة. ها هي الصورة إذن. الأب الكليل بين الأسلاك أعوا عينيه غيبوا رأسه. والابن الخائف سيرسمون له مستقبله ويشكلون له رأسه في عاصمة لتجربة بعيدة.

ها هي الصورة (٢٠٠٣) وما نحن.. بين أحاسيس الخيبة والإحباط والفشل، وأحاديث الحقائق بالتركيب، تبدو كأنها لم يحدث من قبل، كأنه كما للنصر سكرة فلترية كذلك. ففي عالمنا العربي المرتبك - كما لم يحدث من قبل، تبدو كل الرؤى غامضة. والروس كأنما غيبوها سكرة الهزيمة، وقافة الانسحاب. واليونان أعماها طمع في «جزرة» أو خوف من عصا. والطماعون والخائفون - كلاهما - يلجؤ لهم بهذه أو تلك بين حين وآخر. لا فرق. فآكثر المتشدين لطرفاً بدأ.. فجأة.. طياً وبعافلاً. وربات الإصلاح والتطوير والتشجيع، ارتفعت مترجحة لتقعلى.. فجأة.. قرص الشمس.

وبدا المشهد كله في ذروته «درامياً». بين القاصدين «ياساً... والمجرورين «زيتاً»، في كل اتجاه.

ويكفى أن نتطرق إلى مثقفي الأمة الذين اختلفوا، أو بالأحرى تعاركوا حول كل شيء. بداية من تقرير التنمية البشرية العربية، التهم بالأمركة. وحتى الاتهامات بالمشاهدة «المخوفة» للفرار.

كما يكفي أن نتطرق إلى صحيات «جديدة» وأخرى تم استرجاعها من مدافنها مثل «الشرق الأوسطية»، وعصر أولاً، والأزمن أولاً. وتداعياتها الواسعة تدل على فضل أحلام المشاريع القديمة: من ناصرية إلى قومية أو إسلامية. وسقط كل هذا التفتخ والخيال والضبابية، تعمى الميول وإن بدت مفتوحة، وتضيق معالم الطريق. مهما تعددت الأسهم، وتصايح المرشدين.

ثم يكفى أن نتطرق إلى المواطن العادي في كل موقع. يلحن الغرب وأمريكا كل صباح. دون أن يدرك، أن التلغاني في العمل والتكيف مع التقنيات الجديدة هي صروح التواجد على خريطة اليوم. ودون أن يلحظ أن شارون «الاسفاح» لا خلافه يحتل مرعفاً. وهو رئيس للوزراء. لطبق الجهات المختصة للتحقيق معه في قضية فساد. في حين ينعن النخبون في ديمقراطيتنا، بمساعدة بالغة، من الوصول إلى صناديق الاقتراع.

السيدة الوزيرة

سيرة ذاتية
تأليف: مادلين أولبرايت
ترجمة: د. محمد قوفيق الجبوري



السيدة الوزيرة
مادلين أولبرايت
سيرة ذاتية

مادلين أولبرايت، الاسم الشهير الذي اقترن مع إدارة الرئيس كلنتون في قترتي رئاسته. كانت مشاركة فعالة في أهم أحداث العصر الحديث في نهاية القرن العشرين من صلاحية عصبة السلام في الشرق الأوسط إلى التدخل الإنساني خلف شمال الأطلسي في كوسوفو. وهي تقدم لنا الآن سيرة ذاتية صريحة كل الصراحة فزوي فيها قصتها في الأخادة، وتقدم نظرة مثيرة من الداخل على قضايا العالم في فترة مضطربة ثم يسبق لها. مثل: سلكت مادلين أولبرايت طريقاً متوجعاً إلى حياة عملية أوصلتها إلى الطبقة العليا من الدبلوماسية وصنع السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية. فصار أول امرأة تجلس على كرسي وزارة الخارجية الأمريكية وأحدى أكثر الشخصيات إثارة للإعجاب في عصرنا. وتقدم مادلين أولبرايت في كتابها، صراحة مثقفة، صورا نابضة بالحياة لزعماء العالم الذين تعاملت معهم في سنوات عملها، والمعارضة التي خاضتها كي تحت موقعها في حلبة يسيطر عليها الذكور. تعرفنا المزملة في كتابها أيضاً على مادلين المرأة في حياتها الخاصة، وتريناها بثباتها الثلاث، والضمير مؤثر لأرواحها من سليل إحدى الأسر الأمريكية البارزة في عالم الصحافة. واكتشافها في وقت متأخر من حياتها لأسلوبها اليهودية، وأن بطليها قد لقا حضفا في معسكرات الدار. يجمع كتاب السيدة الوزيرة بين حسن الدعاية الداني والظفر المتشققة، والشهادة الشخصية، مع إضافات آسرة إلى السجل التاريخي. فهو نسيج من الصور الحبيبة والمناظر الشاملة الواسعة. إنها سيرة ذاتية خصبة تترفع لها أن تصبح من الكتب الهامة البارزة في القرن الحادي والعشرين.

• ثمن النسخة (مجلد) \$20.0 • ثمن النسخة (غلاف) \$16.50

سلسلة هارفارد لأساسيات الأعمال

المصدر الذي يمكن أن يعتمد عليه المديرون المشغولون

إن هذه السلسلة مصممة لكي تزود بصالح شاملة، وإرشاد شخصي، وخلفية من المعلومات، وتبليغ لمعظم المواضيع المتعلقة بممارسة العمل. هذه الإرشادات الدقيقة المتأخوذة من أغنى العنصر لشركات كلية الأعمال في جامعة هارفارد ومصادر أخرى، معمولة بعناية لكي توفر مصدراً عملياً للقراء من جميع مستويات الخبرة. ولضمان البراعة والدقة، يهدف كل مجلد للمراجعة الفاحصة من قبل مشرف مدبل على كلية الأعمال ذات مستوى عالٍ. سواء أكانت مديراً حديثاً، أكانت تعتمد في ترعة مبررات أو مديراً تنفيذياً صاحب تجربة، فإن هذه الكتب التي تعتمد على الخبرة تضيء وتبهرتك بكل سهولة للحصول على أجوبة شافية في مشاكلك، بذك، صدر منها هذا الشهر:

استخدام أفضل الناس والاحتفاظ

بهم

Hiring and Keeping The Best People

إن استعمال القوى العاملة الشريفة والاحتفاظ بها في موقع العمل المثالي يُشكل تحدياً يواجه كل مُنْشِئ، فالتقوى العامة الجيدة هي من أهم الأصول التي يجب أن تكون من مزاياها. تزود هذا الكتاب المديرون و"كل مسؤول في كل شركة ومؤسسة بالأدوات والبشارة الكاملة للتعامل الإيجابي والفعل من أفضل الممارسين ومبادئ وتوثيق الاحتفاظ بهم. مرشد السلسلة الشرف على الكتاب: البروفيسور بيتر كابيلى Peter Cappelli أستاذ الإدارة في كلية وارثن Wharton الشهيرة في جامعة بنسلفانيا، ومدير مركز مصادر القوى العاملة في الكلية.

• ثمن النسخة (غلاف) \$10.30



استخدام أفضل الناس
والاحتفاظ بهم

النقاط الأساسية في نمو الأطفال

Touchpoints Birth to 3

أكثر كتب العناية بالأطفال بيعاً في الولايات المتحدة الأمريكية (أعيد طبع الكتاب باللغة الإنكليزية أكثر من 30 طبعة).

تأليف: د. الطيبات، بري براونزتون.

عيد الميلاد للأطفال الأمريكيين
T. Berry Brazelton, M.D.

يرسم المؤلف في هذا الكتاب مختصاً مراحل تطور الوليد والطفل الصغير ويقدم لنا شرحاً لا مثيل له لقد تم المؤلف كتابه على خبرته التي امتدت أربعين سنة في ممارسة طب الأطفال في كلية الطب في جامعة هارفارد. وقد صنم هذا المختص للتطور العاطفي والسلوكي مساعدة الآباء على متابعة التطورات المتوقعة عند الطفل، ولتفهم كل ما يستجد من أمور تراق حدوث هذه التطورات عند كل أسرة. وبخلاف تطور جسم الطفل كارتفاع طوله، وزنه، وهو الأمر الذي يراقب الآباء عندهم، فإن التطور الروحي له عدة أبعاد. فبما كل مراحل تراجيح، ومراسل تقدم، إذ يتم النمو النفسي في عدة المجتمعات وفي أوقات متفاوتة. فكل إجازة جديد قد يواخر تقدم الطفل حينها، وما يراعى تقدم الأسرة بأكملها. وراعى تراجع الطفل في أفعاله عدة ويعبر في نفسه شيئاً، وما يفقد الآباء أن ارتباطهم يزداد تحقراً. يبحث الكتاب في ما يؤثر في نمو الطفل العاطفي والسلوكي، ويبحث في أمور لها اثرها في نشأة الطفل في سنواته الأولى. والطرق التي يتأثر بها تطور الطفل حين حوله.

• ثمن النسخة \$19



النقاط الأساسية
في نمو الطفل

الجغرافية الجديدة لتفاوت الدخل

العالمي

THE NEW GEOGRAPHY OF GLOBAL INCOME INEQUALITY

تأليف: كلن فايرباو

ترجمة: د. حضر الأحمد

إن التنبؤ الفاحصة في هذا الكتاب هي أن تفاوت الدخل العالمي أخذ في التناقص، خلافاً للاعتقاد السائد الذي يبعد أن هذا التفاوت أخذ في التزايد. ويؤمن منتقدو العولمة، وآخرون، بأن انتشار أساليب الاستهلاك تنسقط، يؤخر دماي، التوزيع العالمي للدخل. لكن المؤلف، المتخصص بالديمقراطية (علم السكان)، يُبين بدقة أن تفاوت الدخل العالمي بلغ ذروته في أواخر القرن العشرين، ويسير الآن في طريق تنحدر، نتيجة انخفاض تفاوت الدخل بين الدول. وتوجد، في الوقت نفسه، تفاوت الدخل يزداد ارتفاعاً ضمن الدول، ولو أن هذا الارتفاع لا يحدث بسرعة. ويذهب المؤلف إلى أن هذا التحول التاريخي يمثل جغرافية جديدة لتفاوت الدخل العالمي في القرن الحادي والعشرين. يؤيد هذا الكتاب هذه الفكرة الجديدة، ويحلل أسبابها، ويُفسر السبب الذي جعل الفئتين الآخرين يغفلون عن واحدة من أهم السمات لعصرنا ألا وهي التفاوت في التفاوت، الذي يُقلل من أثر المكان الذي يولد فيه الشخص عند تقرير مستوى رفاهيته في المستقبل. مؤلف الكتاب: كلن فايرباو، أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع في جامعة ولاية بنسلفانيا.

• ثمن النسخة (مجلد) \$13.25 • ثمن النسخة (غلاف) \$11.20



الجغرافية الجديدة
لتفاوت الدخل العالمي

تُطلب كتب شركة الحوار الثقافي في جميع البلاد العربية من

دار الحوار للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان

E-mail: warak@interculturalbooks.com

كما تُطلب في الدول التالية من:

مسرة، دار العلوم، القاهرة، هاتف: 5761400 وبه الماتكة العربية السعودية من دار الحوار ومن مكتبة جدير في جميع فروعها، وفي الكويت من مكتبة جدير ومن الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، وفي قطر من مكتبة جدير. وفي البحرين من مكتبة الوطنية، النماة وبها طبع من مكتبة الجامعة ومكتبة جدير. وفي لبنان من دار الفرات للنشر والتوزيع 961-1-750054، وفي الأردن من الأمانة للنشر والتوزيع 962-6-4630688، وفي مصر من دار التوزيع، دمشق 961-11-2230914، وفي المغرب من المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

شركة الحوار الثقافي ج.م.ع.

بيروت، ص.ب. 6750 - 13 لبنان

هاتف: 961-1-802444 • فاكس: 961-1-970017

E-mail: info@interculturalbooks.com

http://www.interculturalbooks.com

ضاعف مدخراتك من خلال

الوثيقة ذات العائد المدفوع مقدماً

وثيقة الأمان

الوثيقة ذات العائد المتعدد العملات

عائد شهري لمدة ٣ سنوات

وثيقة الادخار الذهبية

ادخر وأمن مستقبلك

أعلى عائد مع ضمان صرفه
بالعملات الأجنبية

جنيه ذهب لكل ٢٥ ألف جنيه

وتمتع بإمكانية

الإقتراض

إصدار بطاقات البنك العربي

إتصل الآن على ١٩١٠٠ أو ٣٣١٩٩٢٦

يوميًا من ٩ صباحًا حتى ٩ مساءً

www.arabbank.com

البنك العربي
أكبر شبكة مصرفية عربية

